

الكتاب: تفسير القرطبي

المؤلف: القرطبي

الجزء: ١٧

الوفاة: ٦٧١

المجموعة: مصادر التفسير عند السنة

تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني

الطبعة:

سنة الطبع: ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م

المطبعة:

الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان

ردمك:

ملاحظات: مؤسسة التاريخ العربي

الجامع لاحكام القرآن  
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي  
الجزء السابع عشر  
أعاد طبعه

دار احياء التراث العربي  
بيروت - لبنان

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم  
سورة ق

مكية كلها، وهي خمس وأربعون آية  
مكية كلها في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر، قال ابن عباس وقتادة: إلا آية، وهي  
قوله تعالى: (ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من  
لغوب).

وفي صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: لقد كان تنورنا وتنور  
رسول الله

صلى الله عليه وسلم واحدا سنتين - أو سنة وبعض سنة - وما أخذت (ق والقرآن  
المجيد)

إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا  
خطب

الناس. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي ما كان يقرأ به رسول  
الله

صلى الله عليه وسلم في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما ب (ق والقرآن  
المجيد)

و (اقتربت الساعة وانشق القمر). وعن جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم  
كان

يقرأ في الفجر ب (ق والقرآن المجيد) وكانت صلاته بعد تخفيفا.

قوله تعالى: ق والقرآن المجيد (١) بل عجبوا أن جاءهم

منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (٢) إذا متنا وكنا ترابا

ذلك رجع بعيد (٣) قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب

حفيظ (٤) بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج (٥)

قوله تعالى: (ق والقرآن المجيد) قرأ العامة (قاف) بالجزم. وقرأ الحسن

وابن أبي إسحاق ونصر بن عاصم (قاف) بكسر الفاء، لان الكسر أخو الجزم، فلما  
سكن



(1)

آخره حر كوه بحر كة الخفض. وقرأ عيسى الثقفي بفتح الفاء حر كه إلى أخف الحركات.

وقرأ هارون ومحمد بن السميع (قاف) بالضم، لأنه في غالب الامر حركة البناء نحو منذ

وقط وقبل وبعد. واختلف في معنى (ق) ما هو؟ فقال ابن زيد وعكرمة والضحاك: هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه، وعليه طرفا السماء والسماء عليه

مقبية، وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل. ورواه أبو الجوزاء عن عبد الله بن عباس. قال الفراء: كان يجب على هذا أن يظهر الاعراب في (ق)، لأنه اسم وليس بهجاء. قال: ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه، كقوله القائل: \* قلت لها قفي فقالت قاف \*

أي أنا واقفة. وهذا وجه حسن وقد تقدم أول (البقرة ١)). وقال وهب: أشرف ذو القرنين على جبل قاف فرأى تحته جبالا صغارا، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا قاف، قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي،

فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الأرض، فقال له: يا قاف أخبرني بشئ من عظمة الله، قال: إن شأن ربنا لعظيم، وإن ورائي أرضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال تلج يحطم بعضها بعضا، لولا هي لاحتقرت من

حر جهنم. [فهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض والله أعلم بموضعها، وأين هي من

الأرض (٢)]. قال: زدني، قال: إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائضه،

يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك، فأولئك الملائكة وقوف بين يدي الله تعالى منكسو

رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا: لا إله إلا الله، وهو قوله تعالى: (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا (٣)) يعني قول: لا إله

إلا الله. وقال الزجاج: قوله (ق) أي قضي الامر، كما قيل في (حم) أي حم الامر. وقال ابن عباس: (ق) اسم من أسماء الله تعالى أقسم به. وعنه أيضا: أنه اسم من أسماء

(٣) راجع ج ١٩ ص ١٨٤

(٢)

القرآن. وهو قول قتادة. وقال القرظي: افتتاح أسماء الله تعالى قدير وقاهر وقريب وقاض وقابض. وقال الشعبي: فاتحة السورة. وقال أبو بكر الوراق: معناه قف عند أمرنا ونهينا ولا تعدهما. وقال محمد بن عاصم الأنطاكي: هو قرب الله من عباده، بيانه (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد). وقال ابن عطاء: أقسم الله بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم، حيث حمل الخطاب ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله. (والقرآن المجيد) أي الرفيع القدر. وقيل: الكريم، قاله الحسن. وقيل: الكثير، مأخوذ من كثرة القدر والمنزلة لا من كثرة العدد، من قولهم: كثير فلان في النفوس، ومنه قول العرب في المثل السائر: (في كل شجر نار، واستمجد المرخ (١) والعفرار). أي استكثر هذان النوعان من النار فزادا على سائر الشجر، قال ابن بحر. وجواب القسم قيل هو: (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) على إرادة اللام، أي لقد علمنا. وقيل: هو (إن في ذلك لذكرى) وهو اختيار الترمذي محمد بن علي قال: (ق) قسم بأسم هو أعظم الأسماء التي خرجت إلى العباد وهو القدرة، وأقسم أيضا بالقرآن المجيد، ثم اقتص ما خرج من القدرة من خلق السماوات والأرضين وأرزاق العباد، وخلق آدميين، وصفة يوم القيامة والجنة والنار، ثم قال: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) فوق القسم على هذه الكلمة كأنه قال: (ق) أي بالقدرة والقرآن المجيد أقسمت أن فيما اقتصت في هذه السورة (لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد). وقال ابن كيسان: جوابه (ما يلفظ من قول). وقال أهل الكوفة: جواب هذا القسم (بل عجبوا). وقال الأخفش: جوابه محذوف كأنه قال: (ق والقرآن المجيد) لتبعثن، يدل عليه (أئذا متنا وكنا ترابا). قوله تعالى: (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) (أن) في موضع نصب على تقدير لان جاءهم منذر منهم، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، والضمير للكفار. وقيل: للمؤمنين والكفار جميعا. ثم ميز بينهم بقوله تعالى: (فقال الكافرون) ولم يقل فقالوا، بل قبح حالهم وفعلهم ووصفهم بالكفر، كما تقول: جاءني فلان فأسمعني المكروه، وقال لي الفاسق

(١) المرخ والعفرار: شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر، ويسوى من أغصانهما الزناد فيقتدح بها.



أنت كذا وكذا. (هذا شيء عجيب) العجيب الامر الذي يتعجب منه، وكذلك العجاب بالضم، والعجاب بالتشديد أكثر منه، وكذلك الأعجوبة. وقال قتادة: عجبهم أن دعوا إلى

إله واحد. وقيل: من إنذارهم بالبعث والنشور. والذي نص عليه القرآن أولى. قوله تعالى: (أئذا متنا وكنا ترابا) نبعث، ففيه إضمار. (ذلك رجوع بعيد) الرجوع الرد أي هو رد بعيد أي محال. يقال: رجعته أرجعه رجعا، ورجع هو يرجع رجوعا، وفيه إضمار آخر، أي وقالوا أنبعث إذا متنا. وذكر البعث وإن لم يجرها هنا فقد جرى في مواضع، والقرآن كالسورة الواحدة. وأيضا ذكر البعث منطوق قوله: (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) لأنه إنما ينذر بالعقاب والحساب في الآخرة. أي ما تأكل من أجسادهم فلا

يضل عنا شيء حتى تتعذر علينا الإعادة. وفي التنزيل: (قال فما بال القرون الأولى قال علمها

عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى (١)) وفي الصحيح: (كل ابن آدم يأكله التراب

إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب) وقد تقدم. وثبت أن لأنبياء والأولياء والشهداء لا تأكل الأرض أجسادهم، حرم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم. وقد بينا هذا في كتاب (التذكرة) وتقدم أيضا في هذا الكتاب. وقال السدي: النقص هنا الموت يقول

قد علمنا منهم من يموت ومن يبقى، لان من مات دفن فكأن الأرض تنقص من الناس. وعن ابن عباس: هو من يدخل في الاسلام من المشركين. (وعندنا كتاب حفيظ) أي بعدتهم

وأسمائهم فهو فعيل بمعنى فاعل. وقيل: اللوح المحفوظ أي محفوظ من الشياطين أو محفوظ

فيه كل شيء. وقيل: الكتاب عبارة عن العلم والاحصاء، كما تقول: كتبت عليك هذا أي حفظته، وهذا ترك الظاهر من غير ضرورة. وقيل: أي وعندنا كتاب حفيظ لأعمال بني آدم لنحاسبهم عليها.

قوله تعالى: (بل كذبوا بالحق) أي القرآن في قول الجميع، حكاه الماوردي. وقال الثعلبي: بالحق القرآن. وقيل: الاسلام. وقيل: محمد صلى الله عليه وسلم. (فهم في أمر مريج)





أي مختلط. يقولون مرة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن، قاله الضحاك وابن زيد.  
وقال قتادة: مختلف. الحسن: ملتبس، والمعنى متقارب. وقال أبو هريرة: فاسد،  
ومنه مرجت أمانات الناس أي فسدت، ومرج الدين والامر اختلط، قال أبو دؤاد:  
مرج الدين فأعددت له \* مشرف الحارك محبوبك الكتد (١)  
وقال ابن عباس: المريح الامر المنكر. وقال عنه عمران بن أبي عطاء: (مريح) مختلط.  
وأنشد (٢):

فجالت فالتمست به حشاها \* فخر كأنه خوط مريح  
الخوط الغصن. وقال عنه العوفي: في أمر ضلالة وهو قولهم ساحر شاعر مجنون  
كاهن.

وقيل: متغير. وأصل المرح الاضطراب والقلق، يقال: مرج أمر الناس ومرج أمر الدين  
ومرج الخاتم في إصبعي إذا قلق من الهزال. وفي الحديث: (كيف بك يا عبد الله (٣)  
إذا كنت

في قوم قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا) وشبك بين  
أصابعه.

أخرجه أبو داود وقد ذكرناه في كتاب (التذكرة).  
قوله تعالى: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها  
وما لها من فروج (٦) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي  
وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد  
منيب (٨) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات  
وحب الحصيد (٩) والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا  
للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١)

-----  
(١) الحارك الكاهن. والكتد مجمع الكتفين من الانسان والفرس.  
(٢) البيت للدخل الهذلي، ويروى فراغت بدل فجالت والضمير للبقرة. وبه أي بالهم.  
(٣) هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما في مسند أبي داود.

قوله تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم) نظر اعتبار وتفكر، وأن القادر على إيجادها قادر على الإعادة. (كيف بنيناها) فرغناها بلا عمد (وزيناها) بالنجوم (وما لها من فروج) جمع فرج وهو الشق، ومنه قول امرئ القيس:  
\* تسد به فرجها من دبر (١) \*

وقال الكسائي: ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق. (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي) تقدم في (الرعد (٢)) بيانه. (وأنبتنا فيها من كل زوج) أي من كل نوع من النبات (بهيج) أي حسن يسر الناظرين، وقد تقدم في (الحج) بيانه. (تبصرة) أي جعلنا ذلك تبصرة لندل به على كمال قدرتنا. وقال أبو حاتم: نصب على المصدر، يعني جعلنا ذلك

تبصيرا وتنبها على قدرتنا (وذكرى) معطوف عليه. (لكل عبد منيب) راجع إلى الله تعالى مفكر في قدرته.

قوله تعالى: (وأنزلنا من السماء) أي من السحاب (ماء مباركا) أي كثير البركة. (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) التقدير: وحب النبت الحصيد وهو كل ما يحصد. هذا قول

البصريين. وقال الكوفيون: هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، كما يقال: مسجد الجامع

وربيع الأول وحق اليقين وحبل الوريد ونحوها، قاله الفراء. والأصل الحب الحصيد فحذفت الألف واللام وأضيف المنعوت إلى النعت. وقال الضحاك: حب الحصيد البر والشعير. وقيل: كل حب يحصد ويدخر ويقتات. (والنخل باسقات) نصب على الحال (٤)

ردا على قوله: (وحب الحصيد) و (باسقات) حال. والباسقات الطوال، قاله مجاهد وعكرمة. وقال قتادة وعبد الله بن شداد: بسوقها استقامتها في الطول. وقال سعيد بن جبير:

(١) البيت في وصف فرسه، وصدرة:

\* لها ذنب مثل ذيل العروس \*

(٢) راجع ج ٩ ص ٢٨٠.

(٣) راجع ج ١٢ ص ١٤.

(٤) هكذا في الأصول، ولعل صواب العبارة أن تكون كما قال السمين: (والنخل) منصوب على العطف

أي وأنبتنا النخل، و (باسقات) حال.

مستويات. وقال الحسن وعكرمة أيضا والفراء: مواخير حوامل، يقال للشاة بسقت إذا ولدت، قال الشاعر:

فلما تركنا الدار ظلت منيفة \* بقران فيه الباسقات المواقر  
والأول في اللغة أكثر وأشهر، [يقال] بسق النخل بسوقا إذا طال. قال:  
لنا خمر وليست خمر كرم \* ولكن من نتاج الباسقات  
كرام في السماء ذهبن طولاً \* وفات ثمارها أيدي الجناة  
ويقال: بسق فلان على أصحابه أي علاهم، وأبسقت الناقة إذا وقع في ضرعها اللبن  
(١) قبل

النتاج فهي مبسوق ونوق مباسيق. وقال قطبة بن مالك: سمعت النبي صلى الله عليه  
وسلم

يقرأ (باصقات) بالصاد، ذكره الثعلبي.

قلت: الذي في صحيح مسلم عن قطبة بن مالك قال: صليت وصلى بنا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقرأ (ق والقرآن المجيد) حتى قرأ (والنخل باسقات) قال فجعلت  
أردها ولا أدري ما قال، إلا أنه لا يجوز إبدال الصاد من السين لأجل القاف. (لها طلع  
نضيد)

الطلع هو أول ما يخرج من ثمر النخل، يقال: طلع الطلع طلوعاً وأطلعت النخلة،  
وظلعتها

كفراها قبل أن ينشق. (نضيد) أي متراكب قد نضد بعضه على بعض. وفي البخاري  
(النضيد) الكفري ما دام في أكمامه ومعناه منضود بعضه على بعض، فإذا خرج من  
أكمامه

فليس بنضيد. (رزقا للعباد) أي رزقناهم رزقا، أو على معنى أنبتناها رزقا، لان الانبات  
في معنى الرزق، أو على أنه مفعول له أي أنبتناها لرزقهم، والرزق ما كان مهياً للانتفاع  
به.

وقد تقدم القول فيه (٢). (وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) أي من القبور أي كما  
أحيا الله

هذه الأرض الميتة فكذلك يخرجكم أحياء بعد موتكم، فالكاف في محل رفع على  
الابتداء.

وقد مضى هذا المعنى في غير موضع (٢). وقال (ميتا) لان المقصود المكان ولو قال  
ميتة لجاز.

(١) في ح، ز، ي: اللبأ وهو وزان عنب، أول اللبن عند الولادة.

(٢) راجع ج ١ ص ١٧٧ وص ٢١١

(Y)

قوله تعالى: كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢)  
وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الأيكة وقوم تبع  
كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤) أفعمينا بالخلق الأول بل هم  
في لبس من خلق جديد (١٥)  
قوله تعالى: (كذبت قبلهم قوم نوح) أي كما كذب هؤلاء فكذلك كذب أولئك  
فحل بهم العقاب، ذكرهم نبأ من كان قبلهم من المكذبين وخوفهم ما أخذهم. وقد  
ذكرنا  
قصصهم في غير موضع عند ذكرهم. (كل كذب الرسل) من هذه الأمم المكذبة.  
(فحق وعيد) أي فحق عليهم وعيدي وعقابي.  
قوله تعالى: (أفعمينا بالخلق الأول) أي أفعمينا به فنعيًا بالبعث. وهذا توبيخ  
لمنكري البعث وجواب قولهم: (ذلك رجع بعيد). يقال: عييت بالامر إذا لم تعرف  
وجهه. (بل هم في لبس من خلق جديد) أي في حيرة من البعث منهم مصدق ومنهم  
مكذب، يقال: لبس عليه الامر يلبسه لبسا.  
قوله تعالى: ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه  
ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن  
اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول الا لديه رقيب  
عتيد (١٨) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩)  
قوله تعالى: (ولقد خلقنا الانسان) يعني الناس، وقيل آدم. (ونعلم ما توسوس  
به نفسه) أي ما يختلج في سره وقلبه وضميره، وفي هذا زجر عن المعاصي التي  
يستخفي بها.  
ومن قال: إن المراد بالانسان آدم، فالذي وسوست به نفسه هو الاكل من الشجرة،  
ثم هو عام لولده. والوسوسة حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي. قال الأعشى:

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت \* كما استعان بريح عشرق زجل (١) وقد مضى في (الأعراف (٢)). (ونحن أقرب إليه من جبل الوريد) هو جبل العاتق وهو ممتد من ناحية حلقه إلى عاتقه، وهما وريدان عن يمين وشمال. روي معناه عن ابن عباس وغيره وهو المعروف في اللغة. والجبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه لاختلاف

اللفظين. وقال الحسن: الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب. وهذا تمثيل للقرب، أي نحن أقرب إليه من جبل وريده الذي هو منه، وليس على وجه قرب المسافة. وقيل: أي ونحن أملك به من جبل وريده مع استيلائه عليه. وقيل: أي ونحن أعلم بما توسوس به نفسه من جبل وريده الذي هو من نفسه، لأنه عرق يخالط القلب، فعلم الرب أقرب إليه من علم القلب، روي معناه عن مقاتل قال: الوريد عرق يخالط القلب، وهذا القرب قرب العلم والقدرة، وأبعض الانسان يحجب البعض ولا يحجب علم الله شيء. قوله تعالى: (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي نحن أقرب إليه من جبل وريده حين يتلقى المتلقيان، وهما الملكان الموكلان به، أي نحن أعلم بأحواله فلا

نحتاج إلى ملك يخبر، ولكنهما وكلا به إلزاما للحجة، وتوكيدا للامر عليه. وقال الحسن

ومجاهد وقتادة: (المتلقيان) ملكان يتلقيان عملك: أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك،

والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك. قال الحسن: حتى إذا مت طويت صحيفة عملك وقيل

لك يوم القيامة: (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (٣)) عدل والله عليك من جعلك

حسيب نفسك. وقال مجاهد: وكل الله بالانسان مع علمه بأحواله ملكين بالليل وملكين

بالنهار يحفظان عمله، ويكتبان أثره إلزاما للحجة: أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات، فذلك قوله تعالى: (عن اليمين وعن الشمال قعيد). وقال سفيان: بلغني أن كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا أذنب [العبد] قال

(١) عشرق كز برج: شجر ينفرش على الأرض عريض الورق وليس له شوك، وثمرته قشرة إذا هبت الريح فلقت

تلك القشرة فتحشخت فسمعت للوادي الذي تكون به زجلا ولجة تفزع الإبل.

(٢) راجع ج ٧ ص ١٧٧

(٣) راجع ج ١٠ ص ٢٣٠

(٩)



لا تعجل لعله يستغفر الله. وروي معناه من حديث أبي أمامة، قال: قال النبي صلى الله عليه

وسلم: (كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات أمين

علي كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب

اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر). وروي من حديث علي

رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن مقعد ملكيك على ثنيتك (١) لسانك

قلمهما ويريقك مدادهما وأنت تجري فيما لا يعينك فلا تستحي من الله ولا منهما). وقال

الضحاك: مجلسهما تحت الثغر. على الحنك. ورواه عوف عن الحسن قال: وكان الحسن

يعجبه أن ينظف عنفقته. وإنما قال: (قعيد) ولم يقل قعيدان وهما اثنان، لأن المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. قاله سيوييه، ومنه قول الشاعر (٢).

نحن بما عندنا وأنت بما \* عندك راض والرأي مختلف  
وقال الفرزدق:

إني ضمنت لمن أتاني ما جنى \* وأبى فكان وكنت غير غدور  
ولم يقل راضيان ولا غدورين. ومذهب المبرد: أن الذي في التلاوة أول أخرا تساعا، وحذف الثاني لدلالة الأول عليه. ومذهب الأخفش والفراء: أن الذي في التلاوة يؤدي عن الاثنين والجمع ولا حذف في الكلام. و (قعيد) بمعنى قاعد كالسميع والعليم والقدير

والشاهد. وقيل: (قعيد) بمعنى مقاعد مثل أكيل ونديم بمعنى مؤاكل ومنادم. وقال الجوهري: فعيل وفعول مما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع، كقوله تعالى: (إنا رسول رب العالمين (٣)) وقوله: (والملائكة بعد ذلك (٤) ظهير). وقال الشاعر

في الجمع،

أنشده الثعلبي:

ألكني إليها وخير الرسول \* أعلمهم بنواحي الخبر (٥)

(١) في رواية أخرى عن علي رضي الله عنه: (إن الملكين قاعدان على ناجذي العبد... الخ).

(٢) هو قيس بن الخطيم.

- (٣) راجع ج ١٣ ص ٩٣.  
(٤) راجع ج ١٨ ص ١٩١.  
(٥) ألكني إليها: أرسلني إليها، والأصل في ألكني ألكني فحولت كسرة إلى اللام وحذفت الهمزة.

والمراد بالقعيد ها هنا الملازم الثابت لا ضد القائم.  
قوله تعالى: (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) أي ما يتكلم بشئ إلا كتب عليه، مأخوذ من لفظ الطعام وهو إخراج من الفم. وفي الرقيب ثلاثة أوجه: أحدها أنه المتبع للأمور. الثاني أنه الحافظ، قاله السدي. الثالث أنه الشاهد، قاله الضحاك. وفي العتيد وجهان: أحدهما أنه الحاضر الذي لا يغيب. الثاني أنه الحافظ المعد إما للحفظ

وإما للشهادة. قال الجوهري: العتيد الشئ الحاضر المهيأ، وقد عتده تعتيذا وأعتده إعتادا

أي أعده ليوم، ومنه قوله تعالى: (وأعتدت لهن متكأ (١)) وفرس عتد وعتد بفتح التاء وكسرهما المعد للجري.

قلت وكله يرجع إلى معنى الحضور، ومنه قول الشاعر:  
لئن كنت مني في العيان مغيبا \* فذ كرك عندي في الفؤاد عتيد  
قال أبو الجوزاء ومجاهد: يكتب على الانسان كل شئ حتى الأنين في مرضه. وقال عكرمة: لا يكتب إلا ما يؤجر به أو يؤزر عليه. وقيل: يكتب عليه كل ما يتكلم به، فإذا كان آخر النهار محي عنه ما كان مباحا، نحو أنطلق أقعد كل مما لا يتعلق به أجر ولا وزر،

والله أعلم. وروي عن أبي هريرة وأنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من حافظين

يرفعان إلى الله ما حفظا فيرى الله في أول الصحيفة خيرا وفي آخرها خيرا إلا قال الله تعالى

لملائكته اشهدوا أنني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة). وقال علي رضي الله عنه:

(إن لله ملائكة معهم صحف بيض فأملوا في أولها وفي آخرها خيرا يغفر لكم ما بين ذلك).

وأخرج أبو نعيم الحافظ قال حدثنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة

قال حدثنا جدي محمد بن إسحاق قال حدثنا محمد بن موسى الحرشي قال حدثنا سهيل

ابن عبد الله قال: سمعت الأعمش يحدث عن زيد بن وهب عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الحافظين إذا نزلا على العبد أو الأمة منهما كتاب مختوم فيكتبان ما يلفظ به العبد أو الأمة فإذا أرادا أن ينهضا قال أحدهما للآخر فك الكتاب

المختوم الذي معك فيفكه له فإذا فيه ما كتب سواء فذلك قوله تعالى (ما يلفظ من قول

-----  
(١) راجع ج ٩ ص ١٧٨

(١١)

إلا لديه رقيب عتيد)) غريب من حديث الأعمش عن زيد، لم يروه عنه إلا سهيل.  
وروي من حديث أنس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله وكل بعبده  
ملكين  
يكتبان عمله فإذا مات قالا ربنا قد مات فلان فأذن لنا أن نصعد إلى السماء فيقول الله  
تعالى  
إن سماواتي مملوءة من ملائكتي يسبحونني فيقولان ربنا نقيم في الأرض فيقول الله  
تعالى  
إن أرضي مملوءة من خلقي يسبحونني فيقولان يا رب فأين نكون فيقول الله تعالى  
كونا على  
قبر عبدي فكبراني وهللاني وسبحاني (١) واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة).  
قوله تعالى: (وجاءت سكرة الموت بالحق) أي غمرته وشدته، فالإنسان ما دام  
حيا تكتب عليه أقواله وأفعاله ليحاسب عليها، ثم يجيئه الموت وهو ما يراه عند المعاينة  
من  
ظهور الحق فيما كان الله تعالى وعده وأوعده. وقيل: الحق هو الموت سمي حقا إما  
لاستحقاقه  
وإما لانتقاله إلى دار الحق، فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره وجاءت  
سكرة الحق بالموت، وكذلك في قراءة أبي بكر وابن مسعود رضي الله عنهما، لأن  
السكرة  
هي الحق فأضيفت إلى نفسها لاختلاف اللفظين. وقيل: يجوز أن يكون الحق على هذه  
القراءة هو الله تعالى، أي جاءت سكرة أمر الله تعالى بالموت. وقيل: الحق هو الموت  
والمعنى  
وجاءت سكرة الموت بالموت، ذكره المهدوي. وقد زعم من طعن على القرآن فقال:  
أخالف المصحف كما خالف أبو بكر الصديق فقرأ: وجاءت سكرة الحق بالموت.  
فاحتج  
عليه بأن أبا بكر رويت عنه روايتان: إحداهما موافقة للمصحف فعليها العمل، والأخرى  
مرفوضة تجري مجرى النسيان منه إن كان قالها، أو الغلط من بعض من نقل الحديث.  
قال  
أبو بكر الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا  
جرير عن  
منصور عن أبي وائل عن مسروق قال: لما احتضر أبو بكر أرسل إلى عائشة فلما  
دخلت  
عليه قالت: هذا كما قال الشاعر:

\* إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر (٢) \*

-----  
(١) في ا، ح، ن، ه: (واذكراني).  
(٢) صدر البيت: \* لعمرك ما يغنى الثراء ولا الغنى \*

فقال أبو بكر: هلا قلت كما قال الله: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) وذكر الحديث. والسكرة واحدة السكرات. وفي الصحيح عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة - أو علة - فيها ماء فجعل يدخل يديه

في الماء، فيمسح بهما وجهه ويقول: (لا إله إلا الله إن للموت سكرات) ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى) حتى قبض ومالت يده. خرجه البخاري. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن العبد الصالح ليعالج الموت وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليك تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة). وقال عيسى بن مريم: (يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة) يعني سكرات الموت. وروي: (إن الموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض). (ذلك ما كنت منه تحيد) أي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك ما كنت

تفر منه وتميل عنه. يقال: حاد عن الشيء يحيد حيودا وحيدة وحيدودة مال عنه وعدل. وأصله حيدودة بتحريك الياء فسكنت، لأنه ليس في الكلام فعلول غير صعفوق. وتقول في الاخبار عن نفسك: حدث عن الشيء أحيد حيدا ومحيدا إذا ملت عنه، قال طرفة: أبا منذر رمت الوفاء فهبته \* وحدث كما حاد البعير عن الدحض قوله تعالى: ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢) قوله تعالى: (ونفخ في الصور) هي النفخة الآخرة للبعث (ذلك يوم الوعيد) الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه. وقد مضى الكلام في النفخ في الصور مستوفى والحمد لله.

(١) راجع ج ١٣ ص ٢٣٩ و ج ١٥ ص ٢٧٩

قوله تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) اختلف في السائق والشهيد، فقال ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد من أنفسهم الأيدي والأرجل، رواه العوفي

عن ابن عباس. وقال أبو هريرة: السائق الملك والشهيد العمل. وقال الحسن وقتادة: المعنى سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها. وقال ابن مسلم: السائق قرينها من الشياطين

سمي سائقا لأنه يتبعها وإن لم يحثها. وقال مجاهد: السائق والشهيد ملكان. وعن عثمان

ابن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) سائق: ملك يسوقها إلى أمر الله، وشهيد: يشهد عليها بعملها. قلت: هذا أصح فإن في حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول: (إن ابن آدم لفي غفلة عما خلقه الله عز وجل له إن الله لا اله غيره إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه وأثره وأجله واكتبه شقيا أو سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث

الله ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فإذا جاءه الموت أرتفع ذلك (١) الملكان ثم جاء ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فإذا أو دخل حفرته

رد الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فإذا قامت

الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأنشطا (٢) كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه

واحد سائق والآخر شهيد ثم قال الله تعالى: (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتركبن طبقا عن طبق قال: (حالا بعد حال) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن قدامكم أمرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم) خرج به أبو نعيم الحافظ من حديث جعفر بن محمد بن علي عن جابر وقال

فيه: هذا حديث غريب من حديث جعفر، وحديث جابر تفرد به عنه جابر الجعفي وعنه

المفضل. ثم في الآية قولان: أحدهما أنها عامة في المسلم والكافر وهو قول الجمهور. الثاني أنها خاصة في الكافر، قاله الضحاك.



(١) كذا في جميع الأصول والدر المنثور، والظاهر أن يكون (ذانك).  
(٢) أنشط الكتاب: حل عقده.

قوله تعالى: (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك) قال ابن زيد:  
المراد به النبي صلى الله عليه وسلم، أي لقد كنت يا محمد في غفلة من الرسالة في  
قريش

في جاهليتهم. وقال ابن عباس والضحاك: إن المراد به المشركون أي كانوا في غفلة  
من

عواقب أمورهم. وقال أكثر المفسرين: إن المراد به البر والفاجر. وهو اختيار الطبري.  
وقيل: أي لقد كنت أيها الانسان في غفلة عن أن كل نفس معها سائق وشهيد، لان هذا  
لا يعرف إلا بالنصوص الإلهية. (فكشفنا عنك غطاءك) أي عماك، وفيه أربعة أوجه:  
أحدها إذ كان في بطن أمه فولد، قاله السدي. الثاني إذا كان في القبر فنشر. وهذا  
معنى

قول ابن عباس. الثالث وقت العرض في القيامة، قاله مجاهد. الرابع أنه نزول الوحي  
وتحمل الرسالة. وهذا معنى قول ابن زيد. (فبصرك اليوم حديد) قيل: يراد به بصر  
القلب

كما يقال هو بصير بالفقه، فبصر القلب وبصيرته تبصرته شواهد الأفكار ونتائج  
الاعتبار،

كما تبصر العين ما قابلها من الأشخاص والأجسام. وقيل: المراد به بصر العين وهو  
الظاهر

أي بصر عينك اليوم حديد، أي قوي نافذ يرى ما كان محجوبا عنك. قال مجاهد:  
(فبصرك)

اليوم حديد) يعني نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن سيئاتك وحسناتك. وقاله  
الضحاك.

وقيل: يعاين ما يصير إليه من ثواب وعقاب. وهو معنى قول ابن عباس. وقيل: يعني  
أن الكافر يحشر وبصره حديد ثم يزرق ويعمى. وقرئ (لقد كنت) (عنك) (فبصرك)  
بالكسر على خطاب النفس.

قوله تعالى: وقال قرينه هذا ما لدي عتيد (٢٣) ألقيا في جهنم

كل كفار عتيد (٢٤) مناع للخير معتد مريب (٢٥) الذي جعل مع

الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد (٢٦) قال قرينه ربنا

ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد (٢٧) قال لا تختصموا لدي

وقد قدمت إليكم بالوعيد (٢٨) ما يبدل القول لدي وما أنا

بظالم للعبيد (٢٩)

قوله تعالى: (وقال قرينه) يعني الملك الموكل به في قول الحسن وقتادة والضحاك. (هذا ما لدى عتيد) أي هذا ما عندي من كتابة عمله معد محفوظ. وقال مجاهد: يقول هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله. وقيل: المعنى هذا ما عندي من العذاب حاضر. وعن مجاهد أيضا: قرينه الذي قيض له من الشياطين. وقال ابن زيد في رواية ابن وهب عنه: إنه قرينه من الانس، فيقول الله تعالى لقرينه: (ألقيا في جهنم) قال الخليل والأخفش: هذا كلام العرب الفصيح أن تخاطب الواحد بلفظ الاثنين فتقول: ويلك ارحلها وازجراها، وخذاه وأطلقاه للواحد. قال الفراء: تقول للواحد قوما عنا، وأصل ذلك أن أدنى، أعوان الرجل في إبله وغنمه ورفقته في سفره

اثنان فجرى كلام الرجل على صاحبيه، ومنه قولهم للواحد في الشعر: خليلي، ثم يقول: يا صاح. قال امرؤ القيس:

خليلي مرابي على أم جندب \* نقض لبانات الفؤاد المعذب  
وقال أيضا:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل \* بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
وقال آخر:

فإن تزجراني يا بن عفان أنزجر \* وإن [تدعاني (١) أحم عرضا ممنعا  
وقيل: جاء كذلك لان القرين يقع للجماعة والاثنين. وقال المازني: قوله (ألقيا) يدل على ألق ألق. وقال المبرد: هي تشية على التوكيد، المعنى ألق ألق فناب (ألقيا) مناب التكرار. ويجوز أن يكون (ألقيا) تشية على خطاب الحقيقة من قول الله تعالى يخاطب به

الملكين. وقيل: هو مخاطبة للسائق والحافظ. وقيل: إن الأصل ألقين بالنون الخفيفة تقلب في الوقف ألفا فحمل الوصل على الوقف. وقرأ الحسن (ألقين) بالنون الخفيفة نحو قوله: (وليكونا من الصاغرين (٢)) وقوله: (لنسفعا (٣)). (كل كفار عنيد)

(١) في الأصول: (تدعواني) وما أثبتناه هو ما عليه الرواية في تفسير الطبري والألوسي والفراء وغيرها. أكمل ما في الأصول رواية أخرى.

(٢) راجع ج ٩ ص ١٨٤

(٣) راجع ج ٢٠ ص ١٢٥

أي معاند، قاله مجاهد وعكرمة. وقال بعضهم: العنيد المعرض عن الحق، يقال عند يعند

بالكسر عنودا أي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند، وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف. (مناخ للخير) يعنى الزكاة المفروضة وكل حق واجب. (معتد) في منطقته

وسيرته وأمره، ظالم. (مريب) شك في التوحيد، قاله الحسن وقتادة. يقال: أراب الرجل فهو مريب إذا جاء بالريية. وهو المشرك يدل عليه قوله تعالى: (الذي جعل مع الله إلهًا آخر). وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة. وأراد بقوله: (مناخ للخير) أنه كان يمنع بني أخيه من الاسلام. (فألقياه العذاب الشديد) تأكيد للامر الأول. (قال قرينه ربنا ما أطغيته) يعنى الشيطان الذي قيص لهذا الكافر العنيد تبرأ منه وكذبه. (ولكن كان في ضلال بعيد) عن الحق وكان طاغيا باختياره وإنما دعوته فاستجاب لي. وقرينه هنا هو

شيطانه بغير اختلاف. حكاه المهدوي. وحكى الثعلبي قال ابن عباس ومقاتل: قرينه الملك، وذلك أن الوليد بن المغيرة يقول للملك الذي كان يكتب سيئاته: رب إنه أعجلني،

فيقول الملك: ربنا ما أطغيته أي ما أعجلته. وقال سعيد بن جبير: يقول الكافر رب إنه زاد علي في الكتابة، فيقول الملك: ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه في الكتابة، فحينئذ يقول الله تعالى: (لا تختصموا لدي) يعنى الكافرين وقرناءهم من الشياطين. قال القشيري:

وهذا يدل على أن القرين الشيطان. (وقد قدمت إليكم بالوعيد) أي أرسلت الرسل. وقيل: هذا خطاب لكل من اختصم. وقيل: هو للثنين وجاء بلفظ الجمع. (ما يبذل القول لدي) قيل هو قوله: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى

إلا مثلها (١)) وقيل هو قوله: (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (٢)). وقال الفراء:

ما يكذب عندي أي ما يزداد في القول ولا ينقص لعلمي بالغيب. (وما أنا بظلام للعبيد) أي ما أنا بمعذب من لم يجرم، قاله ابن عباس. وقد مضى القول في معناه في (الحج (٣)) وغيرها.

(١) راجع ج ٧ ص ١٥٠.

(٢) راجع ج ١٤ ص ٩٦.

(٣) راجع ج ١٢ ص ١٦ و ج ١٥ ص ٣٧٠.

(۱۷)

قوله تعالى: يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد (٣٠) وألفت الجنة للمتقين غير بعيد (٣١) هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ (٣٢) من خشى الرحمان بالغيب وجاء بقلب منيب (٣٣) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٤) لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد (٣٥)

قوله تعالى: (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) قرأ نافع وأبو بكر (يوم يقول) بالياء اعتباراً بقوله: (لا تختصموا لدي). الباقون بالنون على الخطاب من الله تعالى وهي نون العظمة (١). وقرأ الحسن (يوم أقول). وعن ابن مسعود وغيره (يوم يقال). وانتصب (يوم) على معنى ما يبديل القول لدي يوم. وقيل: بفعل مقدر معناه: وأنذرهم (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) لما سبق من وعده إياها أنه يملؤها. وهذا

الاستفهام على سبيل التصديق لخبره، والتحقيق لوعده، والتقرير لأعدائه، والتنبيه لجميع عباده. (وتقول) جهنم (هل من مزيد) أي ما بقي في موضع للزيادة، كقوله عليه السلام: (هل ترك لنا عقيل من ربع أو منزل) أي ما ترك، فمعنى الكلام الجحد. ويحتمل

أن يكون استفهاماً بمعنى الاستزادة، أي هل من مزيد فأزداد؟. وإنما صلح هذا للوجهين، لأن في الاستفهام ضرباً من الجحد. وقيل: ليس ثم قول وإنما هو على طريق المثل، أي إنها

فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة بذلك، كما قال الشاعر:  
امتلاً الحوض وقال قطني \* مهلاً رويدا قد ملأت بطني  
وهذا تفسير مجاهد وغيره. أي هل في من مسلك قد امتلأت. وقيل: ينطق الله النار حتى تقول هذا كما تنطق الجوارح. وهذا أصح على ما بيناه في سورة (الفرقان) (٢).

وفي صحيح مسلم والبخاري والترمذي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) في ن، ه: (التعظيم).  
(٢) راجع ج ١٣ ص ١٠.

(لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها (١)

إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة) لفظ مسلم. وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة: (وأما النار فلا تمتلئ حتى

يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض فلا يظلم الله

من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا). قال علماءنا رحمهم الله: أما معنى القدم

هنا فهم قوم يقدمهم الله إلى النار، وقد سبق في علمه أنهم من أهل النار. وكذلك الرجل

وهو العدد الكثير من الناس وغيرهم، يقال: رأيت رجلا من الناس ورجلا من جراد، قال الشاعر:

فمر بنا رجل من الناس وانزوى \* إليهم من الحي اليمانين أرجل

قبائل من لحم وعكل وحمير \* على ابني نزار بالعداوة أحفل

ويبين هذا المعنى ما روي عن ابن مسعود أنه قال: ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع

ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه، فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه

وصفته، فإذا استوفى [كل واحد منهم (٢)] ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قال الخزنة:

قط قط حسبنا حسبنا أي اكتفينا اكتفينا، وحينئذ تنزوي جهنم على من فيها وتنطبق إذ لم يبق أحد ينتظر. فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم، ويشهد لهذا التأويل قوله

في نفس الحديث: (ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة)

وقد زدنا هذا المعنى بيانا ومهدناه في كتاب الأسماء والصفات من الكتاب الأسنى والحمد لله.

وقال النضر بن شميل في معنى قوله عليه السلام: (حتى يضع الجبار فيها قدمه) أي من سبق في علمه أنه من أهل النار.

قوله تعالى: (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) أي قربت منهم. وقيل: هذا قبل الدخول في الدنيا، أي قربت من قلوبهم حين قيل لهم اجتنبوا المعاصي. وقيل: بعد

## الدخول

- 
- (١) ينزوي بعضها إلى بعض: أي تنقبض على من فيها، وتشتغل بعذابهم، وتكف عن سؤال هل من مزيد.  
(هامش مسلم).  
(٢) الزيادة من ن.



قربت لهم مواضعهم فيها فلا تبعد. (غير بعيد) أي منهم وهذا تأكيد. (هذا ما توعدون) أي ويقال لهم هذا الجزاء الذي وعدتم في الدنيا على السنة الرسل. وقراءة العامة (توعدون)

بالتاء على الخطاب. وقرأ ابن كثير بالياء على الخبر، لأنه أتى بعد ذكر المتقين. (لكل أبواب

حفيظ) أبواب أي رجاع إلى الله عن المعاصي، ثم يرجع يذنب ثم يرجع، هكذا قاله الضحاك وغيره. وقال ابن عباس وعطاء: الأبواب المسبح من قوله: (يا جبال أوبي معه ((١)).

وقال الحكم بن عتيبة: هو الذاكِر لله تعالى في الخلوة. وقال الشعبي ومجاهد: هو الذي يذكر

ذنوبه في الخلوة فيستغفر الله منها. وهو قول ابن مسعود. وقال عبيد بن عمير: هو الذي

لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله تعالى فيه. وعنه قال: كنا نحدث أن الأبواب الحفيظ الذي

إذا قام من مجلسه قال سبحان الله وبحمده، اللهم إني أستغفرك مما أصبت في مجلسي هذا.

وفي الحديث: (من قال إذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك

وأتوب إليك غفر الله له ما كان في ذلك المجلس). وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم

يقول. وقال بعض العلماء: أنا أحب أن أقول أستغفرك وأسألك التوبة، ولا أحب أن أقول وأتوب إليك إلا على حقيقته.

قلت: هذا استحسان وأتباع الحديث أولى. وقال أبو بكر الوراق: هو المتوكل على الله في السراء والضراء. وقال القاسم: هو الذي لا يشتغل إلا بالله عز وجل. (حفيظ)

قال

ابن عباس: هو الذي حفظ ذنوبه حتى يرجع عنها. وقال قتادة: حفيظ لما أستودعه الله من حقه ونعمته وأتمنه عليه. وعن ابن عباس أيضا: هو الحافظ لأمر الله. مجاهد: هو

الحافظ لحق الله تعالى بالاعتراف ولنعمه بالشكر. قال الضحاك: هو الحافظ لوصية الله تعالى

بالقبول. وروى مكحول عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حافظ

على أربع ركعات من أول النهار كان أوابا حفيظا) ذكره الماوردي.

قوله تعالى: (من خشى الرحمن بالغيب) (من) في محل خفض على البدل من قوله:

(لكل أواب حفيظ) أوفي موضع الصفة ل (أواب). ويجوز الرفع على الاستئناف،  
والخبير

-----  
(١) راجع ج ١٤ ص ٢٦٤

(ادخلوها) على تقدير حذف جواب الشرط والتقدير فيقال لهم: (أدخلوها). والخشية بالغيب أن تخافه ولم تره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حين لا يراه أحد. وقال

الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب. (وجاء بقلب منيب) مقبل على الطاعة. وقيل: مخلص. وقال أبو بكر الوراق: علامة المنيب أن يكون عارفا لحرمة ومواليها له، متواضعا

لجلاله تاركا لهوى نفسه.

قلت: ويحتمل أن يكون القلب المنيب القلب السليم، كما قال تعالى: (إلا من أتى الله بقلب سليم) على ما تقدم (١)، والله أعلم. (ادخلوها) أي يقال لأهل هذه الصفات: (أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) أي بسلامة من العذاب. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامة من زوال النعم. وقال: (أدخلوها) وفي أول الكلام (من خشي)، لأن (من) تكون بمعنى الجمع.

قوله تعالى: (لهم ما يشاءون فيها) يعني ما تشتهيهم أنفسهم وتلد أعينهم. (ولدينا مزيد) من النعم مما لم يخطر على بالهم. وقال أنس وجابر: المزيد النظر إلى وجه الله تعالى

بلا كيف. وقد ورد ذلك في أخبار مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:

(للذين أحسنوا الحسنى (٢) وزيادة) قال: الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم. وذكر ابن المبارك

ويحيى بن سلام، قالوا: أخبرنا المسعودي عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله

ابن عتبة عن ابن مسعود قال: تسارعوا إلى الجمعة فإن الله تبارك وتعالى يبرز لأهل الجنة

كل يوم جمعة في كتيب من كافور أبيض فيكونون منه في القرب. قال ابن المبارك: على

قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا. وقال يحيى بن سلام: لمسارعتهم إلى الجمع في الدنيا،

وزاد (فيحدث الله لهم من الكرامة شيئا لم يكونوا رأوه قبل ذلك). قال يحيى: وسمعت

غير المسعودي يزيد فيه قوله تعالى: (ولدينا مزيد).

(١) راجع ج ١٣ ص ١١٤.

(٢) راجع ج ٨ ص ٣٣٠.



(۲۱)

قلت: قوله (في كتيب) يريد أهل الجنة، أي وهم على كتب، كما في مرسل الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أهل الجنة ينظرون ربهم في كل يوم جمعة على

كتيب من كافور) الحديث. وقد ذكرناه في كتاب (التذكرة). وقيل: إن المزيد ما يزوجون به من الحور العين، رواه أبو سعيد الخدري مرفوعا. قوله تعالى: وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص (٣٦) ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (٣٧) ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (٣٨) قوله تعالى: (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أي كم أهلكنا يا محمد قبل قومك من أمة هم أشد منهم بطشا وقوة. (فنقبوا في البلاد) أي ساروا فيها طلبا للمهرب. وقيل: أثروا في البلاد، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: ضربوا وطافوا. وقال النضر بن شميل: دوروا. وقال قتادة: طوفوا. وقال المؤرج تباعدوا، ومنه قول امرئ القيس: وقد نقت في الآفاق حتى \* رضيت من الغنيمة بالإياب ثم قيل: طافوا في أقاصي البلاد طلبا للتجارات، وهل وجدوا من الموت محيصا؟ وقيل: طوفوا في البلاد يلتمسون محيصا من الموت. قال الحرث بن حلزة: نقبوا في البلاد من حذر الموت \* وجالوا في الأرض كل مجال وقرأ الحسن وأبو العالية (فنقبوا) بفتح القاف وتخفيفها. والنقب هو الخرق والدخول في الشيء. وقيل: النقب الطريق في الجبل، وكذلك المنقب والمنقبة، عن ابن السكيت. ونقب الجدار نقبا، واسم تلك النقبة نقب أيضا، وجمع النقب النقوب، أي خرقوا البلاد وساروا في نقوبها. وقيل: أثروا فيها كتأثير الحديد فيما ينقب. وقرأ السلمي يحيى بن يعمر (فنقبوا) بكسر القاف والتشديد على الأمر بالتهديد والوعيد، أي طوفوا البلاد وسيروا

فيها فانظروا (هل من) الموت (محيص) ومهرب، ذكره الثعلبي. وحكى القشيري (فنقبوا) بكسر القاف مع التخفيف، أي أكثروا السير فيها حتى نقتب دوابهم الجوهري: ونقب البعير بالكسر إذا رقت أخفافه، وأنقب الرجل إذا نقب بغيره، ونقب الخف الملبوس

أي تخرق. والمحيص مصدر حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا،

أي عدل وحاد. يقال: ما عنه محيص أي محيد ومهرب. والانحياص مثله، يقال للأولياء:

حاصوا عن العدو وللأعداء انهزموا.

قوله تعالى: (ان في ذلك لذكرى) أي فيما ذكرناه في هذه السورة تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) أي عقل يتدبر به، فكنى بالقلب عن العقل لأنه موضعه، قال معناه مجاهد وغيره. وقيل: لمن كان له حياة ونفس مميزة، فعبر عن النفس الحية بالقلب، لأنه

وطنها ومعدن حياتها، كما قال امرؤ القيس:

أغرك مني أن حبك قاتلي \* وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وفي التنزيل: (لينذر من كان حيا (١)). وقال يحيى بن معاذ: القلب قلبان، قلب محتش بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من الأمور الآخرة لم يدر ما يصنع، وقلب قد احتشى بأهوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة.

(أو ألقى السمع) أي أستمع القرآن. تقول العرب: ألق إلى سمعك أي أستمع. وقد مضى

في (طه (٢)) كيفية الاستماع وثمرته. (وهو شهيد) أي شاهد القلب، قال الزجاج: أي قلبه

حاضر فيما يسمع. وقال سفيان: أي لا يكون حاضرا وقلبه غائب. ثم قيل: الآية لأهل الكتاب، قاله مجاهد وقتادة. وقال الحسن: إنها في اليهود والنصارى خاصة. وقال محمد

ابن كعب وأبو صالح: إنها في أهل القرآن خاصة.

قوله تعالى: (ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) تقدم في (الأعراف (٣)) وغيرها. واللغوب التعب والاعياء، تقول منه: لغب

(١) راجع ج ١٥ ص ٥٥

(٢) راجع ج ١١ ص ١٧٦

(٣) راجع ج ٧ ص ٢١٨



(۲۳)

يلعب بالضم لغوبا، ولعب بالكسر يلعب لغوبا لغة ضعيفة فيه. وألغبته أنا أي أنصبتة.  
قال قتادة والكلبى: هذه الآية نزلت في يهود المدينة، زعموا أن الله تعالى خلق  
السموات  
والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت،  
فجعلوه  
راحة، فأكذبهم الله تعالى في ذلك.

قوله تعالى: فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع  
الشمس وقبل الغروب (٣٩) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود (٤٠)  
فيه خمس مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (فاصبر على ما تقولون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم،  
أمره بالصبر على ما يقوله المشركون، أي هون أمرهم عليك. ونزلت قبل الأمر بالقتال  
فهى منسوخة. وقيل: هو ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته. وقيل معناه: فاصبر  
على ما يقوله اليهود من قولهم: إن الله استراح يوم السبت.

الثانية - قوله تعالى: (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) قيل: إنه  
أراد (١) به الصلوات الخمس. قال أبو صالح: قبل طلوع الشمس صلاة الصبح، وقبل  
الغروب

صلاة العصر. ورواه جرير بن عبد الله مرفوعا، قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله  
عليه وسلم

إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: (أما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا  
تضامون

في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - يعني  
العصر والفجر ثم قرأ جرير - (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها  
(((٢)))

متفق عليه واللفظ لمسلم. وقال ابن عباس: (قبل الغروب) الظهر والعصر. (ومن  
الليل فسبحه) يعني صلاة العشاءين. وقيل: المراد تسبيحه بالقول تنزيها قبل طلوع  
الشمس وقبل الغروب، قاله عطاء الخراساني وأبو الأحوص. وقال بعض العلماء في  
قوله:

(قبل طلوع الشمس) قال ركعتي الفجر (وقبل الغروب) الركعتين قبل المغرب، وقال  
ثمامة

(١) في ح، ه ن: (يراد).  
(٢) راجع ج ١١ ص ٢٦١.





ابن عبد الله بن أنس: كان ذوو الألباب من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصلون الركعتين قبل المغرب. وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: كنا بالمدينة فإذا أذن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السواري (١) فركعوا ركعتين، حتى إن الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب أن الصلاة قد صليت من كثرة من يصليهما. وقال قتادة: ما أدركت أحدا يصلي الركعتين إلا أنسا وأبا برزة الأسلمي.

الثالثة - قوله تعالى: (ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) فيه أربعة أقوال: الأول - هو تسبيح الله تعالى في الليل، قال أبو الأحوص. الثاني - أنها صلاة الليل كله، قال مجاهد. الثالث - أنها ركعتا الفجر، قاله ابن عباس. الرابع - أنها صلاة العشاء الآخرة، قاله ابن زيد. قال ابن العربي: من قال إنه التسبيح في الليل فيعضده الصحيح (من تعار (٢) من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). وأما من قال إنها الصلاة بالليل فإن الصلاة تسمى تسبيحا لما فيها من تسبيح

الله، ومنه سبحة الضحى. وأما من قال إنها صلاة الفجر أو العشاء فلأنهما من صلاة الليل، والعشاء أوضحه. الرابعة - قوله تعالى: (وأدبار السجود) قال عمر وعلي وأبو هريرة والحسن بن علي والحسن البصري والنخعي والشعبي والأوزاعي والزهري: أدبار السجود الركعتان بعد المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، ورواه العوفي عن ابن عباس، وقد رفعه ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ركعتان بعد المغرب أدبار السجود)

ذكره الثعلبي. ولفظ الماوردي: وروي عن ابن عباس قال: بت ليلة عند النبي صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة فقال: (يا بن عباس ركعتان قبل الفجر أدبار النجوم وركعتان بعد المغرب أدبار السجود). وقال أنس: قال النبي صلى الله

(١) ابندروا السوارى: أى سارعوا إليها، والسوارى جمع السارىة وهى العمود، أى يقف كل مصل خلف العمود لئلا يقع المرور بين يديه فى صلاته منفردا.  
(٢) تعار: استىقظ.

عليه وسلم (من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين). قال أنس

فقرأ في الركعة الأولى (قل يا أيها الكافرون) وفي الثانية (قل هو الله أحد) قال مقاتل: ووقتها ما لم يغرب الشفق الأحمر. وعن ابن عباس أيضا: هو الوتر. قال ابن زيد: هو النوافل

بعد الصلوات، ركعتان بعد كل صلاة مكتوبة، قال النحاس: والظاهر يدل على هذا إلا أن

الأولى اتباع الأكثر وهو صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال أبو الأحوص:

هو التسبيح في أدبار السجود. قال ابن العربي وهو الأقوى في النظر. وفي صحيح الحديث:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر الصلاة المكتوبة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي

لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (١)) وقيل: إنه منسوخ بالفرائض فلا يجب على أحد

إلا خمس صلوات، نقل ذلك الجماعة.

الخامسة - قرأ نافع وابن كثير وحمزة (وإدبار السجود) بكسر الهمزة على المصدر من أدبر الشيء إدبارا إذا ولى. الباقيون بفتحها جمع دبر. وهي قراءة علي وابن عباس، ومثلها

طنب وأطناب، أو دبر كقفل وأقفال. وقد استعملوه ظرفا نحو جئتكم في دبر الصلاة وفي أدبار الصلاة. ولا خلاف في آخر (والطور). (وإدبار النجوم) أنه بالكسر مصدر، وهو ذهاب ضوئها إذا طلع الفجر الثاني، وهو البياض المنشق من سواد الليل.

قوله تعالى: واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب (٤١)

يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٤٢) انا نحن نحى

ونميت والينا المصير (٤٣) يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك

حشر علينا يسير (٤٤) نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار

فذكر بالقرءان من يخاف وعيد (٤٥)

---

(١) (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه وإنما ينفعه الايمان والطاعة. (النهاية لابن الأثير).



قوله تعالى: (واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب) مفعول الاستماع محذوف، أي استمع النداء والصوت أو الصيحة وهي صيحة القيامة، وهي النفخة الثانية، والمنادي جبريل. وقيل: إسرئيل. الزمخشري: وقيل إسرئيل ينفخ وجبريل ينادي، فينادي بالحشر ويقول: هلموا إلى الحساب فالنداء على هذا في المحشر. وقيل: واستمع نداء الكفار

بالويل والثبور من مكان قريب، أي يسمع الجميع فلا يبعد أحد عن ذلك النداء. قال عكرمة:

ينادي منادي الرحمن فكأنما ينادي في آذانهم. وقيل: المكان القريب صخرة بيت المقدس.

ويقال: إنها وسط الأرض وأقرب الأرض من السماء باثني عشر ميلاً. وقال كعب: بثمانية

عشر ميلاً، ذكر الأول القشيري والزمخشري، والثاني الماوردي. فيقف جبريل أو إسرئيل

على الصخرة فينادي بالحشر: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، ويا عظاما نخرة، ويا أكفانا

فانية، ويا قلوبا خاوية، ويا أبدانا فاسدة، ويا عيوننا سائلة، قوموا لعرض رب العالمين. قال قتادة: هو إسرئيل صاحب الصور. (يوم يسمعون الصيحة بالحق) يعني صيحة

البعث. ومعنى (الخروج) الاجتماع إلى الحساب. (ذلك يوم الخروج) أي يوم الخروج من

القبور. (انا نحن نحوي ونميت) نميت الاحياء ونحوي الموتى، أثبت هنا الحقيقة (يوم تشقق

الأرض عنهم سراعاً) إلى المنادي صاحب الصور إلى بيت المقدس. (ذلك حشر علينا يسير)

أي هين سهل. وقرأ الكوفيون (تشقق) بتخفيف الشين على حذف التاء الأولى. الباقر

بإدغام التاء في الشين. وأثبت ابن محيصة وابن كثير ويعقوب ياء (المنادي) في الحاليين على

الأصل، وأثبتها نافع وأبو عمرو في الوصل لا غير، وحذف الباقر في الحاليين. قلت: وقد زادت السنة هذه الآية بيانا، فروى الترمذي عن معاوية بن حيدة عن النبي

صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره، قال وأشار بيده إلى الشام فقال: (من ها هنا إلى ها هنا

تحشرون ركباناً ومشاة وتجرون على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام توفون سبعين أمة

أنتم خيرهم وأكرمهم على الله وإن أول ما يعرب عن أحدكم فخذه) في رواية أخرى

(فخذه  
وكفه) وخرج علي بن معبد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث  
ذكره:

ثم يقول - يعني الله تعالى - لإسرافيل: (أنفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الأرواح  
كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي  
ليرجعن

كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد ثم تدخل في الخياشيم  
فتمشي  
في الأجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الأرض عنكم وأنا أول من تنشق عنه الأرض  
فتخرجون منها شبابا كلكم أبناء ثلاث وثلاثين واللسان يومئذ بالسريانية) وذكر  
الحديث،

وقد ذكرنا جميع هذا وغيره في (التذكرة) مستوفى والحمد لله.  
قوله تعالى: (نحن أعلم بما يقولون) أي من تكذيبك وشتمك. (وما أنت عليهم  
بجبار) أي بمسلط تجبرهم على الاسلام، فتكون الآية منسوخة بالامر بالقتال. والجبار  
من

الجبرية والتسلط إذ لا يقال جبار بمعنى مجبر، كما لا يقال خراج بمعنى مخرج،  
حكاة القشيري.

النحاس: وقيل معنى جبار لست تجبرهم، وهو خطأ لأنه لا يكون فعال من أفعل.  
وحكى

الثعلبي: وقال ثعلب قد جاءت أحرف فعال بمعنى مفعول وهي شاذة، جبار بمعنى  
مجبر، ودراك

بمعنى مدرك، وسراع بمعنى مسرع، وبكاء بمعنى مبك، وعداء بمعنى معد. وقد قرئ  
(وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (١)) بتشديد الشين بمعنى المرشد وهو موسى. وقيل:  
هو الله.

وكذلك قرئ (أما السفينة فكانت لمساكين (٢)) يعني ممسكين. وقال أبو حامد الخار  
زنجي (٣):

تقول العرب: سيف سقاط بمعنى مسقط. وقيل: (بجبار) بمسيطر كما في الغاشية (٤)  
(لست

عليهم بمصيطر). وقال الفراء: سمعت من العرب من يقول جبره على الامر أي قهره،  
فالجبار من هذه اللغة بمعنى القهر صحيح. قيل: الجبار من قولهم جبرته على الامر أي  
أجبرته وهي لغة كنانية وهما لغتان. الجوهري: وأجبرته على الامر أكرهته عليه،  
وأجبرته

أيضا نسبته إلى [الجبر، كما تقول أكفرتة إذا نسبته إلى الكفر (٥)]. (فذكر بالقرآن  
من يخاف

وعيد) قال ابن عباس: قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت: (فذكر بالقرآن من يخاف  
وعيد)



أي ما أعدده لمن عصاني من العذاب، فالوعيد العذاب والوعد الثواب، قال الشاعر:

-----  
(١) راجع ج ١٥ ص ٣١٠.

(٢) راجع ج ١١ ص ٣٤.

(٣) الخارزنجي: نسبة إلى خارزنج قرية بنواحي نيسابور.

(٤) راجع ج ٢٠ ص ٣٧.

(٥) الزيادة من الصحاح الجوهري.

وإني وإن أوعدته أو وعدته \* لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي  
وكان قتادة يقول: اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك. وأثبت الياء  
في (وعيدي) يعقوب في الحالين، وأثبتها ورش في الوصل دون الوقف، وحذف الباقون  
في الحالين. والله أعلم. تم تفسير سورة (ق) والحمد لله.

سورة والذاريات

مكية في قول الجميع، وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا (١) فالحاملات وقرا (٢) فالجاريات يسرا (٣)

فالمقسمات أمرا (٤) انما توعدون لصادق (٥) وان الدين

لواقع (٦)

قوله تعالى: (والذاريات ذروا) قال أبو بكر الأنباري: حدثنا عبد الله بن ناجية،  
حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا مكّي بن إبراهيم، حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن، عن  
يزيد

ابن خصيفة، عن السائب بن يزيد أن رجلا قال لعمر رضي الله عنه: إني مررت برجل  
(١) يسأل

عن تفسير مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم أمكني منه، فداخل الرجل على عمر يوما  
وهو لا بس

ثيابا وعمامة وعمر يقرأ القرآن، فلما فرغ قام إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين ما  
الذاريات

ذروا) فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده، ثم قال: ألبسوه ثيابه واحملوه على  
قتب

وأبلغوا به حيه، ثم ليقم خطيبا فليقل: إن صبيغا (١) طلب العلم فأخطأه، فلم يزل  
وضيعا في قومه

بعد أن كان سيذا فيهم. وعن عامر بن واثلة أن ابن الكواء سأل عليا رضي الله عنه،  
فقال:

يا أمير المؤمنين ما (الذاريات ذروا) [قال]: ويلك سل تفقها ولا تسأل تعنتا

(والذاريات ذروا) الرياح (فالحاملات وقرا) السحاب (فالجاريات يسرا) السفن

(فالمقسمات أمرا) الملائكة. وروى الحرث عن علي رضي الله عنه (والذاريات ذروا)

(١) هو صبيغ - كأمر - بن عسل - بكسر العين - كان يعنت الناس بالغوامض والسؤلات من متشابه  
القرآن فنفاه عمر إلى البصرة بعد ضربه، وكتب إلى وإليها الا يؤويه، ونهى عن مجالسته (التاج).



قال: الرياح (فالحاملات وقرأ) قال: السحاب تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع  
الوقر

(فالجاريات يسرا) قال: السفن موقرة (فالمقسمات أمرا) قال: الملائكة تأتي بأمر  
مختلف، جبريل بالغلظة، وميكائيل صاحب الرحمة، وملك الموت يأتي بالموت. وقال  
الفراء: وقيل تأتي بأمر مختلف من الخصب والجذب والمطر والموت والحوادث (١).  
ويقال:

ذرت الريح التراب تذروه ذروا وتذرية ذريا. ثم قيل: (والذاريات) وما بعده أقسام،  
وإذا أقسم الرب بشئ أثبت له شرفا. وقيل: المعنى ورب الذاريات، والجواب  
(إنما توعدون) أي الذي توعدونه من الخير والشر والثواب والعقاب (لصادق) لا كذب  
فيه، ومعنى (لصادق) لصدق، وقع الاسم موقع المصدر. (وان الدين لواقع) يعني  
الجزاء نازل (٢) بكم. ثم ابتدا أقسما آخر فقال: (والسماء ذات الحبك. انكم لفي قول  
مختلف)

وقيل: إن الذاريات النساء الولودات لأن في ذرايتهن ذرو الخلق، لأنهن يذرين الأولاد  
فصرن ذاريات، وأقسم بهن لما في ترائبهن من خيرة عباده الصالحين. وخص النساء  
بذلك دون الرجال وإن كان كل واحد منهما ذاريا لامرين: أحدهما لأنهن أوعية دون  
الرجال، فلاجتماع الذروين فيهن خصصن بالذكر. الثاني - أن الذرو فيهن أطول زمانا،  
وهن بالمباشرة أقرب عهدا. (فالحاملات وقرأ) السحاب. وقيل: الحاملات من النساء  
إذا ثقلن بالحمل. والوقر بكسر الواو ثقل الحمل على ظهر أو في بطن، يقال: جاء  
يحمل

وقره وقد أوقر بغيره. وأكثر ما يستعمل الوقر في حمل البغل والحمار، والوسق في  
حمل

البعير. وهذه امرأة موقرة بفتح القاف إذا حملت حملا ثقيلًا. وأوقرت النخلة كثر  
حملها،

يقال: نخلة موقرة وموقر وموقرة، وحكي موقر وهو على غير القياس، لان الفعل للنخلة.  
وإنما قيل: موقر بكسر القاف على [قياس (٣)] قولك امرأة حامل، لان حمل الشجر  
مشبه بحمل

النساء، فأما موقر بالفتح فشاذ، وقد روي في قول لبيد يصف نخيلا:  
عصب كوارع في خليج محلم \* حملت فمناها موقر مكمووم

(١) في ل، ن: (الخوارق).

(٢) في ز، ل، ن: (النازل).

(٣) الزيادة من كتب اللغة.



والجمع موافر. فأما الوقر بالفتح فهو ثقل الاذن، وقد وقرت أذنه توقر وقرأ أي صمت، وقياس مصدره التحريك إلا أنه جاء بالتسكين وقد تقدم في (الانعام (١) القول فيه. (فالجاريات يسرا) السفن تجري بالرياح يسرا إلى حيث سيرت. وقيل: السحاب، وفي جريها يسرا على هذا القول وجهان: أحدهما - إلى حيث يسيرها الله تعالى من البلاد

والبقاع. الثاني - هو سهولة تسييرها، وذلك معروف عند العرب، كما قال الأعشى:  
كأن مشيتها من بيت جاريتها \* مشي السحابة لا ريث ولا عجل  
قوله تعالى: والسماء ذات الحبك (٧) انكم لفي قول  
مختلف (٨) يؤفك عنه من أفك (٩) قتل الخراصون (١٠) الذين  
هم في غمرة ساهون (١١) يسئلون أيا ن يوم الدين (١٢) يوم هم على  
النار يفتنون (١٣) ذوقوا فتنكم هذا الذي كنتم به تستعجلون (١٤)  
قوله تعالى: (والسماء ذات الحبك) قيل: المراد بالسماء ها هنا السحب التي تظل  
الأرض. وقيل: السماء المرفوعة. ابن عمر: هي السماء السابعة، ذكره المهدي  
والثعلبي

والموردي وغيرهم. وفي (الحبك) أقوال سبعة: الأول - قال ابن عباس وقتادة ومجاهد  
والربيع: ذات الخلق الحسن المستوي. وقاله عكرمة، قال: ألم تر إلى النساج إذا نسج  
الثوب فأجاد نسجه، يقال منه حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا أي أجاد نسجه. قال  
ابن

الأعرابي: كل شيء أحكمته وأحسن عمله فقد احتبكته. والثاني - ذات الزينة، قاله  
الحسن وسعيد بن جبير، وعن الحسن أيضا: ذات النجوم وهو الثالث. الرابع - قال  
الضحاك: ذات الطرائق، يقال لما تراه في الماء والرمل إذا أصابته الريح حبك. ونحوه  
قول الفراء، قال: الحبك تكسر كل شيء كالرمل إذا مرت به الريح الساكنة، والماء  
القائم

(١) راجع ج ٦ ص ٤٠٤.

إذا مرت به الريح، ودرع الحديد لها حبك، والشعرة الجعدة تكسرهما حبك. وفي حديث

الدجال: أن شعره حبك. قال زهير:

مكلل بأصول النجم تنسجه \* ريح خريق لضاحي مائه حبك (١)  
ولكنها تبعد من العباد فلا يرونها. الخامس - ذات الشدة، قاله ابن زيد، وقرأ  
(وبنينا فوقكم سبعا شدادا (٢)). والمحبوك الشديد الخلق من الفرس وغيره، قال  
امرؤ القيس:

قد غدا يحملني في أنفه \* لا حق الإطلين (٣) محبوك ممر  
وقال آخر:

مرج الدين فأعددت له \* مشرف الحارك محبوك الكند (٤)  
وفي الحديث: أن عائشة رضي الله عنها كانت تحتك تحت الدرع في الصلاة، أي  
تشد الإزار

وتحكمه. السادس - ذات الصفاقة، قاله خصيف، ومنه ثوب صفيق ووجه صفيق بين  
الصفاقة. السابع: أن المراد بالطرق المجرة التي في السماء، سميت بذلك لأنها كأثر  
المجر.

و (الحبك) جمع حباك، قال الراجز:

كأنما جللها الحواك \* طنفسة في وشيها حباك

والحباك والحبيكة الطريقة في الرمل ونحوه. وجمع الحباك حبك وجمع الحبيكة  
حباتك،

والحبيكة مثل العبكة وهي الحبة من السويق، عن الجوهري. وروي عن الحسن في  
قوله:

(ذات الحبك) (الحبك) و (الحبك) و (الحبك) والحبك والحبك [وقرأ أيضا  
(الحبك)]

كالجماعة. وروي عن عكرمة وأبي مجلز (الحبك). و (الحبك) واحدها حبيكة،  
(والحبك)

منخفف منه. و (الحبك) واحدها حبكة. ومن قرأ (الحبك) فالواحدة حبكة كبرقة  
وبرق أو حبكة كظلمة وظلم. ومن قرأ (الحبك) فهو كإبل وإطل (٣) و (الحبك)  
منخفة منه.

(١) النجم: كل شئ من النبات ليس له ساق ينبت حول الماء كالا كليل. ريح خريق: شديدة. لضاحي  
مائه: ماضحا للشمس من الماء أي برز. والبيت في وصف غدير.

(٢) راجع ج ١٩ ص ١٦٩

(٣) الإطل: الخاصرة كلها. وقيل: غير ذلك.

(٤) البيت لأبي دؤاد يصف فرسا. والكتد - بفتح التاء وكسرهما - : مجتمع الكتفين من الانسان والفرس.



ومن قرأ (الحبك) فهو شاذ إذ ليس في كلام العرب فعل، وهو محمول على تداخل اللغات،

كأنه كسر الحاء ليكسر الباء ثم تصور (الحبك) فضم الباء. وقال جميعه المهدوي. قوله تعالى: (انكم لفي قول مختلف) هذا جواب القسم الذي هو (والسماء) أي إنكم يا أهل مكة (في قول مختلف) في محمد والقرآن فمن مصدق ومكذب. وقيل: نزلت

في المقتسمين. وقيل: اختلافهم قولهم ساحر بل شاعر بل أفتراه بل هو مجنون بل هو كاهن

بل هو أساطير الأولين. وقيل: اختلافهم أن منهم من نفى الحشر ومنهم من شك فيه. وقيل: المراد عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره. قوله تعالى: (يؤفك عنه من أفك) أي يصرف عن الايمان بمحمد والقرآن من صرف، عن الحسن وغيره. وقيل: المعنى يصرف عن الايمان من أراده بقولهم هو سحر وكهانة وأساطير الأولين. وقيل: المعنى يصرف عن ذلك الاختلاف من عصمه الله. أفكه يأفكه أفكا أي قلبه وصرفه عن الشيء، ومنه قوله تعالى: (أجئتنا لتأفكنا (١)) وقال مجاهد: معنى (يؤفك عنه من أفك) يؤفن عنه من أفن، والافن فساد العقل. الزمخشري: وقرئ (يؤفن عنه من أفن) أي يحرمه من حرم، من أفن الضرع إذا أنهكه حلبا. وقال قطرب: يخذع عنه من خدع. وقال اليزيدي: يدفع عنه من دفع. والمعنى واحد وكله راجع إلى معنى الصرف.

قوله تعالى: (قتل الخراصون) في التفسير: لعن الكذابون. وقال ابن عباس: أي قتل المرتابون، يعني الكهنة. وقال الحسن: هم الذين يقولون لسنا نبعث. ومعنى (قتل) أي هؤلاء ممن يجب أن يدعى عليهم بالقتل على أيدي المؤمنين. وقال الفراء: معنى (قتل) لعن، قال: و (الخراصون) الكذابون الذين يتخرصون بما لا يعلمون، فيقولون:

إن محمدا مجنون كذاب ساحر شاعر، وهذا دعاء عليهم، لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول

الهالك. قال ابن الأنباري: علمنا الدعاء عليهم، أي قولوا: (قتل الخراصون) وهو جمع خارص والخرص الكذب والخراص الكذاب، وقد خرص يخرص بالضم خرصا أي كذب،

(١) راجع ج ١٦ ص ٢٠٥

يقال: خرص واخترص، وخلق واختلق، وبشك وابتشك، وسرج واسترج، ومان، بمعنى كذب، حكاة النحاس. والخرص أيضا حزر ما على النخل من الرطب تمرا. وقد

خرصت

النخل والاسم الخرص بالكسر، يقال: كم خرص نخلك والخراص الذي يخرصها فهو مشترك.

وأصل الخرص القطع على ما تقدم بيانه في (الانعام (١)) ومنه الخريص للخليج، لأنه ينقطع

إليه الماء، والخرص حبة القرط إذا كانت منفردة، لانقطاعها عن أخواتها، والخرص العود، لانقطاعه عن نظائره بطيب رائحته. والخرص الذي به جوع وبرد لأنه ينقطع به، يقال: خرص الرجل بالكسر فهو خرص، أي جائع مقرر، ولا يقال للجوع بلا برد خرص.

ويقال للبرد بلا جوع خرص. والخرص بالضم والكسر الحلقة من الذهب أو الفضة والجمع

الخرصان. ويدخل في الخرص قول المنجمين وكل من يدعي الحدس والتخمين. وقال ابن عباس: هم المقتسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة، واقتسموا القول في نبي الله صلى

الله عليه وسلم، ليصرفوا الناس عن الايمان به.

قوله تعالى: (الذين هم في غمرة ساهون) الغمرة ما ستر الشئ وغطاه. ومنه نهر غمر أي يغمر من دخله، ومنه غمرات الموت. (ساهون) أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة.

قوله تعالى: (يسألون أيان يوم الدين) أي متى يوم الحساب، يقولون ذلك

استهزاء وشكا في القيامة. (يوم هم على النار يفتنون) نصب (يوم) على تقدير الجزاء أي هذا الجزاء (يوم هم على النار يفتنون) أي يحرقون، وهو من قولهم: فتنت الذهب

أي أحرقته لتختبره، وأصل الفتنة الاختبار. وقيل: إنه مبني بني لإضافته إلى غير متمكن، وموضعه نصب على التقدير المتقدم، أو رفع على البدل من (يوم الدين). وقال الزجاج:

يقول يعجبني يوم أنت قائم ويوم أنت تقوم، وإن شئت فتحت وهو في موضع رفع، فإنما

أنتصب هذا وهو في المعنى رفع. وقال ابن عباس: (يفتنون) يعذبون. ومنه قول الشاعر: كل امرئ من عباد الله مضطهد \* بيطن مكة مقهور ومفتون

(١) راجع ج ٧ ص ٧١

قوله تعالى: (ذوقوا فنتنكم) أي يقال لهم ذوقوا عذابكم، قاله ابن زيد. مجاهد: حريقكم. ابن عباس: أي تكذيبكم يعني جزاءكم. الفراء: أي عذابكم (الذي كنتم به تستعجلون)

في الدنيا. وقال: (هذا) ولم يقل هذه، لان الفتنة هنا بمعنى العذاب. قوله تعالى: ان المتقين في جنات وعيون (١٥) آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين (١٦)

قوله تعالى: (ان المتقين في جنات وعيون) لما ذكر مال الكفار ذكر مال المؤمنين أي هم في بساتين فيها عيون جارية على نهاية ما ينتزه به. (آخذين) نصب على

الحال. (ما آتاهم ربهم) أي ما أعطاهم من الثواب وأنواع الكرامات، قاله الضحاك. وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: (آخذين ما آتاهم ربهم) أي عاملين بالفرائض. (انهم كانوا قبل ذلك) أي قبل دخولهم الجنة في الدنيا (محسنين) بالفرائض. وقال ابن عباس: المعنى كانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين في أعمالهم. قوله تعالى: كانوا قليلا من الليل ما يهجون (١٧) وبالأسحار هم يستغفرون (١٨) وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (١٩) فيه خمس مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) معنى (يهجعون) ينامون، والهجوع النوم ليلا، والتهجاع النوم الخفيفة، قال أبو قيس بن الأسلت: قد حصت البيضة رأسي فما \* أطعم نوما غير تهجاع وقال عمرو بن معدى كرب يتشوق أخته وكان أسرها الصمة أبو دريد بن الصمة: أمن ريحانة الداعي السميع \* يؤرقني وأصحابي هجوع يقال: هجع يهجع هجوعا، وهبغ يهبغ هبوعا بالغين المعجمة إذا نام، قاله الجوهري. وأختلف في (ما) فقيل: صلة زائدة - قاله إبراهيم النخعي - والتقدير كانوا قليلا من الليل

يهجعون، أي ينامون قليلا من الليل ويصلون أكثره. قال عطاء: وهذا لما أمروا بقيام الليل. وكان أبو ذر (١) يحتجز ويأخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت الرخصة (قم الليل

إلا قليلا (٢)). الآية. وقيل: ليس (ما) صلة بل الوقف عند قوله: (قليلا) ثم يبتدئ (من الليل ما يهجعون) ف (ما) للنفي وهو نفى النوم عنهم البتة. قال الحسن: كانوا لا ينامون من الليل إلا أقله وربما نشطوا فجدوا إلى السحر. روي عن يعقوب الحضرمي أنه

قال: اختلفوا في تفسير هذه الآية فقال بعضهم: (كانوا قليلا) معناه كان عددهم يسيرا ثم ابتداء فقال: (من الليل ما يهجعون) على معنى من الليل يهجعون، قال ابن الأنباري: وهذا فاسد، لان الآية إنما تدل على قلة نومهم لا على قلة عددهم، وبعد فلو ابتدأنا (من الليل ما يهجعون) على معنى من الليل يهجعون لم يكن في هذا مدح لهم، لان الناس كلهم

يهجعون من الليل إلا أن تكون (ما) جحدا. قلت: وعلى ما تأوله بعض الناس - وهو قول الضحاك - من أن عددهم كان يسيرا يكون الكلام متصلا بما قبل من قوله: (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) أي كان المحسنون

قليلا، ثم استأنف فقال: (من الليل ما يهجعون) وعلى التأويل الأول والثاني يكون (كانوا قليلا من الليل) خطابا مستأنفا بعد تمام ما تقدمه ويكون الوقف على (ما يهجعون)،

وكذلك إن جعلت (قليلا) خبر كان وترفع (ما) بقليل، كأنه قال: كانوا قليلا من الليل هجوعهم. ف (ما) يجوز أن تكون نافية، ويجوز أن تكون مع الفعل مصدرا، ويجوز أن

تكون رفعا على البدل من اسم كان، التقدير كان هجوعهم قليلا من الليل، وانتصاب قوله:

(قليلا) إن قدرت (ما) زائدة مؤكدة ب (يهجعون) على تقدير كانوا وقتنا قليلا أو هجوعا

قليلا يهجعون، وإن لم تقدر (ما) زائدة كان قوله: (قليلا) خبر كان ولم يجز نصبه ب (يهجعون)، لأنه إذا قدر نصبه ب (يهجعون) مع تقدير (ما) مصدرا قدمت الصلة على الموصول. وقال أنس وقتادة في تأويل الآية: أي كانوا يصلون بين العشاءين: المغرب

والعشاء. أبو العالية: كانوا لا ينامون بين العشاءين. وقاله ابن وهب. وقال مجاهد:

-----

(١) في ز، ل، ن: (أبو بكر).  
(٢) راجع ج ١٩ ص ٣٢

نزلت في الأنصار كانوا يصلون العشاءين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يمضون

إلى قباء. وقال محمد بن علي بن الحسين: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة. قال الحسن:

كأنه عد هجوعهم قليلا في جنب يقظتهم للصلاة. وقال ابن عباس ومطرف: قل ليلة لا تأتي

عليهم إلا يصلون لله فيها إما من أولها وإما من وسطها.

الثانية - روي عن بعض المتجهدين أنه أتاه آت في منامه فأنشده:

وكيف تنام الليل عين قريرة\* ولم تدر في أي المجالس تنزل

وروي عن رجل من الأزد أنه قال: كنت لا أنام الليل فنمت في آخر الليل، فإذا أنا بشابين أحسن ما رأيت ومعهما حلل، فوقفا على كل مصل وكسواه حلة، ثم انتهيا إلى النيام

فلم يكسواهم، فقلت لهما: اكسواني من حللكما هذا، فقالا لي: إنها ليست حلة لباس إنما

هي رضوان الله يحل على كل مصل. ويروي عن أبي خلاد أنه قال: حدثني صاحب لي قال: فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ مثلت لي القيامة، فنظرت إلى أقوام من إخواني قد

أضأت

وجوههم، وأشرقت ألوانهم، وعليهم الحلل من دون الخلائق، فقلت: ما بال هؤلاء مكتسون والناس عراة، ووجوههم مشرقة ووجوه الناس مغبرة! فقال لي قائل: الذين رأيتهم مكتسون فهم المصلون بين الأذان والإقامة، والذين وجوههم مشرقة فأصحاب السهر

والتهجد، قال: ورأيت أقواما على نجائب فقلت: ما بال هؤلاء ركبانا والناس مشاة حفاة؟

فقال لي: هؤلاء الذين قاموا على أقدامهم تقربا لله تعالى فأعطاهم الله بذلك خير الثواب، قال:

فصحت في منامي: واها للعابدين، ما أشرف مقامهم! ثم استيقظت من منامي وأنا خائف.

الثالثة - قوله تعالى: (بالأسحار هم يستغفرون) مدح ثان، أي يستغفرون من ذنوبهم، قاله الحسن. والسحر وقت يرجى فيه إجابة الدعاء. وقد مضى في (آل عمران

((١))

القول فيه. وقال ابن عمرو مجاهد: أي يصلون وقت السحر فسموا الصلاة استغفارا. وقال الحسن في قوله تعالى: (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) مدوا الصلاة من أول الليل

-----  
(١) راجع ج ٤ ص ٣٨

(٣٧)

إلى السحر ثم استغفروا في السحر. ابن وهب: هي في الأنصار، يعني أنهم كانوا يغدون من

قباة فيصلون في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم. ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب قالوا: كانوا ينضحون لناس من الأنصار بالدلاء على الثمار ثم يهجعون قليلا،

ثم يصلون آخر الليل. الضحاك: صلاة الفجر. قال الأحنف بن قيس: عرضت عملي على أعمال أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا بونا بعيدا لا نبلغ أعمالهم (كانوا قليلا من الليل

ما يهجعون) وعرضت عملي على أعمال أهل النار فإذا قوم لا خير فيهم، يكذبون بكتاب الله

وبرسوله وبالبعث بعد الموت، فوجدنا خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا.

الرابعة - قوله تعالى: (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) مدح ثالث. قال محمد بن سيرين وقتادة: الحق هنا الزكاة المفروضة. وقيل: إنه حق سوى الزكاة يصل به رحما، أو يقري به ضيفا، أو يحمل به كلا، أو يغني محروما. وقاله ابن عباس، لان السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة. ابن العربي: والأقوى في هذه الآية أنها الزكاة،

لقوله تعالى في سورة (سأل سائل): (والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم ((١))

والحق المعلوم هو الزكاة التي بين الشرع قدرها وجنسها ووقتها، فأما غيرها لمن يقول به فليس

بمعلوم، لأنه غير مقدر ولا مجنس ولا موقت.

الخامسة - قوله تعالى: (للسائل والمحروم) السائل الذي يسأل الناس لفاقته، قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما. (والمحروم) الذي حرم المال. واختلف في تعيينه، فقال ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما: المحروم المحارف الذي ليس له

في الاسلام سهم. وقالت عائشة رضي الله عنها: المحروم المحارف الذي لا يتيسر له مكسبه،

يقال: رجل محارف بفتح الراء أي محدود محروم، وهو خلاف قولك مبارك. وقد حورف

كسب فلان إذا شدد عليه في معاشه كأنه ميل برزقه عنه. وقال قتادة والزهري: المحروم

المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئا ولا يعلم بحاجته. وقال الحسن ومحمد ابن الحنفية:



المحروم الذي يجىء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم  
بعث  
سرية فأصابوا وغنموا فجاء قوم بعد ما فرغوا فنزلت هذه الآية (وفي أموالهم). وقال

-----  
(١) راجع ج ١٨ ص ٢٩١

عكرمة: المحروم الذي لا يبقى له مال. وقال زيد بن أسلم: هو الذي أصيب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته. وقال القرظي: المحروم الذي أصابته الجائحة ثم قرأ (إن لمغرمون. بل نحن محرومون) نظيره في قصة أصحاب الجنة حيث قالوا: (بل نحن محرومون) وقال أبو قلابة:

كان رجل من أهل اليمامة له مال فجاء سيل فذهب بماله، فقال رجل من أصحابه: هذا المحروم فأقسموا له. وقيل: إنه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه. وهو يروى عن ابن عباس أيضا. وقال عبد الرحمن بن حميد: المحروم المملوك. وقيل: إنه الكلب، روي أن عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة، فجاء كلب فانتزع عمر رحمه الله كتف شاة فرمى بها إليه وقال: يقولون إنه المحروم. وقيل: إنه من وجبت نفقته بالفقر من ذوي الأنساب، لأنه قد حرم كسب نفسه حتى وجبت نفقته في مال غيره. وروى ابن وهب عن مالك: أنه الذي يحرم الرزق، وهذا قول حسن، لأنه يعم جميع الأقوال. وقال الشعبي: لي اليوم سبعون سنة منذ احتلمت أسأل عن المحروم فما أنا اليوم بأعلم مني فيه يومئذ. رواه شعبة عن عاصم الأحول عن الشعبي.

وأصله في اللغة الممنوع، من الحرمان وهو المنع. قال علقمة: ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه \* أنى توجه والمحروم محروم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي لأقربنكم ولأبعدنهم) ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: وفي الأرض آيات للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٢١) وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فوبر السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣) قوله تعالى: (وفي الأرض آيات للموقنين) لما ذكر أمر الفريقين بين أن في الأرض علامات تدل على قدرته على البعث والنشور، فمنها عود النبات بعد أن صار هشيمًا،

ومنها أنه

(٣٩)

قدرا لأقوات فيها قواما للحيوانات، ومنها سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها آثار الهلاك النازل بالأمم المكذبة. والموقنون هم العارفون المحققون وحادانية ربهم، وصدق نبوة نبيهم، خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بتلك الآيات وتدبرها.

قوله تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) قيل: التقدير وفي الأرض وفي أنفسكم آيات للموقنين. وقال قتادة: المعنى من سار في الأرض رأى آيات وعبرا، ومن تفكر في نفسه

علم أنه خلق ليعبد الله. ابن الزبير ومجاهد: المراد سبيل الخلاء والبول. وقال السائب ابن شريك: يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين، ولو شرب لبنا محضا لخرج منه الماء ومنه الغائط، فتلك الآية في النفس. وقال ابن زيد: المعنى أنه خلقكم من

تراب، وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة (ثم إذا أنتم بشر (١) تنتشرون). السدي: (وفي أنفسكم) أي في حياتكم وموتكم، وفيما يدخل ويخرج من طعامكم. الحسن: وفي الهرم

بعد الشباب، والضعف بعد القوة، والشيب بعد السواد. وقيل: المعنى وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصور، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركن (٢) فيها

من العقول، وما خصت به من أنواع المعاني والفنون، وبالأسن والنطق ومخارج الحروف

والابصار والأطراف وسائر الجوارح، وتأتيها لما خلقت له، وما سوى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والثني، وأنه إذا جسا (٣) شئ منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل

(فتبارك الله أحسن الخالقين (٤)). (أفلا تبصرون) يعني بصر القلب ليعرفوا كمال قدرته.

وقيل: إنه نجح العاجز، وحرمان الحازم.

قلت: كل ما ذكر مراد في الاعتبار. وقد قدمنا في آية التوحيد من سورة (البقرة (٥)) أن ما في بدن الانسان الذي هو العالم الصغير شئ إلا وله نظير في العالم الكبير، وذكرنا هناك

من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر.

-----

- (١) راجع ج ١٤ ص ١٧  
(٢) في الأصل المطبوع: (وما فيها من العقول).  
(٣) جست اليد تبيست عظامها وقل لحمها.  
(٤) راجع ج ١٢ ص ١١٠  
(٥) راجع ج ٢ ص ٢٠٢

قوله تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) قال سعيد بن جبير والضحاك: الرزق هنا ما من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق. قال سعيد بن جبير:

كل عين قائمة فإنها من الثلج. وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم. وقال أهل المعاني: (وفي السماء رزقكم) معناه وفي المطر رزقكم، سمي المطر سماء لأنه من السماء ينزل. قال الشاعر (١):  
إذا سقط السماء بأرض قوم \* رعيناه وإن كانوا غضابا

وقال ابن كيسان: يعني وعلى رب السماء رزقكم، نظيره: (وما من دابة في الأرض) إلا على الله رزقها (٢)). وقال سفيان الثوري: (وفي السماء رزقكم) أي عند الله في السماء

رزقكم. وقيل: المعنى وفي السماء تقدير رزقكم، وما فيه لكم مكتوب في أم الكتاب. وعن

سفيان قال: قرأ واصل الأحذب (وفي السماء رزقكم) فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا

أطلبه في الأرض! فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا فإذا هو في الثالثة بدوخله (٣)

رطب، وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى

فرق الله بالموت بينهما. وقرأ ابن محيصن ومجاهد (وفي السماء رازقكم) بالألف وكذلك

في آخرها (إن الله هو الرازق). (وما توعدون) قال مجاهد: يعني من خير وشر. وقال غيره: من خير خاصة. وقيل: الشر خاصة. وقيل: الجنة، عن سفيان بن عيينة. الضحاك: (وما توعدون) من الجنة والنار. وقال ابن سيرين: (وما توعدون) من أمر الساعة. وقاله الربيع.

قوله تعالى: (فورب السماء والأرض انه لحق) أكد ما أخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق، وأقسم عليه بأنه لحق ثم أكده بقوله: (مثل ما أنكم تنطقون)

وخص النطق من بين سائر الحواس، لان ما سواه من الحواس يدخله التشبيه، كالذي

(١) هو معود الحكماء معاوية بن مالك، وسمى معود الحكماء لقوله في هذه القصيدة:  
أعود مثلها الحكماء بعدي \* إذا ما الحق في الحدثان نابا

(٢) راجع ج ٩ ص ٦

(٣) الدوخله (بتشديد اللام وتخفيفها): سفيفة من حوص يوضع فيها التمر والرطب.



(٤١)

يرى في المرأة، واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها، والدوي والطين في  
الأذن،  
والنطق سالم من ذلك، ولا يعترض بالصدى لأنه لا يكون إلا بعد حصول الكلام من  
الناطق  
غير مشوب بما يشكل به. وقال بعض الحكماء: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا  
يمكنه  
أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره.  
وقال الحسن: بلغني أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (قاتل الله أقواما أقسم لهم  
ربهم

بنفسه ثم لم يصدقوه قال الله تعالى: (فورب السماء والأرض إنه لحق). وقال  
الأصمعي:

أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلدا سيفه  
ويده قوسه، فدنا وسلم وقال: ممن الرجل؟ قلت من بني أصمع، قال: أنت  
الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام  
الرحمن، قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ قلت: نعم، قال: فأتل علي منه شيئا،  
فقرأت (والذاريات ذروا) إلى قوله: (وفي السماء رزقكم) فقال: يا أصمعي حسبك!!  
ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال: أعني على توزيعها، ففرقناها على من  
أقبل

وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ووضعهما تحت الرحل وولى نحو البادية  
وهو يقول:

(وفي السماء رزقكم وما توعدون) فمقت نفسي ولمتها، ثم حججت مع الرشيد، فبينما  
أنا أطوف إذا أنا بصوت رقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي وهو ناحل مصفر، فسلم علي  
وأخذ بيدي وقال: أتل علي كلام الرحمن، وأجلسني من وراء المقام فقرأت  
(والذاريات)

حتى وصلت إلى قوله تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فقال الأعرابي:  
لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقا، وقال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله تبارك  
وتعالى: (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) قال فصاح الأعرابي  
وقال: يا سبحان الله! من الذي أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصدقوه في قوله حتى  
الجئوه

إلى اليمين؟ فقالها ثلاثا وخرجت بها نفسه. وقال يزيد بن مرثد: إن رجلا جاع بمكان  
ليس فيه شيء فقال: اللهم رزقك الذي وعدتني فأنتني به، فشبع وروي من غير طعام  
ولا شراب. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أن  
أحدكم





(٤٢)

فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت) أسنده الثعلبي. وفي سنن ابن ماجة عن حبة وسواء  
ابني خالد قالوا: دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج شيئاً فأعناه عليه،  
فقال: (لا تيأسا

من الرزق ما تهزرت رؤوسكما فإن الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر (١) ثم  
يرزقه الله). وروي  
أن قوما من الاعراب زرعا فأصابته جائحة فحزنوا لأجله، فخرجت عليهم أعرابية  
فقالت: ما لي أراكم قد نكستم رءوسكم، وضقت صدوركم، هو ربنا والعالم بنا،  
رزقنا

عليه يأتينا به حيث شاء! ثم أنشأت تقول:  
لو كان في صخرة في البحر راسية \* صما ململمة ملسا نواحيها  
رزق لنفس براها الله لانفلقت \* حتى تؤدي إليها كل ما فيها  
أو كان بين طباق السبع مسلكها \* لسهل الله في المرقى مراقيها  
حتى تنال الذي في اللوح خط لها \* إن لم تنله وإلا سوف يأتيها  
قلت: وفي هذا المعنى قصة الأشعريين حين أرسلوا رسولهم إلى النبي صلى الله عليه  
وسلم،

فسمع قوله تعالى: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) فرجع ولم يكلم النبي  
صلى  
الله عليه وسلم وقال: ليس الأشعريون بأهون على الله من الدواب، وقد ذكرناه في  
سورة

(هود (٢)). وقال لقمان: (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة)  
الآية. وقد مضى في (لقمان (٣)) وقد استوفينا هذا الباب في كتاب (قمع الحرص  
بالزهد والقناعة)

والحمد لله. وهذا هو التوكل الحقيقي الذي لا يشوبه شيء، وهو فراغ القلب مع الرب،  
رزقنا

الله إياه ولا أحالنا على أحد سواه بمنه وكرمه.  
قوله تعالى: (مثل من انكم تنطقون) قراءة العامة (مثل) بالنصب أي كمثل  
(ما أنكم) فهو منصوب على تقدير حذف الكاف أي كمثل نطقكم و (ما) زائدة، قاله  
بعض الكوفيين. وقال الزجاج والفراء: يجوز أن ينتصب على التوكيد، أي لحق حقا  
مثل

(١) القشر هنا الثياب.

(٢) راجع ج ٩ ص ٦

(٣) راجع ج ١٤ ص ٦٦



(٤٣)

نطقك، فكأنه نعت لمصدر محذوف. وقول سيبويه: انه مبني بني حين أضيف إلى غير متمكن

و (ما) زائدة للتوكيد. المازني: (مثل) مع (ما) بمنزلة شيء واحد فبني على الفتح لذلك. وأختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قال: ولأن من العرب من يجعل مثلاً منصوباً أبداً، فتقول: قال لي رجل مثلك، ومررت برجل مثلك بنصب [مثل على معنى كمثل (١)]. وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي والأعمش (مثل) بالرفع على أنه صفة لحق، لأنه نكرة وإن

أضيف إلى معرفة، إذ لا يختص بالإضافة لكثرة الأشياء التي يقع بعدها التماثل بين المتماثلين.

و (مثل) مضاف إلى (أنكم) و (ما) زائدة ولا تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر إذ لا فعل

معها تكون معه مصدراً. ويجوز أن تكون بدلاً من (لحق).

قوله تعالى: هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال الا تأكلون (٢٧) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٨)

قوله تعالى: (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ليبين بها أنه أهلك المكذب بآياته كما فعل بقوم لوط. (هل أتاك) أي ألم يأتك. وقيل: (هل) بمعنى قد، كقوله تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر (٢)). وقد مضى الكلام في ضيف إبراهيم في (هود (٣)) (والحجر (٤)). (المكرمين) أي عند الله، دليله قوله تعالى: (بل عباد مكرمون (٥)) قال ابن عباس: يريد جبريل وميكائيل وإسرافيل - زاد عثمان بن حصين - ورفائيل عليهم الصلاة والسلام. وقال محمد بن كعب: كان جبريل ومعه تسعة. وقال عطاء وجماعة: كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر.

(١) الزيادة من اعراب القرآن للنحاس.

(٢) راجع ج ١٩ ص ١١٦

(٣) راجع ج ٩ ص ٦٢

(٤) راجع ج ١٠ ص ٣٥

(٥) راجع ج ١١ ص ٢٨١

قال ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم غير مذعورين. وقال مجاهد: سماهم مكرمين لخدمة

إبراهيم إياهم بنفسه. قال عبد الوهاب: قال لي علي بن عياض: عندي هريسة ما رأيك فيها؟ قلت: ما أحسن رأيي فيها، قال: امض بنا، فدخلت الدار فنادى الغلام فإذا هو غائب، فما راعني إلا به ومعه القمقمة والطست وعلى عاتقه المنديل، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، لو علمت يا أبا الحسن أن الامر هكذا، قال: هون عليك فإنك عندنا مكرم،

والمكرم إنما يخدم بالنفس، انظر إلى قوله تعالى: (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين).

قوله تعالى: (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) تقدم في (الحجر (١)). (قال سلام) أي عليكم سلام. ويجوز بمعنى أمري سلام أو ردي لكم سلام. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما

(سلم) بكسر السين. (قوم منكرون) أي أنتم قوم منكرون، أي غرباء لا نعرفكم. وقيل: لأنه رآهم على غير صورة البشر، وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم فنكرهم،

فقال: (قوم منكرون). وقيل: أنكرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض. وقيل: خافهم، يقال: أنكرته إذا خفته، قال الشاعر (٢):

فأنكرتني وما كان الذي نكرت \* من الحوادث إلا الشيب والصلعا  
قوله تعالى: (فراغ إلى أهله) قال الزجاج: أي عدل إلى أهله. وقد مضى في (والصافات (٣)). ويقال: أراغ وارتاغ بمعنى طلب، وماذا تريغ أي تريد وتطلب، وأراغ إلى كذا أي مال إليه سرا وحاد، فعلى هذا يكون راغ وأراغ لغتين بمعنى. (فجاء بعجل سمين) أي جاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما في (هود): (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ (٤)). ويقال: إن إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفي (٥) من ضيفه،

لئلا

يظهروا على ما يريد أن يتخذ لهم من الطعام.

(١) راجع ج ١٠ ص ٣٤

(٢) هو الأعشى.

(٣) راجع ج ١٥ ص ٩٤

(٤) راجع ج ٩ ص ٦٣ و ٦٨

(٥) في ن: (كالمستخفي).



قوله تعالى: (فقربه إليهم) يعني العجل. (فقال ألا تأكلون) قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر، وأختاره لهم سمينا زيادة في إكرامهم. وقيل: العجل في بعض اللغات الشاة. ذكره القشيري. وفي الصحاح: العجل ولد البقرة والعجول مثله والجمع العجاجيل والأنثى عجلة، عن أبي الجراح، وبقرة معجل ذات عجل، وعجل قبيلة من ربيعة.

قوله تعالى: (فأوجس منهم خيفة) أي أحس منهم في نفسه خوفا. وقيل: أضمر لما لم يتحرموا بطعامه. ومن أخلاق الناس: أن من تحرم بطعام إنسان أمنه. وقال عمرو ابن دينار: قالت الملائكة لا نأكل إلا بالثمن. قال: كلوا وأدوا ثمنه. قالوا: وما ثمنه؟ قال: تسمون الله إذا أكلتم وتحمدونه إذا فرغتم. فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لهذا اتخذك الله خليلا. وقد تقدم هذا في (هود). ولما رأوا ما بإبراهيم من الخوف (قالوا لا تخف) وأعلموه أنهم ملائكة الله ورسله. (وبشروه بغلام عليم) أي بولد يولد له

من سارة زوجته. وقيل: لما أخبروه أنهم ملائكة لم يصدقهم، فدعوا الله فأحيا العجل الذي قربه إليهم. وروى عون بن أبي شداد: أن جبريل مسح العجل بجناحه، فقام يدرج حتى لحق بأمه وأم العجل في الدار. ومعنى (عليم) أي يكون بعد بلوغه من أولي العلم بالله وبدينه. والجمهور على أن المبشر به هو إسحاق. وقال مجاهد وحده: هو إسماعيل وليس

بشئ فإن الله تعالى يقول: (وبشرناه بإسحق (١)). وهذا نص.

قوله تعالى: فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت

عجوز عقيم (٢٩) قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم (٣٠)

قوله تعالى: (فأقبلت امرأته في صرة) أي في صيحة وضجة، عن ابن عباس وغيره. ومنه أخذ صرير الباب وهو صوته. وقال عكرمة وقتادة: إنها الرنة والتأوه ولم يكن

هذا الاقبال من مكان إلى مكان. قال الفراء: وإنما هو كقولك أقبل يشتمني أي أخذ في شتمي. وقيل: أقبلت في صرة أي في جماعة من النساء (٢) تسمع كلام الملائكة. قال

(١) راجع ج ١٥ ص ٩٩

(٢) في ن: (الناس).

الجوهري: الصرة الضجة والصيحة، والصرة الجماعة، والصرة الشدة من كرب وغيره، قال امرؤ القيس:

فألحقه بالهاديات ودونه \* جواحرها في صرة لم تزيل (١)  
يحتمل هذا البيت الوجوه الثلاثة. وصرة القيظ شدة حره. فلما سمعت سارة البشارة صكت وجهها، أي ضربت يدها على وجهها على عادة النسوان عند التعجب، قاله سفيان

الثوري وغيره. وقال ابن عباس: صكت وجهها لطمته. وأصل الصك الضرب، صكه أي ضربه، قال الراجز (٢): \* يا كروانا صك فاكبأنا \*  
قال الأموي: كبن الظبي إذا لطأ بالأرض واكبأن انقبض. (وقالت عجوز عقيم) أي أتلد عجوز عقيم. الزجاج: أي قالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد، كما قالت: (يا ويلتا

أألد وأنا عجوز (٣)). (قالوا كذلك) أي كما قلنا لك وأخبرناك (قال ربك) فلا تشكي فيه،

وكان بين البشارة والولادة سنة، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك فولدت وهي بنت تسع وتسعين

سنة، وإبراهيم يؤمئذ ابن مائة سنة وقد مضى هذا. (انه هو الحكيم العليم) حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه.

قوله تعالى: قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣١) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٢) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣) مسومة عند ربك للمسرفين (٣٤) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٧)

(١) ويروى فألحقنا والبيت من معلقته، والهاديات أوائل بقر الوحش، وجواحرها متخلفاتها، ولم تزيل، أي لم تتفرق، يقول: لما لحق هذا الفرس أوائل بقر الوحش بقيت أواخرها لم تتفرق.

(٢) هو مدرك بن حصن. وتماهه: \* فشن بالسلح فلما شنا \*

(٣) راجع ج ٩ ص ٦٩



قوله تعالى: (قال فما خطبكم أيها المرسلون) لما تيقن إبراهيم عليه السلام أنهم ملائكة بإحياء العجل والبشارة قال لهم: (فما خطبكم) أي ما شأنكم وقصتكم (أيها المرسلون) (قالوا)

انا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يريد قوم لوط. (لنرسل عليهم حجارة من طين) أي لنرجمهم

بها. (مسومة) أي معلمة. قيل: كانت مخططة بسواد وبياض. وقيل: بسواد وحمرة. وقيل: (مسومة) أي معروفة بأنها حجارة العذاب. وقيل: على كل حجر أسم من يهلك به.

وقيل: عليها أمثال الخواتيم. وقد مضى هذا كله في (هود (١)). فجعلت الحجارة تتبع مسافريهم وشذاذهم فلم يفلت منهم مخبر. (عند ربك) أي عند الله وقد أعدها لرجم من قضى

برجمه. ثم قيل: كانت مطبوخة طبخ الآجر، قاله ابن زيد، وهو معنى قوله تعالى: (حجارة من سجيل) على ما تقدم بيانه في (هود). وقيل: هي الحجارة التي نراها وأصلها

طين، وإنما تصير حجارة بإحراق الشمس إيها على مر الدهور. وإنما قال: (من طين) ليعلم

أنها ليست حجارة الماء التي هي البرد. حكاه القشيري.

قوله تعالى: (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) أي لما أردنا إهلاك قوم لوط أخرجنا من كان في قومه من المؤمنين، لئلا يهلك المؤمنون، وذلك قوله تعالى: (فأسر بأهلك (١)). (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) يعني لوطا وبنتيه وفيه إضمار، أي

فما وجدنا فيها غير أهل بيت. وقد يقال بيت شريف يراد به الأهل. وقوله: (فيها) كناية عن القرية ولم يتقدم لها ذكر، لان المعنى مفهوم. وأيضا فقوله تعالى: (إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يدل على القرية، لان القوم إنما يسكنون قرية. وقيل: الضمير فيها للجماعة. والمؤمنون والمسلمون ها هنا سواء فجنس اللفظ لئلا يتكرر، كما قال: (إنما أشكوا

بثي وحزني إلى الله (١)). وقيل: الايمان تصديق القلب، والاسلام الانقياد بالظاهر، فكل

مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا. فسامهم في الآية الأولى مؤمنين، لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. وقد مضى الكلام في هذا المعنى في (البقرة (٢)) وغيرها. وقوله: (قالت الاعراب

-----

(١) راجع ج ٩ ص ٨٢ وص ٧٩ وص ٢١٥  
(٢) راجع ج ١ ص ١٩٣

آمنا قل لم تؤمنوا) يدل على الفرق بين الايمان والاسلام وهو مقتضى حديث جبريل عليه

السلام في صحيح مسلم وغيره. وقد بيناه في غير موضع.  
قوله تعالى: (وتركنا فيها آية) أي عبرة وعلامة لأهل ذلك الزمان ومن بعدهم، نظيره: (ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون (١)). ثم قيل: الآية المتروكة نفس القرية)

الخربة. وقيل: الحجارة المنضودة التي رجموا بها هي الآية. (للذين يخافون) لأنهم المنتفعون (٢).

قوله تعالى: وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسultan مبین (٣٨)  
فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (٤٠)

قوله تعالى: (وفي موسى) أي وتركنا أيضا في قصة موسى آية. وقال الفراء: هو معطوف على قوله: (وفي الأرض آيات) (وفي موسى). (إذ أرسلناه إلى فرعون بسultan مبین) أي بحجة بينة وهي العصا. وقيل: أي بالمعجزات من العصا وغيرها. قوله تعالى: (فتولى بركنه) أي فرعون أعرض عن الايمان (بركنه) أي بمجموعه وأجناده، قاله ابن زيد. وهو معنى قول مجاهد، ومنه قوله: (أو آوي إلى ركن (٣) شديد)

يعني المنعة والعشيرة. وقال ابن عباس وقتادة: بقوته. ومنه قول عنتره:  
فما أوهى مراس الحرب ركني \* ولكن ما تقادم من زمني (٤)  
وقيل: بنفسه. وقال الأخفش: بجانبه، كقوله تعالى: (أعرض ونأى بجانبه (٥) وقاله المؤرج. الجوهرى: وركن الشيء جانبه الأقوى، وهو يأوي إلى ركن شديد أي عزة ومنعه. القشيري: والركن جانب البدن. وهذا عبارة عن المبالغة في الاعراض عن الشيء.

(١) راجع ج ١٣ ص ٣٤٣.

(٢) في ح (المشفقون).

(٣) راجع ج ٩ ص ٧٨.

(٤) في رواية: ولا وصلت إلي يد الزمان.

(٥) راجع ج ١٠ ص ٣٢١.

(وقال ساحر أو مجنون) (أو) بمعنى الواو، لأنهم قالوهما جميعا. قاله المؤرج والفراء، وأنشد بيت جرير:

أثعلبة الفوارس أو رياحا \* عدلت بهم طهية والخشبا (١)  
وقد توضع (أو) بمعنى الواو، كقوله تعالى: (ولا تطع منهم آثما أو كفورا (٢)) والواو بمعنى أو، كقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) وقد تقدم

جميع هذا (٣). (فأخذناه وجنوده) لكفرهم وتوليهم عن الايمان. (فنبذناهم) أي طرحناهم

(في اليم وهو مليم) يعني فرعون، لأنه أتى ما يلام عليه.

قوله تعالى: وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٤١) ما تذر

من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم (٤٢)

قوله تعالى: (وفي عاد) أي وتركنا في عاد آية لمن تأمل. (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وهي التي لا تلقح سحابا ولا شجرا، ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة، ومنه امرأة عقيم

لا تحمل ولا تلد. ثم قيل: هي الجنوب. روى ابن أبي ذئب عن الحرث بن عبد الرحمن

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الريح العقيم الجنوب) وقال مقاتل: هي الدبور كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور). وقال

ابن عباس: هي النكباء. وقال عبيد بن عمير: مسكنها الأرض الرابعة وما فتح على عاد منها

إلا كقدر منخر الثور. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضا أنها الصبا، فالله أعلم. قوله تعالى: (ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم) أي كالشئ الهشيم، يقال للنبت إذا يبس وتفتت: رميم وهشيم. قال ابن عباس: كالشئ الهالك البالي، وقاله مجاهد.

ومنه قول الشاعر (٤):

(١) طهية - كسمية - : حي من تميم نسبوا إلى أمهم، والخشبا: بطون من تميم أيضا.

(٢) راجع ج ١٩ ص ١٤٧

(٣) راجع ج ٥ ص ١٧

(٤) هو جرير يرثي ابنه.

تركنتني حين كف الدهر من بصري \* وإذ بقيت كعظم الرمة البالي  
وقال قتادة: إنه الذي ديس من يابس النبات. وقال أبو العالية والسدي: كالتراب  
المدقوق. قطرب: الرميم الرماد. وقال يمان: ما رمته الماشية من الكلاً بمرمتها. ويقال  
للشفة المرممة والمقمة بالكسر، والمرممة بالفتح لغة فيه. وأصل الكلمة من رم العظم إذا

بلي،  
تقول منه: رم العظم يرم بالكسر رمة فهو رميم، قال [الشاعر (١)]:  
ورأى عواقب خلف ذاك مذمة \* تبقى عليه والعظام رميم  
والرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام. ونظير هذه الآية: (تدمر كل شيء)  
حسب ما (٢) تقدم.

قوله تعالى: وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (٤٣) فعتوا  
عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطاعوا  
من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥)  
قوله تعالى: (وفي ثمود) أي وفيهم أيضا عبرة وآية حين قيل لهم عيشوا متمتعين بالدنيا  
(حتى حين) أي إلى وقت الهلاك وهو ثلاثة أيام كما في هود: (٣) (تمتعوا في داركم  
ثلاثة أيام).

وقيل: معنى (تمتعوا) أي أسلموا وتمتعوا إلى وقت فراغ آجالكم. (فعتوا عن أمر ربهم)  
أي خالفوا أمر الله فعقروا الناقة (فأخذتهم الصاعقة) أي الموت. وقيل: هي كل عذاب  
مهلك. قال الحسين بن واقد: كل صاعقة في القرآن فهو العذاب. وقرأ عمر بن  
الخطاب

وحميد وابن محيصن ومجاهد والكسائي (الصعقة) يقال صعق الرجل صعقة وتصعقا  
أي غشي

عليه. وصعقتهم السماء (٤) أي ألقى عليهم الصاعقة. والصاعقة أيضا صيحة العذاب  
وقد مضى

في (البقرة (٥)) وغيرها. (وهم ينظرون) إليها نهارا. (فما استطاعوا من قيام) قيل: معناه

- 
- (١) من ن.  
(٢) راجع ج ١٦ ص ٢٠٦.  
(٣) راجع ج ٩ ص ٦٠.  
(٤) في ح، ز، ل، ن: (إذا ألقى).  
(٥) راجع ج ١ ص ٢١٩.

من نهوض. وقيل: ما أطاقوا أن يستقلوا بعذاب الله وأن يتحملوه ويقوموا به ويدفعوه  
عن

أنفسهم، تقول: لا أقوم لهذا الأمر أي لا أطيقه. وقال ابن عباس: أي ذهبت أجسامهم  
وبقيت أرواحهم في العذاب. (وما كانوا منتصرين) أي ممتنعين من العذاب حين  
أهلكوا،  
أي ما كان لهم ناصر.

قوله تعالى: وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين (٤٦)  
قوله تعالى: (وقوم نوح من قبل) قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو (وقوم نوح)  
بالخفض، أي وفي قوم نوح آية أيضا. الباقي بالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح، أو  
يكون

معطوفا على الهاء والميم في (أخذتهم) أو الهاء في (أخذناه) أي فأخذتهم الصاعقة  
وأخذت

قوم نوح، أو (نبذناهم في اليم) ونبذنا قوم نوح، أو يكون بمعنى أذكر.  
قوله تعالى: والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون (٤٧) والأرض  
فرشناها فنعم الماهدون (٤٨) ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم  
تذكرون (٤٩)

قوله تعالى: (والسماء بنيناها بأيد) لما بين هذه الآيات قال: وفي السماء آيات وعبر  
تدل

على أن الصانع قادر على الكمال، فعطف أمر السماء على قصة قوم نوح لأنهما آيتان.  
ومعنى

(بأيد) أي بقوة وقدرة. عن ابن عباس وغيره. (وانا لموسعون) قال ابن عباس: لقادرون.  
وقيل: أي وانا لذو سعة، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شئ نريده. وقيل: أي وانا  
لموسعون الرزق على خلقنا. عن ابن عباس أيضا. الحسن: وانا لمطيقون. وعنه أيضا:  
وانا لموسعون الرزق بالمطر. وقال الضحاك: أغنياكم، دليله: (على الموسع (١)  
قدره). وقال

القتبي: ذو سعة على خلقنا. والمعنى متقارب. وقيل: جعلنا بينهما وبين الأرض سعة.  
الجوهري: وأوسع الرجل أي صار ذا سعة وغنى، ومنه قوله تعالى: (والسماء بنيناها بأيد  
وانا لموسعون) أي أغنياء قادرون. فشمّل جميع الأقوال. (والأرض فرشناها)

(١) راجع ج ٣ ص ٢٠٣

أي بسطناها كالفرش على وجه الماء ومددناها. (فنعم الماهدون) أي فنعم الماهدون نحن لهم (١). والمعنى في الجمع التعظيم، مهدت الفرش مهدا بسطته ووطأته، وتمهيد الأمور

تسويتها وإصلاحها.

قوله تعالى: (ومن كل شئ خلقنا زوجين) أي صنفين ونوعين مختلفين. قال ابن زيد: أي ذكرا وأنثى وحلوا وحامضا ونحو ذلك. مجاهد: يعني الذكر والأنثى، والسما

والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجن والانس، والخير والشر، والبكرة والعشي، وكالأشياء المختلفة الا لوان من الطعوم والأرايح

والأصوات. أي جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا، ومن قدر على هذا فليقدر على الإعادة.

وقيل: (ومن كل شئ خلقنا زوجين) لتعلموا أن خالق الأزواج فرد، فلا يقدر في صفته حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء، إذ هو عز وجل وتر (ليس كمثله (٢) شئ). (لعلكم تذكرون).

قوله تعالى: ففروا إلى الله انى لكم منه نذير مبين (٥٠)

ولا تجعلوا مع الله إلها آخر انى لكم منه نذير مبين (٥١) كذلك

ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢)

أتواصوا به بل هم قوم طاغون (٥٣) قتل عنهم فما أنت

بملوم (٥٤) وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين (٥٥)

قوله تعالى: (ففروا إلى الله انى لكم منه نذير مبين) لما تقدم ما جرى من تكذيب

أممهم لأنبيائهم وإهلاكهم، لذلك قال الله تعالى: لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد،

أي قل لقومك: (ففروا إلى الله انى لكم منه نذير مبين) أي فروا من معاصيه إلى طاعته.

وقال ابن عباس: فروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم. وعنه فروا منه إليه واعملوا بطاعته.

وقال

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان: (ففروا إلى الله) اخرجوا إلى مكة.

وقال الحسين

(١) لفظة (لهم) ساقطة من ز.

(٢) راجع ج ١٦ ص ٨





ابن الفضل: احترزوا من كل شئ دون الله فمن فر إلى غيره لم يمتنع منه. وقال أبو بكر الوراق: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن. وقال الجنيد: الشيطان داع إلى الباطل

ففروا إلى الله يمنعكم منه. وقال ذو النون المصري: ففروا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر

إلى الشكر. وقال عمرو بن عثمان: فروا من أنفسكم إلى ربكم. وقال أيضا: فروا إلى ما سبق

لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم. وقال سهل بن عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله.

(إني لكم منه نذير مبين) أي أنذركم عقابه على الكفر والمعصية. قوله تعالى: (ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا

للناس وهو النذير. وقيل: هو خطاب من الله للخلق. (إني لكم منه) أي من محمد وسيوفه

(نذير) أي أنذركم بأسه وسيفه إن أشركتم بي، قاله ابن عباس. قوله تعالى: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول) هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، أي كما كذبت قومك وقالوا ساحر أو مجنون، كذب من قبلهم وقالوا مثل قولهم.

والكاف من (كذلك) يجوز أن تكون نصبا على تقدير أنذركم إنذارا كإنذار من تقدمني من

الرسول الذين أنذروا قومهم، أو رفعا على تقدير الأمر كذلك أي كالأول. والأول تخويف

لمن عصاه من الموحدين، والثاني لمن أشرك به من الملحدين. والتمام على قوله: (كذلك)

عن يعقوب وغيره.

قوله تعالى: (أتواصوا به) أي أوصى أولهم آخرهم بالكذب. وتواطئوا عليه، والألف للتويخ والتعجب. (بل هم قوم طاغون) أي لم يوص بعضهم بعضا بل جمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحد في الكفر.

قوله تعالى: (فتول عنهم) أي أعرض عنهم وأصفح عنهم (فما أنت بملوم) عند الله لأنك أديت ما عليك من تبليغ الرسالة، ثم نسخ هذا بقوله تعالى: (وذكر فإن الذكرى

تنفع

المؤمنين) وقيل: نسخ بآية السيف. والأول قول الضحاك، لأنه قد أمر بالاقبال عليهم بالموعظة. وقال مجاهد: (فتول عنهم) فأعرض عنهم (فما أنت بملوم) أي ليس يلومك



(٥٤)

ربك على تقصير كان منك (وذكر) أي بالعظة فإن العظة (تنفع المؤمنين). قتادة:  
(وذكر)

بالقرآن (فإن الذكرى) به (تنفع المؤمنين). وقيل: ذكرهم بالعقوبة وأيام الله. وخص  
المؤمنين، لأنهم المنتفعون بها.

قوله تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥٦) ما أريد  
منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧) ان الله هو الرزاق  
ذو القوة المتين (٥٨) فات للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم  
فلا يستعجلون (٥٩) فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون (٦٠)  
قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قيل: إن هذا خاص فيمن  
سبق في علم الله أنه يعبد، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص. والمعنى: وما خلقت  
أهل

السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون. قال القشيري: والآية دخلها التخصيص على  
القطع، لان المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى يقال أراد منهم العبادة، وقد قال  
الله

تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس (١)) ومن خلق لجهنم لا يكون ممن  
خلق

للعبادة، فالآية محمولة على المؤمنين منهم، وهو كقوله تعالى: (قالت الاعراب آمنا  
(٢)) وإنما

قال فريق منهم. ذكره الضحاك والكلبي والفراء والقنبي. وفي قراءة عبد الله: (وما  
خلقت

الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون) وقال علي رضي الله عنه: أي وما خلقت الجن  
والإنس إلا لآمرهم بالعبادة. واعتمد الزجاج على هذا القول، ويدل عليه قوله تعالى:  
(وما أمروا إلا ليعبدوا إلهها واحدا (٣)). فإن قيل: كيف كفروا وقد خلقهم للاقرار  
بربوبيته

والتدلل لامره ومشيعته؟ قيل: تدللوا لقضائه عليهم، لان قضاءه جار عليهم لا يقدر  
على الامتناع منه، وإنما خالفهم من كفر في العمل بما أمره به، فأما التدلل لقضائه فإنه  
غير

ممتنع منه. وقيل: (إلا ليعبدون) أي إلا ليقروا لي بالعبادة طوعا أو كرها، رواه علي  
ابن أبي طلحة عن ابن عباس. فالكفر ما يرى فيهم من أثر الصنعة. مجاهد: إلا  
ليعرفوني.

(١) راجع ج ٧ ص ٣٢٤

(٢) راجع ج ١٦ ص ٣٤٨

(٣) راجع ج ٨ ص ١١٩

الثعلبي: وهذا قول حسن، لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقو (١) لن الله) (ولئن سألتهم من خلق السماوات

والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم (١)) وما أشبه هذا من الآيات. وعن مجاهد أيضا: إلا لآمرهم وأنهاهم. زيد بن أسلم: هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة، فخلق السعداء

من الجن والإنس للعبادة، وخلق الأشقياء منهم للمعصية. وعن الكلبي أيضا: إلا ليوحدون،

فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة

والرخاء، يدل عليه قوله تعالى: (وإذا غشيهم موج كاظلل دعوا الله مخلصين له الدين (٢))

الآية. وقال عكرمة: إلا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد. وقيل: المعنى إلا لأستعبدهم. والمعنى متقارب، تقول: عبد بين العبودية والعبودية، وأصل العبودية الخضوع والذل. والتعبيد التذليل، يقال: طريق معبد. قال (٣):  
\* وظيفا وظيفا فوق مور معبد \*

والتعبيد الاستعباد وهو أن يتخذه عبدا. وكذلك الاعتباد. والعبادة: الطاعة، والتعبد التنسك. فمعنى (ليعبدون) ليدلوا ويخضعوا ويعبدوا. (ما أريد منهم من رزق) (من) صلة أي رزقا بل أنا الرزاق والمعطي. وقال ابن عباس وأبو الجوزاء: أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا أن يطعموها. وقيل: المعنى ما أريد أن يرزقوا عبادي ولا أن يطعموهم

(ان الله هو الرزاق) وقرأ ابن محيصة وغيره (الرازق). (ذو القوة المتين) أي الشديد القوي. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب والنخعي (المتين) بالجر على النعت للقوة. الباقيون بالرفع على النعت ل (الرازق) أو (ذو) من قوله: (ذو القوة) أو يكون خبر ابتداء محذوف، أو يكون نعتا لاسم إن على الموضع، أو خبرا بعد خبر. قال الفراء: كان

(١) راجع ج ١٦ ص ١٢٣ وص ٦٤

(٢) راجع ج ١٤ ص ٨٠

(٣) هو طرفة بن العبد، والبيت من معلقته وصدره:

\* تبارى عتاقا ناجيات وأتبع \*

الوظيفة عظم الساق. وقوله أتبع وظيفا أي أتبع وظيف يدها وظيف رجلها، ويستحب من الناقة أن تجعل

رجلها في موضع يدها إذا سارت. والمور: الطريق.



(٥٦)

حقه المتينة فذكره لأنه ذهب بها إلى الشيء المبرم المحكم القتل، يقال: حبل متين.  
وأشده الفراء:

لكل دهر قد لبست أثوبا \* حتى اكتسى الرأس قناعا أشيبا  
\* من ربطة واليمنة المعصبا \*

فذكر المعصب، لان اليمنة صنف من الثياب، ومن هذا الباب قوله تعالى: (فمن جاءه موعظة (١) أي وعظ (وأخذ الذين ظلموا الصيحة (٢)) أي الصياح والصوت. قوله تعالى: (فان للذين ظلموا) أي كفروا من أهل مكة (ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم) أي نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السالفة. وقال ابن الأعرابي:

يقال يوم ذنوب أي طويل الشر لا ينقضي. وأصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة، وكانوا يستقون الماء فيقسمون ذلك على الأنصباء فقليل للذنوب نصيب من هذا، قال الراجز:

لنا ذنوب ولكم ذنوب \* فإن أبيتم فلنا القليب  
وقال علقمة:

وفي كل يوم قد خبطت بنعمة \* فحق لشأس من نذاك ذنوب  
وقال آخر (٣):

لعمرك والمنايا طارقات \* لكل بني أب منها ذنوب  
الجوهري: والذنوب الفرس الطويل الذنب، والذنوب النصيب، والذنوب لحم أسفل المتن، والذنوب الدلو المملأى ماء. وقال ابن السكيت: فيها ماء قريب من الملاء يؤنث ويذكر، ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب، والجمع في أدنى العدد أذنبه والكثير ذنائب،

مثل قلوب وقلائص. (فلا يستعجلون) أي فلا يستعجلون نزول العذاب بهم، لأنهم قالوا: يا محمد (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٤)) فنزل بهم يوم بدر ما حقق به وعده

وعجل بهم انتقامه، ثم لهم في الآخرة العذاب الدائم، والخزي القائم، الذي لا انقطاع له

(١) راجع ج ٣ ص ٣٥٩

(٢) راجع ج ٩ ص ٦١

(٣) قائله أبو ذؤيب.

(٤) راجع ج ٧ ص ٢٣٧ و ج ٩ ص ٢٧

سورة (الطور)  
مكية كلها في قول الجميع، وهي تسع وأربعون آية  
روى الأئمة عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ  
بالطور  
في المغرب. متفق عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم  
قوله تعالى: والطور (١) وكتاب مسطور (٢) في رق منشور (٣)  
والبيت المعمور (٤) والسقف المرفوع (٥) والبحر المسجور (٦)  
ان عذاب ربك لواقع (٧) ماله من دافع (٨)  
قوله تعالى: (والطور) الطور اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى، أقسم الله به  
تشريفا له وتكريما وتذكيرا لما فيه من الآيات، وهو أحد جبال الجنة. وروى إسماعيل  
ابن إسحاق قال: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو  
بن عوف

عن أبيه عن جده أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربعة أجبل من جبال  
الجنة

وأربعة أنهار من أنهار الجنة وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة (١)) قيل: فما الا جبل؟  
قال:

(جبل أحد يحبنا ونحبه والطور جبل من جبال الجنة ولبنان جبل من جبال الجنة  
[والجودي (٢)

جبل من جبال الجنة]) وذكر الحديث، وقد استوفيناه في كتاب (التذكرة). قال  
مجاهد: الطور

هو بالسريانية الجبل والمراد به طور سينا. وقاله السدي. وقال مقاتل بن حيان: هما  
طوران

يقال لأحدهما طور سينا والآخر طور زيتا، لأنهما ينبتان التين والزيتون. وقيل: هو جبل  
بمدين واسمه زبير. قال الجوهرى: والزبير الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه  
السلام.

(١) الملاحم: غزوة بدر وأحد والخندق وخيبر.

(٢) الزيادة من ن.



قلت: ومدين بالأرض المقدسة وهي قرية شعيب عليه السلام. وقيل: إن الطور كل جبل أنبت، وما لا ينبت فليس بطور، قاله ابن عباس. وقد مضى في (البقرة (١)) مستوفى.

قوله تعالى: (وكتاب مسطور) أي مكتوب، يعني القرآن يقرؤه المؤمنون من المصاحف، ويقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون (٢)). وقيل: يعني سائر الكتب المنزلة على الأنبياء، وكان كل كتاب في رق

ينشره أهله لقراءته. وقال الكلبي: هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى يسمع صرير القلم. وقال الفراء: هو صحائف الأعمال، فمن أخذ كتابه بيمينه، ومن أخذ

كتاباه بشماله، نظيره: (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (٣)) وقوله: (وإذا الصحف نشرت (٤)). وقيل: إنه الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته في السماء يقرءون فيه

ما كان وما يكون. وقيل: المراد ما كتب الله في قلوب الأولياء من المؤمنين، بيانه: (أولئك كتب في قلوبهم الايمان (٢)).

قلت: وفي هذا القول تجوز، لأنه عبر بالقلوب عن الرق. قال المبرد: الرق ما رقق من الجلد ليكتب فيه، والمنشور المبسوط. وكذا قال الجوهرى في الصحاح، قال: والرق

بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق. ومنه قوله تعالى: (في رق منشور) والرق أيضا العظيم من السلاحف. قال أبو عبيدة: وجمعه رقوق. والمعنى المراد ما قاله الفراء، والله أعلم.

وكل صحيفة فهي رق لرقه حواشيها، ومنه قول المتلمس:  
فكأنما هي من تقادم عهدها \* رق أتيح كتابها مسطور (٥)  
وأما الرق بالكسر فهو الملك، يقال: عبد مرقوق. وحكى الماوردي عن ابن عباس:  
أن الرق بالفتح ما بين المشرق والمغرب.

قوله تعالى: (والبيت المعمور) قال علي وابن عباس وغيرهما: هو بيت في السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم يخرجون منه فلا يعودون إليه. قال

(١) راجع ج ١ ص ٤٣٦.

(٢) راجع ص ٢٢٤ وص ٣٠٨ من هذا الجزء.

(٣) راجع ج ١٠ ص ٢٢٩.

(٤) راجع ج ١٩ ص ٢٣٢.

(٥) لم تعثر على هذا البيت في ديوان المتلمس.



علي رضي الله عنه: هو بيت في السماء السادسة. وقيل: في السماء الرابعة، روى أنس ابن مالك، عن مالك بن صعصعة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوتي بي إلى السماء الرابعة فرفع لنا البيت المعمور فإذا هو حيال الكعبة لو خر خر عليها يدخله كل يوم

سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه) ذكره الماوردي. وحكى القشيري عن ابن عباس أنه في السماء الدنيا. وقال أبو بكر الأنباري: سأل ابن الكواء عليا رضي الله عنه

قال: فما البيت المعمور؟ قال: بيت فوق سبع سماوات تحت العرش يقال له الضراح. وكذا في (الصراح): والضراح بالضم بيت في السماء وهو البيت المعمور عن ابن عباس.

وعمر أنه كثرة غاشيته من الملائكة. وقال المهدي عنه: حذاء العرش. والذي في صحيح

مسلم عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاسراء: (ثم رفع إلي البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف

ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر (١) ما عليهم) وذكر الحديث. وفي حديث ثابت عن

أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتيت بالبراق) الحديث، وفيه: (ثم عرج بنا إلى السابعة (٢) فأستفتح جبريل عليه السلام فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد - صلى الله عليه وسلم - قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح

لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه). وعن ابن عباس أيضا قال: لله في السماوات والأرضين خمسة عشر بيتا، سبعة في السماوات وسبعة في الأرضين والكعبة، وكلها مقابلة

للكعبة. وقال الحسن: البيت المعمور هو الكعبة، البيت الحرام الذي هو معمور من الناس، يعمره الله كل سنة بستمائة ألف، فإن عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة، وهو أول بيت وضعه الله للعبادة في الأرض. وقال الربيع بن أنس: إن البيت المعمور كان

(١) (آخر) برفع الرء ونصبها، فالنصب على الظرف والرفع على تقدير ذلك آخر ما عليهم، والرفع أوجه. (هامش مسلم).

(٢) في ح، ز، ل، ن: (إلى السماء السابعة).



(٦٠)

في الأرض موضع الكعبة في زمان آدم عليه السلام، فلما كان زمان نوح عليه السلام أمرهم

أن يحجوا فأبوا عليه وعصوه، فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا، فيعمره

كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يرجعون إليه حتى ينفخ في الصور، قال: فبوأ الله عز وجل لإبراهيم مكان البيت حيث كان، قال الله تعالى: (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (١)). (والسقف

المرفوع) يعني السماء سماها سقفاً، لأنها للأرض كالسقف للبيت، بيانه: (وجعلنا السماء

سقفاً محفوظاً (٢)). وقال، ابن عباس: هو العرش وهو سقف الجنة. (والبحر المسجور)

قال مجاهد: الموقد، وقد جاء في الخبر: (إن البحر يسجر يوم القيامة فيكون ناراً). وقال

قتادة: المملوء. وأنشد النحويون للنمر بن توبل:

إذا شاء طالع مسجورة \* ترى حولها النبع والساسما (٣)

يريد وعلا يطالع عينا مسجورة مملوءة. فيجوز أن يكون المملوء ناراً فيكون كالقول المتقدم. وكذا قال الضحاك وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والأخفش بأنه الموقد المحمي

بمنزلة التنور المسجور. ومنه قيل: للمسعر مسجر، ودليل هذا التأويل قوله تعالى: (وإذا البحار (٤) سجرت) أي أوقدت، سجرت التنور أسجره سجراً أي أحمته. وقال سعيد

ابن المسيب: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ قال: البحر. قال ما أراك

إلا صادقاً، وتلا: (والبحر المسجور). (وإذا البحار سجرت) منخفضة. وقال عبد الله ابن عمرو: لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم. [وقال كعب: يسجر البحر غداً فيزداد في نار

جهنم، فهذا قول (٥)] وقال ابن عباس: المسجور الذي ذهب ماؤه. وقاله أبو العالية. وروى عطية وذو الرمة الشاعر عن ابن عباس قال: خرجت أمة لتستقي فقالت: إن الحوض مسجور أي فارغ، قال ابن أبي داود: ليس لذي الرمة حديث إلا هذا. وقيل: المسجور أي المفجور، دليله: (وإذا البحار فجرت (٤)) أي تنشفها الأرض فلا يبقى فيها ماء.

- 
- (١) راجع ج ١٣ ص ٣٦  
(٢) راجع ج ١١ ص ٢٨٥  
(٣) الساسم غير مهموز: شجر يتخذ منه القسي  
والسهام، والنبع مثله.  
(٤) راجع ج ١٩ ص ٢٢٨ و ص ٢٤٢  
(٥) ما بين المربعين ساقط من ه.

وقول ثالث قاله علي رضي الله عنه وعكرمة. قال أبو مكين: سألت عكرمة عن البحر المسجور

فقال: هو بحر دون العرش. وقال علي: تحت العرش فيه ماء غليظ. ويقال له بحر الحيوان

يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا فينبتون في قبورهم. وقال الربيع بن أنس:

المسجور المختلط العذب بالملح.

قلت: وإليه يرجع معنى (فجرت) في أحد التأويلين، أي فجر عذبتها في مالحتها: والله أعلم. وسيأتي. وروى علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المسجور المحبوس.

(ان عذاب ربك لواقع) هذا جواب القسم، أي واقع بالمشركين. قال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر، فوافيته يقرأ في صلاة

المغرب (والطور) إلى قوله: (إن عذاب ربك لواقع. ماله من دافع) فكأنما صدع قلبي، فأسلمت خوفا من نزول العذاب، وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب. وقال هشام بن حسان: انطلقت أنا ومالك بن دينار إلى الحسن وعنده رجل يقرأ (والطور) حتى بلغ (إن عذاب ربك لواقع. ماله من دافع) فبكى الحسن وبكى

أصحابه، فجعل مالك يضطرب حتى غشي عليه. ولما ولي بكار القضاء جاء إليه رجلا

يختصمان فتوجهت على أحدهما اليمين، فرغب إلى الصلح بينهما، وأنه يعطي خصمه من

عنده عوضا من يمينه فأبى إلا اليمين، فأحلفه بأول (والطور) إلى أن قاله له قل: (إن عذاب ربك لواقع) إن كنت (١) كاذبا، فقالها فخرج فكسر من حينه.

قوله تعالى: يوم تمور السماء مورا (٩) وتسير الجبال سيرا (١٠)

فويل يومئذ للمكذبين (١١) الذين هم في حوض يلعبون (١٢) يوم

يدعون إلى نار جهنم دعا (١٣) هذه النار التي كنتم بها تكذبون (١٤)

أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون (١٥) اصلوها فاصبروا أو لا تبصروا

سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون (١٦)

(١) في ن (ان عذاب الله بي لواقع الخ).





قوله تعالى: (يوم تمور السماء مورا) العامل في يوم قوله: (واقع) أي يقع العذاب بهم يوم القيامة وهو اليوم الذي تمور فيه السماء. قال أهل اللغة: مار الشيء يمور مورا، أي

تحرك وجاء وذهب كما تتكفأ النخلة العيدانة، أي الطويلة، والتمور مثله. وقال الضحاك:

يموج بعضها في بعض. مجاهد: تدور دورا. أبو عبيدة والأخفش: تكفأ، وأنشد للأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها \* مور السحابة لا ريث ولا عجل  
وقيل تحري جريا. ومنه قول جرير:

وما زالت القتلى تمور دماؤها \* بدجلة حتى ماء دجلة أشكل (١)  
وقال ابن عباس: تمور السماء يومئذ بما فيها وتضطرب. وقيل: يدور أهلها فيها ويموج بعضهم في بعض. والمور أيضا الطريق. ومنه قول طرفة:  
\* ... فوق مور معبد (٢) \*

والمور الموج. وناقاة مواراة اليد أي سريعة. والبعير يمور عضداه إذا ترددوا في عرض جنبه، قال الشاعر:

\* على ظهر موار الملاط حصان \*

الملاط الجنب. وقولهم: لا أدري أغار أم مار، أي أتى غورا أم دار فرجع إلى نجد. والمور بالضم الغبار بالريح. وقيل: إن السماء ها هنا الفلك وموره اضطراب نظمه واختلاف

سيره، قاله ابن بحر. (وتسير الجبال سيرا) قال مقاتل: تسير عن أماكنها حتى تستوي بالأرض. وقيل: تسير كسير السحاب اليوم في الدنيا، بيانه (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي

تمر مر السحاب (٣)). وقد مضى هذا المعنى في (الكهف (٤)). (فويل يومئذ للمكذابين)

(١) الشكل: ما فيه بياض وحمرة.

(٢) البيت من معلقته وتمامه:

تبارى عتاقا ناجيات (أتبع) \* وظيفا فوق مور معبد

تبارى: تعارض. والعتاق: النوق الكرام. والناجيات: السريعات. والوظيف: عظم الساق. والمعبد: المذلل.

(٣) راجع ج ١٣ ص ٢٤٢

(٤) راجع ج ١٠ ص ٤١٦

(ويل) كلمة تقال للهالك، وإنما دخلت الفاء لان في الكلام معنى المجازاة. (الذين هم في خوض يلعبون) أي في تردد في الباطل، وهو خوضهم في أمر محمد بالتكذيب. وقيل:

في خوض في أسباب الدنيا يلعبون لا يذكرون حسابا ولا جزاء. وقد مضى في (براءة (١)).

قوله تعالى: (يوم يدعون) (يوم) بدل من يومئذ. و (يدعون) معناه يدفعون إلى جهنم بشدة وعنف، يقال: دعته أدعه دعا أي دفعته، ومنه قوله تعالى: (فذلك الذي يدع اليتيم (٢)). وفي التفسير: إن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون

نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم في النار دفعا على وجوههم، وزخا في أعناقهم حتى

يردوا النار. وقرأ أبو رجاء العطاردي وابن السميعة (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) بالتخفيف

من الدعاء فإذا دنوا من النار قالت لهم الخزنة: (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا.

قوله تعالى: (أفسح هذا) استفهام معناه التوبيخ والتفريع، أي يقال لهم: (أفسح هذا) الذي ترون الآن بأعينكم (أم أنتم لا تبصرون). وقيل: (أم) بمعنى بل، أي بل كنتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون.

قوله تعالى: (اصلوها) أي تقول لهم الخزنة ذوقوا حرها بالدخول فيها. (فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم) أي سواء كان لكم فيها صبر أو لم يكن ف (سواء) خبره محذوف،

أي سواء عليكم الجزع والصبر فلا ينفعكم شيء، كما أخبر عنهم أنهم يقولون: (سواء علينا

أجزعنا أم صبرنا (٣)). (انما تجزون ما كنتم تعملون).

قوله تعالى: ان المتقين في جنات ونعيم (١٧) فاكهين بما

آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم (١٨) كلوا واشربوا هنيئا

بما كنتم تعملون (١٩) متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين (٢٠)

(١) راجع ج ٨ ص ٢٠١

(٢) راجع ج ٢٠ ص ٢١١

(٣) راجع ج ٩ ص ٣٥٥

قوله تعالى: (ان المتقين في جنات ونعيم) لما ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين أيضا (فاكهين) أي ذوي فاكهة كثيرة، يقال: رجل فاكه أي ذو فاكهة، كما يقال: لابن وتامر، أي ذو لبن وتمر، قال (١):

وغررتني وزعمت أنك \* لابن بالصيف تأمر  
أي ذو لبن وتمر. وقرأ الحسن وغيره: (فكهين) بغير ألف ومعناه معجبين ناعمين في قول ابن عباس وغيره، يقال: فكه الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحا: والفكه أيضا الأشر البطر. وقد مضى في (الدخان (٢)) القول في هذا. (بما آتاهم)

أي أعطاهم (ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم). (كلوا واشربوا) أي يقال لهم ذلك. (هنيئا) الهنيء ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر. قال الزجاج: أي ليهنئكم ما صرتم إليه

(هنيئا). وقيل: أي متعم بنعيم الجنة إمتاعا هنيئا. وقيل: أي كلوا واشربوا هنيئا (هنيئا) فهو صفة في موضع المصدر. وقيل: (هنيئا) أي حاللا. وقيل: لا أذى فيه ولا غائلة. وقيل: (هنيئا) أي لا تموتون، فإن ما لا يبقى أو لا يبقى الانسان معه منغص غير هنيء. قوله تعالى: (متكئين على سرر) سرر جمع سرير وفي الكلام حذف تقديره: متكئين على نمارق سرر. (مصنوفة) قال ابن الأعرابي: أي موصولة بعضها إلى بعض حتى تصير صفا. وفي الاخبار أنها تصف في السماء بطول كذا وكذا، فإذا أراد العبد أن يجلس

عليها تواضعت له، فإذا جلس عليها عادت إلى حالها. قال ابن عباس: هي سرر من ذهب مكلفة

بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير ما بين مكة وأيلة. (وزوجناهم بحور عين) أي قرناهم

بهن. قال يونس بن حبيب: تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة، وليس من كلام العرب تزوجت بامرأة. قال: وقول الله عز وجل: (وزوجناهم بحور عين) أي قرناهم بهن، من قول الله تعالى: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم (٣)) أي وقرناءهم. وقال الفراء: تزوجت بامرأة لغة في أزد شنوءة. وقد مضى القول في معنى الحور العين (٤).

(١) هو الحطيئة.

(٢) راجع ج ١٦ ص ١٣٩

(٣) راجع ج ١٥ ص ١٥٢

(٤) راجع ج ١٦ ص ١٥٢

قوله تعالى: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرى بما كسب رهين (٢١) وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون (٢٢) يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم (٢٣) ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون (٢٤)

قوله تعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم) قرأ العامة (واتبعتهم) بوصل الألف وتشديد التاء وفتح العين وإسكان التاء. وقرأ عمرو (وأتبعناهم) بقطع الألف وإسكان التاء والعين ونون، اعتبارا بقوله: (ألحقنا بهم)، ليكون الكلام على نسق واحد. فأما قوله: (ذريتهم) الأولى فقرأها بالجمع ابن عامر وأبو عمرو ويعقوب ورواها عن نافع إلا أن أبا عمرو كسر التاء على المفعول وضم باقيهم. وقرأ الباقون (ذريتهم) على التوحيد وضم

التاء وهو المشهور عن نافع. فأما الثانية فقرأها نافع وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بكسر

التاء على الجمع. الباقون (ذريتهم) على التوحيد وفتح التاء. واختلف في معناه، فقيل عن

ابن عباس أربع روايات: الأولى أنه قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة

وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه، وتلا هذه الآية. ورواه مرفوعا النحاس في (الناسخ)

والمسنوخ) له عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله لتقربهم

عينه) ثم قرأ (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان) الآية. قال أبو جعفر: فصار الحديث مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا يجب أن يكون، لان ابن عباس لا يقول

هذا إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه إخبار عن الله عز وجل بما يفعله وبمعنى

أنه أنزلها جل ثناؤه. الزمخشري: فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الاخوان المؤمنين، وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم.

وعن ابن عباس أيضا أنه قال: إن الله ليلحق بالمؤمن ذريته الصغار الذين لم يبلغوا  
الإيمان،  
قاله المهدي. والذرية تقع على الصغار والكبار، فإن جعلت الذرية ها هنا للصغار كان  
قوله

تعالى: (بإيمان) في موضع الحال من المفعولين، وكان التقدير (بإيمان) من الآباء.  
وإن جعلت الذرية للكبار كان قوله: (بإيمان) حالا من الفاعلين. القول الثالث عن  
ابن عباس: أن المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار والذرية التابعون. وفي رواية  
عنه:

إن كان الآباء أرفع درجة رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة رفع الله  
الآباء إلى الأبناء، فالآباء داخلون في اسم الذرية، كقوله تعالى: (وآية لهم أنا حملنا  
ذريتهم

في الفلك المشحون (١)). وعن ابن عباس أيضا يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
قال: (إذا دخل

أهل الجنة الجنة سألت أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده فيقال لهم إنهم لم يدركوا  
ما أدركت فيقول يا رب إنني عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به). وقالت خديجة رضي  
الله عنها: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين لي ماتا في الجاهلية فقال لي:  
(هما

في النار) فلما رأى الكراهية في وجهي قال: (لو رأيت مكانهما لأبغضتهما) قالت:  
يا رسول الله فولدي منك؟ قال: (في الجنة) ثم قال: (إن المؤمنين وأولادهم في الجنة  
والمشركين وأولادهم في النار (٢)) ثم قرأ (والذين آمنوا وأتبعتهم ذريتهم بإيمان)  
الآية.

(وما ألتناهم من عملهم من شيء) أي ما نقصنا الأبناء من ثواب أعمالهم لقصر أعمارهم،  
وما نقصنا الآباء من ثواب أعمالهم شيئا بإلحاق الذريات بهم. والهاء والميم راجعان  
إلى

قوله تعالى: (والذين آمنوا). وقال ابن زيد: المعنى (وأتبعتهم ذريتهم بإيمان)  
ألحقنا بالذرية أبناءهم الصغار الذين لم يبلغوا العمل، فالهاء والميم على هذا القول  
للذرية.

وقرأ ابن كثير (وما ألتناهم) بكسر اللام. وفتح الباقون. وعن أبي هريرة (ألتناهم)  
بالمدة، قال ابن الأعرابي: ألته يألته ألتا، وآلته يؤلته إيلاتا، ولاته يليتته ليتا كلها إذا نقصه.

(١) هذا الحديث كان قبل قوله صلى الله عليه وسلم: (سألت ربي فأعطاني أولاد المشركين خدما  
لأهل الجنة).



وفي الصحاح: ولاته عن وجهه يلوته ويليته أي حبسه عن وجهه وصرفه، وكذلك آلاته  
عن  
وجهه فعل وأفعل بمعنى، ويقال أيضا: ما آلاته من عمله شيئا أي ما نقصه مثل آله وقد  
مضى  
ب (الحجرات (١)). (كل امرى بما كسب رهين) قيل: يرجع إلى أهل النار. قال ابن  
عباس:  
ارتهن أهل جهنم بأعمالهم وصار أهل الجنة إلى نعيمهم، ولهذا قال: (كل نفس بما  
كسبت  
رهينة. إلا أصحاب اليمين (٢)). وقيل: هو عام لكل إنسان مرتهن بعمله فلا ينقص أحد  
من  
ثواب عمله، فأما الزيادة على ثواب العمل فهي تفضل من الله. ويحتمل أن يكون هذا  
في الذرية الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مرتهين بكفرهم.  
قوله تعالى: (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أي أكثرنا لهم من ذلك  
زيادة من الله، أمدهم بها غير الذي كان لهم.  
قوله تعالى: (يتنازعون فيها كأسا) أي يتناولها بعضهم من بعض وهو المؤمن وزوجاته  
وخدمه في الجنة. والكأس: إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره، فإذا فرغ لم  
يسم  
كأسا. وشاهد التنازع والكأس في اللغة قول الأخطل:  
وشارب مربح بالكأس نادمني \* لا بالحصور ولا فيها بسوار (٣)  
نازعت طيب الراح الشمول وقد \* صاح الدجاج وحانت وقعة الساري  
وقال امرؤ القيس:  
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت \* هصرت بغصن ذي شماريخ ميال  
وقد مضى هذا في (والصافات (٤)). (لا لغو فيها) أي في الكأس أي لا يجري بينهم  
لغو

(١) راجع ج ١٦ ص ٣٤٨

(٢) راجع ج ١٩ ص ٨٥

(٣) مربح: ينحر لضيفانه الربح وهي الفصلان، ويروى: مرتج وهو الذي كأسه ملأى بالخمر فيسكر ولا

يتغير

عن أخلاقه الحميدة. والحصور الضيق البخيل مثل الحصير. والسوار هو المعربد الوثاب، ويروى بستار وهو  
الذي

إذا شرب ترك بقية في فعر الاناء. والدجاج هنا المراد به الديكة يريد وقت السحر، يقال هذا دجاج فيريدون  
الديوك. وهذه دجاج فيريدون الأنثى. ووقعة الساري - ويروى وقفة الساري - من وقعت الإبل إذا بركت.  
والساري هو السائر بالليل. وفي نسخ الأصل كلها: في الكأس نازعني. والتصحيح كما أثبتناه في صدر

الكتاب من ديوان  
الأخطل طبع اليسوعيين.  
(٤) راجع ج ١٥ ص ٧٧... ففيها الكلام على الكأس.



(ولا تأثيم) ولا ما فيه إثم. والتأثيم تفعيل من الاثم، أي تلك الكأس لا تجعلهم آثمين لأنه مباح لهم. وقيل: (لا لغو فيها) أي في الجنة. قال ابن عطاء: أي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن، وسقاتهم الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله، والقوم أضياف الله! (ولا تأثيم) أي ولا كذب، قاله ابن عباس. الضحاك: يعني لا يكذب بعضهم بعضا. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو: (لا لغو فيها ولا تأثيم) بفتح آخره. الباقون بالرفع والتنوين. وقد مضى هذا في (البقرة (١)) عند قوله تعالى: (ولا خلة ولا شفاعة) والحمد لله.

قوله تعالى: (ويطوف عليهم غلمان لهم) أي بالفواكه والتحف والطعام والشراب، ودليله: (يطاف عليهم بصحاف من ذهب (٢))، (يطاف عليهم بكأس من معين (٣)). ثم قيل: هم الأطفال من أولادهم الذين سبقوهم، فأقر الله تعالى بهم أعينهم. وقيل: إنهم من أخدمهم الله تعالى إياهم من أولاد غيرهم. وقيل: هم غلمان خلقوا في الجنة. قال الكلبي: لا يكبرون أبدا (كأنهم) في الحسن والبياض (لؤلؤ مكنون) في الصدف، والمكنون المصون.

وقوله تعالى: (يطوف عليهم ولدان مخلدون (٤)). قيل: هم أولاد المشركين وهم خدم أهل الجنة. وليس في الجنة نصب ولا حاجة إلى خدمة، ولكنه أخبر بأنهم على نهاية النعيم. وعن عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدمه فيجيبه ألف كلهم لبيك لبيك). وعن عبد الله بن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه). وعن الحسن أنهم قالوا: يا رسول الله إذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف يكون المخدوم؟ فقال: (ما بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين أصغر الكواكب). قال الكسائي: كنت الشيء سترته وصننته من الشمس، وأكنته في نفسي أسررته. وقال أبو زيد: كنته وأكنته بمعنى في الكن وفي النفس جميعا، تقول: كنت العلم وأكنته فهو مكنون ومكن. وكنت الجارية وأكنتها (٥) فهي مكنونة ومكنة.

- 
- (١) راجع ج ٣ ص ٢٦٧  
(٢) راجع ج ١٦ ص ١١١  
(٣) راجع ج ١٥ ص ٧٧  
(٤) راجع ص ٢٠٢ من هذا الجزء.  
(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل.

قوله تعالى: وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٢٥) قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين (٢٦) فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم (٢٧) انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم (٢٨)

قوله تعالى: (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) قال ابن عباس: إذا بعثوا من قبورهم سأل بعضهم بعضا. وقيل: في الجنة (يتساءلون) أي يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والخوف من العقاب، ويحمدون الله تعالى على زوال الخوف عنهم. وقيل: يقول بعضهم لبعض بم صرت في هذه المنزلة الرفيعة؟ (قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين) أي قال كل مسؤول منهم لسائله: (إنا كنا قبل) أي في الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله. (فمن الله علينا) بالجنة والمغفرة. وقيل: بالتوفيق والهداية. (ووقانا عذاب السموم) قال الحسن: (السموم) اسم من أسماء النار وطبقة من طباق جهنم. وقيل: هو النار كما تقول جهنم. وقيل: نار عذاب السموم. والسموم الريح الحارة تؤنث،

يقال منه: سم يومنا فهو مسموم والجمع سمائم قال أبو عبيدة: السموم بالنهار وقد تكون

بالليل، والحرور بالليل وقد تكون بالنهار، وقد تستعمل السموم في لفح البرد [وهو في لفح

(١) لفر] والشمس أكثر، قال الراجز:

اليوم يوم بارد سمومه \* من جزع اليوم فلا ألومه

قوله تعالى: (انا كنا من قبل ندعوه) أي في الدنيا بأن يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا. وقيل: (ندعوه) أي نعبده. (انه هو البر الرحيم) وقرأ نافع والكسائي (أنه) بفتح الهمزة، أي لأنه. الباكون بالكسر على الابتداء. و (البر) اللطيف (٢)، قاله ابن عباس.

وعنه أيضا: أنه الصادق فيما وعد. وقاله ابن جريج.

(١) الزيادة من ن.

(٢) تفسير البر بالمحسن أولى كما في روح المعاني وغيره من التفسير.

قوله تعالى: فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون (٢٩)  
أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (٣٠) قل تربصوا فاني  
معكم من المتربصين (٣١) أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم  
طاغون (٣٢) أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون (٣٣) فليأتوا بحديث  
مثله ان كانوا صادقين (٣٤)

قوله تعالى: (فذكر) أي فذكر يا محمد قومك بالقرآن. (فما أنت بنعمة ربك) يعني  
برسالة ربك (بكاهن) تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي. (ولا مجنون) وهذا  
رد لقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم، فعقبة بن أبي معيط قال: إنه مجنون، وشيبة  
بن ربيعة

قال: إنه ساحر، وغيرهما قال: كاهن، فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم. ثم قيل: إن معنى  
(فما أنت بنعمة ربك) القسم، أي وبنعمة الله ما أنت بكاهن ولا مجنون. وقيل: ليس  
قسما، وإنما هو كما تقول: ما أنت بحمد الله بجاهل، أي قد برأك الله من ذلك.  
قوله تعالى: (أم يقولون شاعر) أي بل يقولون محمد شاعر. قال سيبويه: خوطب  
العباد بما جرى في كلامهم. قال أبو جعفر النحاس: وهذا كلام حسن إلا أنه غير مبين  
ولا مشروح، يريد سيبويه أن (أم) في كلام العرب لخروج من حديث إلى حديث، كما  
قال (١):

\* أتتهجر غانية أم تلم \*

فتم الكلام ثم خرج إلى شيء آخر فقال:

\* أم الحبل واه بها منجذم \*

فما جاء في كتاب الله تعالى من هذا فمعناه التقرير والتوبيخ والخروج من حديث إلى  
حديث،

والنحويون يمثلونها ببل. (نتربص به ريب المنون) قال قتادة: قال قوم من الكفار  
تربصوا

(١) هو الأعشى.

بمحمد الموت يكفيكموه كما كفى شاعر بني فلان. قال الضحاك: هؤلاء بنو عبد  
الدار نسيوه

إلى أنه شاعر، أي يهلك عن قريب كما هلك من قبل من الشعراء، وأن أباه مات شابا  
فربما

يموت كما مات أبوه. وقال الأخفش: نتربص به إلى ريب المنون فحذف حرف الجر،  
كما تقول: قصدت زيدا وقصدت إلى زيد. والمنون: الموت في قول ابن عباس.  
قال أبو الغول الطهوي:

هم منعوا حمى الوقبي بضر \* يؤلف بين أشتات المنون (١)  
أي المنايا، يقول: إن الضرب يجمع بين قوم متفرقي الأمكنة لو أتتهم مناياهم في  
أماكنهم لا تتهم

متفرقة، فاجتمعوا في موضع واحد فأتتهم المنايا مجتمعة. وقال السدي عن أبي مالك  
عن

ابن عباس: (ريب) في القرآن شك إلا مكانا واحدا في الطور (ريب المنون) يعني  
حوادث

الأمور، وقال الشاعر (٢):

تربص بها ريب المنون لعلها \* تطلق يوما أو يموت حليلها  
وقال مجاهد: (ريب المنون) حوادث الدهر، والمنون هو الدهر، قال أبو ذؤيب:  
أمن المنون وريبه تتوجع \* والدهر ليس بمعتب من يجزع  
وقال الأعشى:

أأن رأيت رجلا أعشى أضربه \* ريب المنون ودهر متبل خبل (٣)  
قال الأصمعي: المنون والليل والنهار، وسميا بذلك لأنهما ينقصان الأعمار ويقطعان  
الآجال.

وعنه: أنه قيل للدهر منون، لأنه يذهب بمنة الحيوان أي قوته وكذلك المنية. أبو عبيدة:  
قيل للدهر منون، لأنه مضعف، من قولهم جبل منين أي ضعيف، والمنين الغبار  
الضعيف.

قال الفراء: والمنون مؤنثة وتكون واحدا وجمعا. الأصمعي: المنون واحد لا جماعة له.

(١) هو من بني نهشل واسمه علباء بن جوشن. والوقبي. كحزمي ماء لنبي مالك بن مازن مشهور بوقائع  
عديدة وهو

على طريق المدينة من البصرة.

(٢) الذي في نسخ الأصل: قال ابن عباس وليس بشيء، وفي سائر كتب التفسير قال الشاعر كما أثبتناه.

(٣) يروي: ودهر مفند. وهي الرواية المشهورة. متبل مسقم أو يذهب بالأهل والولد. وخبل ككتف ملتو  
على أهله لا يرون فيه سررا.



الأخفش: هو جماعة لا واحد له، والمنون يذكر ويؤنث، فمن ذكره جعله الدهر أو الموت

ومن أنه فعلى الحمل على المعنى كأنه أراد المنية.

قوله تعالى: (قل تربصوا) أي قل لهم يا محمد تربصوا أي انتظروا. (فاني معكم من المتربصين) أي من المنتظرين بكم العذاب، فعذبوا يوم بدر بالسيف. قوله تعالى: (أم تأمرهم أحلامهم) أي عقولهم (بهذا) أي بالكذب عليك. (أم هم قوم طاغون) أي أم طغوا بغير عقول. وقيل: (أم) بمعنى بل، أي بل كفروا طغيانا وإن ظهر لهم الحق. وقيل لعمر بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل؟ فقال: تلك عقول كادها الله، أي لم يصحبها بالتوفيق. وقيل: (أحلامهم) أي أذهانهم، لان العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لآمن. وإنما يعطى الكافر الذهن

فصار عليه حجة. والذهن يقبل العلم جملة، والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الأمر والنهي

. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال: يا رسول الله، ما أعقل فلانا النصراني! فقال: (مه إن الكافر لا عقل له أما سمعت قول الله تعالى: (وقالوا لو كنا نسمع

أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)). وفي حديث ابن عمر: فزجره النبي صلى الله عليه وسلم،

ثم قال: (مه فإن العاقل من يعمل بطاعة الله) ذكره الترمذي الحكيم أبو عبد الله بإسناده.

(أم يقولون تقوله) أي افتعله وافتراه، يعني القرآن. والتقول تكلف القول، وإنما يستعمل في الكذب في غالب الامر. ويقال قولتني ما لم أقل! وأقولتني ما لم أقل، أي ادعيته

علي. وتقول عليه أي كذب عليه. واقتال عليه تحكم قال (١):

ومنزلة في دار صدق وغبطة\* وما اقتال من حكم علي طيب

فأم الأولى للانكار والثانية للايجاب أي ليس كما يقولون. (بل لا يؤمنون) جحدا واستكبارا.

(فليأتوا بحديث مثله) أي بقرآن يشبهه من تلقاء أنفسهم (ان كانوا صادقين) في أن محمدا

افتراه. وقرأ الجحدري (فليأتوا بحديث مثله) بالإضافة. والهاء في (مثله) للنبي صلى الله

(١) هو كعب بن سعد الغنوي.





عليه وسلم، وأضيف الحديث الذي يراد به القرآن إليه لأنه المبعوث به. والهاء على قراءة الجماعة للقرآن.

قوله تعالى: أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون (٣٥)  
أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون (٣٦) أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون (٣٧) أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسطان مبين (٣٨) أم له البنات ولكم البنون (٣٩)  
أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون (٤٠) أم عندهم الغيب فهم يكتبون (٤١) أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون (٤٢)  
أم لهم اله غير الله سبحانه الله عما يشركون (٤٣)  
قوله تعالى: (أم خلقوا من غير شيء) (أم) صلة زائدة والتقدير أخلقوا من غير شيء. قال ابن عباس (١): من غير رب خلقهم وقدرهم. وقيل: من غير أم ولا أب، فهم كالجماذ لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة، ليسوا كذلك! أليس قد خلقوا من نطفة وعلقة

ومضغة؟ قاله ابن عطاء. وقال ابن كيسان: أم خلقوا عبثا وتركوا سدى (من غير شيء) أي لغير شيء ف (من) بمعنى اللام. (أم هم الخالقون) أي يقولون إنهم خلقوا أنفسهم فهم لا يأترون لأمر الله وهم لا يقولون ذلك، وإذا أقروا أن ثم خالقا غيرهم فما الذي يمنعهم

من الاقرار له بالعبادة دون الأصنام، ومن الاقرار بأنه قادر على البعث. (أم خلقوا السماوات والأرض) أي ليس الامر كذلك فإنهم لم يخلقوا شيئا (بل لا يوقنون) بالحق (أم عندهم خزائن ربك) أم عندهم ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن أمره. وقال ابن عباس: خزائن ربك المطر والرزق. وقيل: مفاتيح الرحمة. وقال عكرمة: النبوة. أي أفيأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة يضعونها حيث شاءوا. وضرب المثل بالخزائن، لان الخزانة بيت

(١) في ل: (قال ابن الكمي).

يهياً لجمع أنواع مختلفة من الذخائر، ومقدورات الرب كالخزائن التي فيها من كل الأجناس

فلا نهاية لها. (أم هم المسيطرون) قال ابن عباس: المسلطون الجبارون. وعنه أيضا: المبطلون. وقاله الضحاك. وعن ابن عباس أيضا: أم هم المتولون. عطاء: أم هم أرباب قاهرون. قال عطاء: يقال تسيطر علي أي اتخذتني خو لا لك. وقاله أبو عبيدة. وفي الصحاح: المسيطر والمسيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب

عمله، وأصله من السطر، لان الكتاب يسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر. يقال سيطرت

علينا. ابن بحر: (أم هم المسيطرون) أي هم الحفظة، مأخوذ من تسطير الكتاب الذي يحفظ ما كتب فيه، فصار المسيطر هاهنا حافظا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ. وفيه ثلاث

لغات: الصاد وبها قرأت العامة، والسين وهي قراءة ابن محيصة وحميد ومجاهد وقنبل وهشام وأبي حياة، وبإشمام الصاد الزاي وهي قراءة حمزة كما تقدم في (الصراط ((١)).

قوله تعالى: (أم لهم سلم) أي أيدعون أن لهم مرتقى إلى السماء ومصعدا وسببا (يستمعون فيه) أي عليه الاخبار ويصلون به إلى علم الغيب، كما يصل إليه محمد صلى الله

عليه وسلم بطريق الوحي.

(فليات مستمعهم بسطان ميين) أي بحجة بينة أن هذا الذي هم عليه حق. والسلم واحد السلالم التي يرتقى عليها. وربما سمي الغرز بذلك، قال أبو الربيس

الثعلبي يصف ناقته:

مطارة قلب إن ثنى الرجل ربها \* بسلم غرز في مناخ يعاجله  
وقال زهير:

ومن هاب أسباب المنية يلقتها (٢) \* ولو رام أسباب السماء بسلم  
وقال آخر:

تجنيت لي ذنبا وما إن جنيته \* لتتخذني عذرا إلى الهجر سلما

(١) راجع ج ١ ص ١٤٧

(٢) ويروى:

\* ومن هاب أسباب المنايا ينلنه \*

وهي الرواية المشهورة.



(٧٥)

وقال ابن مقبل في الجمع:  
لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولا \* بينى له في السماوات السلايم  
الاحجاء النواحي مثل الارجاء واحدها حجا ورجا مقصور. ويروى: أعناء البلاد،  
والاعناء

أيضا الجوانب والنواحي واحدها عنو بالكسر. وقال ابن الأعرابي: واحدها عنا مقصور.  
وجاءنا أعناء من الناس واحدهم عنو بالكسر، وهم قوم من قبائل شتى. (يستمعون فيه)  
أي عليه، كقوله تعالى: (في جذوع النخل (١)) أي عليها، قاله الأخفش. وقال أبو  
عبيدة:

يستمعون به. وقال الزجاج: أي ألهم كجبريل الذي يأتي النبي صلى الله عليه وسلم  
بالوحي.

قوله تعالى: (أم له البنات ولكم البنون) سفه أحلامهم توبيخا لهم وتقريبا.  
أي أتضيفون إلى الله البنات مع أنفتكم منهن، ومن كان عقله هكذا فلا يستبعد منه  
إنكار

البعث. (أم تسألهم أجرا) أي على تبليغ الرسالة. (فهم من مغرم مثقلون) أي فهم من  
المغرم الذي تطلبهم به (مثقلون) مجهدون لما كلفتهم به. (أم عندهم الغيب فهم  
يكتبون)

أي يكتبون للناس ما أرادوه من علم الغيوب. وقيل: أي أم عندهم علم ما غاب عن  
الناس

حتى علموا أن ما أخبرهم به الرسول من أمر القيامة والجنة والنار والبعث باطل. وقال  
قتادة:

لما قالوا نتربص به ريب المنون قال الله تعالى: (أم عندهم الغيب) حتى علموا متى  
يموت

محمدا أو إلى ما يقول إليه أمره. وقال ابن عباس: أم عندهم اللوح المحفوظ فهم  
يكتبون

ما فيه ويخبرون الناس بما فيه. وقال القتيبي: يكتبون يحكمون والكتاب الحكم، ومنه  
قوله

تعالى: (كتب ربكم على نفسه الرحمة (٢)) أي حكم، وقوله عليه الصلاة والسلام:  
(والذي

نفسى بيده لأحكمن بينكم بكتاب الله) أي بحكم الله.

قوله تعالى: (أم يريدون كيدا) أي مكرا بك في دار الندوة. (فالذين كفروا  
هم المكيدون) أي الممكور بهم (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله (٣)) وذلك أنهم  
قتلوا بيدر.

(أم لهم اله غير الله) يخلق ويرزق ويمنع. (سبحان الله عما يشركون) نزه نفسه أن

يكون  
له شريك. قال الخليل: كل ما في سورة (والطور) من ذكر (أم) فكلمة استفهام وليس  
بعطف.

-----  
(١) راجع ج ١١ ص ٢٢٤

(٢) راجع ج ٦ ص ٤٣٥

(٣) راجع ج ١٤ ص ٣٥٨

قوله تعالى: وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب  
مر كوم (٤٤) فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون (٤٥) يوم  
لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون (٤٦)  
قوله تعالى: (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) قال ذلك جوابا لقولهم:  
(فأسقط علينا كسفا من السماء (١))، وقولهم: (أو تسقط السماء كما زعمت علينا  
كسفا (٢)) فأعلم  
أنه لو فعل ذلك لقالوا: (سحاب مر كوم) أي بعضه فوق بعض سقط علينا وليس سماء،  
وهذا فعل المعاند أو فعل من استولى عليه التقليد، وكان في المشركين القسمان.  
والكسف  
جمع كسفة وهي القطعة من الشيء، يقال: أعطني كسفة من ثوبك، ويقال في جمعها  
أيضا:  
كسف. ويقال: الكسف والكسفة واحد. وقال الأخفش: من قرأ كسفا جعله واحدا،  
ومن قرأ (كسفا) جعله جمعا. وقد تقدم القول في هذا في (سبحان (٢)) وغيرها  
والحمد لله.  
قوله تعالى: (فذرهم) منسوخ بآية السيف. (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه  
يصعقون) بفتح الياء قراءة العامة، وقرأ ابن عامر وعاصم بضمها. قال الفراء: هما لغتان  
صعق وصعق مثل سعد وسعد. قال قتادة: يوم يموتون. وقيل: هو يوم بدر. وقيل:  
يوم النفخة (٣) الأولى. وقيل: يوم القيامة يأتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم. وقيل:  
(يصعقون) بضم الياء من أصعقه الله.  
قوله تعالى: (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا) أي ما كادوا به النبي صلى الله عليه وسلم  
في الدنيا. (ولا هم ينصرون) من الله. و (يوم) منصوب على البدل من (يومهم الذي  
فيه يصعقون).

قوله تعالى: وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم  
لا يعلمون (٤٧) واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك  
حين تقوم (٤٨) ومن الليل فسبحه وادبار النجوم (٤٩)

(١) راجع ح ١٣ ص ١٣٦

(٢) راجع ج ١٠ ص ٣٣

(٣) في ن: (وقال غيره عند النفخة الأولى).

قوله تعالى: (وان للذين ظلموا) أي كفروا (عذابا دون ذلك) قيل: قبل موتهم. ابن زيد: مصائب الدنيا من الأوجاع والاسقام والبلايا وذهاب الأموال والأولاد. مجاهد: هو الجوع والجهد سبع سنين. ابن عباس: هو القتل. عنه: عذاب القبر. وقاله البراء بن عازب وعلي رضي الله عنهم. ف (دون) بمعنى غير. وقيل: عذابا أخف من عذاب الآخرة. (ولكن أكثرهم لا يعلمون) [أن (١) العذاب نازل بهم] وقيل: (ولكن

أكثرهم لا يعلمون) ما يصيرون إليه. قوله تعالى: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا). فيه مسألتان:

الأولى - (واصبر لحكم ربك) قيل: لقضاء ربك فيما حملك من رسالته. وقيل: لبلائه فيما ابتلاك به من قومك، ثم نسخ بآية السيف. الثانية - قوله تعالى: (فإنك بأعيننا) أي بمرأى ومنظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك. والمعنى واحد. ومنه

قول تعالى لموسى عليه السلام: (ولتصنع على عيني) أي بحفظي وحراستي وقد تقدم (٢).

قوله تعالى: (وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) فيه مسألتان:

الأولى - قوله تعالى: (وسبح بحمد ربك حين تقوم) اختلف في تأويل قوله: (حين تقوم) فقال عون بن مالك وابن مسعود وعطاء وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وأبو الأحوص: يسبح الله حين يقوم من مجلسه، فيقول: سبحان الله وبحمده، أو سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيرا ازددت ثناء حسنا، وإن كان غير ذلك كان كفارة له، ودليل

هذا التأويل ما أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك) قال: حديث

(١) الزيادة من ز، ل، ن، ه.

(٢) راجع ج ١١ ص ١٩٦.

(۷۸)



حسن صحيح غريب. وفيه عن ابن عمر قال: كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس

الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: (رب أغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور) قال حديث حسن صحيح غريب. وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع: المعنى حين

تقوم إلى الصلاة. قال الضحاك يقول: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً. قال الكيا الطبري: وهذا فيه بعد، فإن قوله: (حين تقوم) لا يدل على التسبيح بعد التكبير، فإن التكبير هو الذي يكون بعد القيام، والتسبيح يكون وراء ذلك، فدل على أن المراد فيه حين تقوم من كل مكان كما قال ابن مسعود رضي الله عنه. وقال

أبو الجوزاء وحسان بن عطية: المعنى حين تقوم من منامك. قال حسان: ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله. وقال الكلبي: واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل الصلاة وهي صلاة الفجر. وفي هذا روايات مختلفات صحاح، منها حديث عبادة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: (من تعار في الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك

وله الحمد وهو على كل شيء قدير والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم أغفر لي أو دعا أستجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته) خرجه البخاري.

تعار الرجل من الليل: إذا هب من نومه مع صوت، ومنه عار الظليم يعار عرارا وهو صوته،

وبعضهم يقول: عر الظليم يعر عرارا، كما قالوا زمر النعام يزمر زمارا. وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: (اللهم

لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض

ومن فيهن ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن أنت الحق ووعدك الحق

وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق

اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت

فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت  
ولا إله غيرك) متفق عليه. وعن ابن عباس أيضا أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا استيقظ  
من الليل مسح النوم عن وجهه، ثم قرأ العشر الآيات الأواخر من سورة (آل عمران  
(١)).

-----  
(١) من قوله تعالى: (ان في خلق السماوات والأرض... آية. ١٩).

وقال زيد بن أسلم: المعنى حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر. قال ابن العربي: أما نوم القائلة فليس فيه أثر وهو ملحق بنوم الليل. وقال الضحاك: إنه التسبيح في الصلاة إذا قام إليها. الماوردي: وفي هذا التسبيح قولان: أحدهما وهو قوله سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود. الثاني أنه التوجه في الصلاة يقول: سبحانك

اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. قال ابن العربي: من قال إنه التسبيح للصلاة فهذا أفضل، والآثار في ذلك كثيرة أعظمها ما ثبت عن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: (وجهت وجهي) الحديث. وقد ذكرناه وغيره في آخر سورة (الانعام (١)). وفي البخاري

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي،

فقال: (قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة

من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم).

الثانية - قوله تعالى: (ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم) تقدم في (ق (٢)) مستوفى عند قوله تعالى: (ومن الليل فسبحه وإدبار السجود). وأما (إدبار النجوم) فقال علي وابن عباس وجابر وأنس: يعني ركعتي الفجر. فحمل بعض العلماء الآية على هذا القول على الندب وجعلها منسوخة بالصلوات الخمس. وعن الضحاك وابن زيد: أن قوله: (وإدبار النجوم) يريد به صلاة الصبح وهو اختيار الطبري. وعن ابن عباس: أنه التسبيح في آخر الصلوات. وبكسر الهمزة في (إدبار النجوم) قرأ السبعة على المصدر حسب

ما بيناه في (ق). وقرأ سالم بن أبي الجعد ومحمد بن السميعة (وإدبار) بالفتح، ومثله روي

عن يعقوب وسلام وأيوب، وهو جمع دبر ودبر. ودبر الأمر ودبره آخره. وروى الترمذي

من حديث محمد بن فضيل، عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال: (إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب)

-----

(١) راجع ج ٧ ص ١٥٣  
(٢) راجع ص ٦٥ من هذا الجزء.

قال: حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن  
رشدين بن كريب. وسألت محمد بن إسماعيل عن محمد بن فضيل ورشدين بن  
كريب أيهما

أوثق؟ فقال: ما أقربهما، ومحمد عندي أرجح. قال: وسألت عبد الله بن عبد الرحمن  
عن هذا فقال: ما أقربهما، ورشدين بن كريب أرجحهما عندي. قال الترمذي: والقول  
ما قال أبو محمد ورشدين بن كريب عندي أرجح من محمد وأقدم، وقد أدرك رشدين  
ابن عباس

ورآه. وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه  
وسلم

على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين (١) قبل الصبح. وعنهما عن النبي  
صلى الله

عليه وسلم قال: (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها). تم تفسير سورة (الطور)  
والحمد لله.

سورة (والنجم)

مكية، وهي إحدى وستون آية

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها  
وهي قوله تعالى: (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) الآية. وقيل: اثنتان وستون  
آية. وقيل: إن السورة كلها مدنية. والصحيح أنها مكية لما روى ابن مسعود أنه قال:  
هي أول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة. وفي (البخاري) عن ابن  
عباس:

أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن  
والانس.

وعن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فسجد لها، فما بقي أحد  
من القوم

إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفا من حصباء أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال:  
يكفيني

هذا. قال عبد الله: فلقد رأيت بعد قتل كافراً، متفق عليه. الرجل يقال له (٢) أمية بن  
خلف.

وفي الصحيحين عن زيد بن ثابت [رضي الله عنه (٣)] أنه قرأ على النبي صلى الله عليه  
وسلم

سورة (والنجم إذا هوى) فلم يسجد. وقد مضى في آخر (الأعراف (٤)) القول في هذا  
والحمد لله.

- 
- (١) في ن: أشد معاهدة منه على ركعتي الفجر قبل الصبح).
- (٢) في ل: (هو).
- (٣) الزيادة: من ز، ل.
- (٤) راجع ج ٧ ص ٣٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم  
والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق  
عن الهوى (٣) ان هو الا وحى يوحى (٤) علمه شديد القوى (٥)  
ذو مرة فاستوى (٦) وهو بالأفق الاعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨)  
فكان قاب قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠)  
قوله تعالى: (والنجم إذا هوى) قال ابن عباس ومجاهد: معنى (والنجم  
إذا هوى) والثريا إذا سقطت مع الفجر، والعرب تسمي الثريا نجما وإن كانت في العدد  
نجوما، يقال: إنها سبعة أنجم، ستة منها ظاهرة وواحد (١) خفي يمتحن الناس به  
أبصارهم.  
وفي (الشفاء) للقاضي عياض: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أحد  
عشر  
نجما. وعن مجاهد أيضا أن المعنى والقرآن إذا نزل، لأنه كان ينزل نجوما. وقاله  
الفراء.  
وعنه أيضا: يعني نجوم السماء كلها حين تغرب. وهو قول الحسن قال: أقسم الله  
بالنجوم  
إذا غابت. وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع، كقول الراعي:  
قباتت تعد النجم في مستحيرة\* سريع بأيدي الآكلين جمودها  
وقال عمر بن أبي ربيعة:  
أحسن النجم في السماء الثريا\* والثريا في الأرض زين النساء  
وقال الحسن أيضا: المراد بالنجم النجوم إذا سقطت يوم القيامة. وقال السدي:  
إن النجم ههنا الزهرة لان قوما من العرب كانوا يعبدونها. وقيل: المراد به النجوم التي  
ترجم بها الشياطين، وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد صلى الله عليه وسلم  
رسولا كثر  
انقضا الكواكب قبل مولده، فذعر أكثر العرب منها وفرعوا إلى كاهن كان لهم  
ضريرا، كان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال: انظروا البروج الاثني عشر فإن  
انقض

(١) في ز، ل: (وواحد منها) بزيادة كلمة: (منها).

منها شئ فهو ذهاب الدنيا، فإن لم ينقض منها شئ فسيحدث في الدنيا أمر عظيم، فاستشعروا ذلك، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم الذي استشعروه، فأنزل الله تعالى: (والنجم إذا هوى) أي ذلك النجم الذي هوى هو لهذه النبوة التي حدثت. وقيل: النجم هنا هو النبت الذي ليس له ساق، وهوى أي سقط على الأرض.

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: (والنجم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم

(إذا هوى) إذا نزل من السماء ليلة المعراج. وعن عروة ابن الزبير رضي الله عنهما أن عتبة

ابن أبي لهب وكان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج إلى الشام فقال: لآتين

محمدا فلاؤذينه، فأتاه فقال: يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى. ثم تفل

في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد عليه ابنته وطلقها، فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال:

ما كان أغناك يا بن أخي عن هذه الدعوة، فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره، ثم خرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلا، فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم: إن هذه أرض مسبعة.

فقال أبو لهب لأصحابه: أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة! فإني أخاف على ابني من دعوة محمد،

فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم، وأحدقوا بعتبة، فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب

عتبة فقتله. وقال حسان:

من يرجع العام إلى أهله \* فما أكيل السبع بالراجع (١)  
وأصل النجم الطلوع، يقال: نجم السن ونجم فلان ببلاد كذا أي خرج على السلطان.

والهوي النزول والسقوط، يقال: هوى يهوي هويا مثل مضى يمضي مضيا، قال زهير:  
فشج بها الأماعز (٢) وهي تهوي \* هوي الدلو أسلمها الرشاء

(١) في: ١ (من يرجع الان).

(٢) شج: علا. والبيت في وصف غير وأثنه، أي لما وجد العير أن صنيعات قد انقطع ماؤها انتقل عنها إلى غيرها فجعل يعلو بالأذن الأماعز وهي حزون الأرض الكثيرة الحصى.





وقال آخر (١):

بينما نحن بالبلاكت فالقاع \* سراعا والعيس تهوي هويا  
خطرت خطرة على القلب من \* ذكراك وهنا فما استطعت مضيا  
الأصمعي: هوى بالفتح يهوي هويا أي سقط إلى أسفل. قال: وكذلك انهوى في السير  
إذا مضى فيه، وهوى وانهوى فيه لغتان بمعنى، وقد جمعهما الشاعر في قوله:  
وكم منزل لولاي طحت كما هوى \* بأجرامه من قلة النيق منهوي (٢)  
ويقال في الحب: هوي بالكسر يهوى هوى، أي أحب.  
قوله تعالى: (ما ضل صاحبكم) هذا جواب القسم، أي ما ضل محمد صلى الله عليه  
وسلم

عن الحق وما حاد عنه. (وما غوى) الغي ضد الرشده أي ما صار غاويا. وقيل:  
أي ما تكلم بالباطل. وقيل: أي ما خاب مما طلب والغي الخيبة، قال الشاعر (٣):  
فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره \* ومن يغو لا يعدم على الغي لائما  
أي من خاب في طلبه لآمه الناس. ثم يجوز أن يكون هذا إخبارا عما بعد الوحي.  
ويجوز  
أن يكون إخبارا عن أحواله على التعميم، أي كان أبدا موحدا لله. وهو الصحيح على ما  
بيناه

في (الشورى (٤)) عند قوله: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان).  
قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى. ان هو الا وحى يوحى).  
فيه مسألتان:

الأولى - قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى) قال قتادة: وما ينطق بالقرآن عن  
هواه (ان هو الا وحى يوحى) إليه. وقيل: (عن الهوى) أي بالهوى، قال أبو عبيدة،

(١) قائله أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن محرمة كان متوجها إلى الشام فلما كان بالبلاكت -  
بالمثلثة -

تذكر زوجته وكان شغوفاً بها فكر راجعا فقال الأبيات، وبعد البيت:

قلت لبيك إذ دعاني لك الشوق \* وللحادين حثا المطيا

(٢) قائله يزيد بن الحكم الثقفي. وقلة كل شيء: أعلاه. والنيق - بكسر النون - أرفع. وضع في الجبل.  
وقيل: الطويل منه.

(٣) قائله المرقش.

(٤) راجع ج ١٦ ص ٥٥

كقوله تعالى: (فاسأل به خبيراً (١)) أي فاسأل عنه. النحاس: قول قتادة أولى، وتكون (عن) على بابها، أي ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحى من الله عز وجل، لان بعده:

(إن هو إلا وحي يوحى).

الثانية - قد يحتج بهذه الآية من لا يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في الحوادث. وفيها أيضا دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل. وقد تقدم في مقدمة

الكتاب حديث المقدام بن معدى كرب (٢) في ذلك والحمد لله. قال السجستاني: إن شئت

أبدلت (إن هو إلا وحي يوحى) من (ما ضل صاحبكم) قال ابن الأنباري: وهذا غلط، لان (إن) الخفيفة لا تكون مبدلة من (ما) الدليل على هذا أنك لا تقول: والله ما قمت إن أنا لقاعد.

قوله تعالى: (علمه شديد القوى) يعني جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين، سوى الحسن فإنه قال: هو الله عز وجل، ويكون قوله تعالى: (ذو مرة) على قول الحسن

تمام الكلام، ومعناه ذو قوة والقوة من صفات الله تعالى، وأصله من شدة فتل الحبل، كأنه استمر به الفتل حتى بلغ إلى غاية يصعب معها الحل. ثم قال: (فاستوى) يعني الله عز وجل، أي استوى على العرش. روي معناه عن الحسن. وقال الربيع بن أنس والفراء: (فاستوى. وهو بالأفق الا على) أي استوى جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وهذا

على العطف على المضمرة المرفوع ب (هو). وأكثر العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا

الموضع أظهروا كناية المعطوف عليه، فيقولون: استوى هو وفلان، وقلما يقولون استوى

وفلان، وأنشد الفراء:

ألم تر أن النبع يصلب عوده \* ولا يستوي والخروع المتقصف (٣)  
أي لا يستوي هو والخروع، ونظير هذا: (أئذا كنا ترابا وآباؤنا (١)) والمعنى أئذا كنا ترابا

نحن وآباؤنا. ومعنى الآية: استوى جبريل هو ومحمد عليهما السلام ليلة الاسراء بالأفق الاعلى.

(١) راجع ج ١٣ ص ٦٣ وص ٢٢٨

(٢) راجع ج ١ ص ٣٧

(٣) النبع: شجر في الجبال تؤخذ منه القسي. والخروع معروف. والمتقصف: المتكسر.

وأجاز العطف على الضمير لثلاثا يتكرر. وأنكر ذلك الزجاج إلا في ضرورة الشعر.  
وقيل:  
المعنى فاستوى جبريل بالأفق الاعلى، وهو أجود. وإذا كان المستوي جبريل فمعنى  
(ذو مرة)  
في وصفه ذو منطق حسن، قاله ابن عباس. وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن. وقيل:  
معناه ذو صحة جسم وسلامة من الآفات، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا  
تحل  
الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي (١)). وقال امرؤ القيس:  
كنت فيهم أبدا ذا حيلة \* محكم المرة مأمون العقد  
وقد قيل: (ذو مرة) ذو قوة. قال الكلبي: وكان من شدة جبريل عليه السلام: أنه  
اقتلع مدائن قوم لوط من الأرض السفلى (٢)، فحملها على جناحه حتى رفعها إلى  
السماء، حتى  
سمع أهل السماء نبخ كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها. وكان من شدته أيضا: أنه أبصر  
إبليس  
يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب من الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة  
ألقاه بأقصى  
جبل في الهند. وكان من شدته: صيحته بتمود في عددهم وكثرتهم، فأصبحوا جاثمين  
خامدين.  
وكان من شدته: هبوطه من السماء على الأنبياء وصعوده إليها في أسرع من الطرف.  
وقال  
قطرب: تقول العرب لكل جزل الرأي حصيف العقل: ذو مرة. قال الشاعر:  
قد كنت قبل لقاكم ذا مرة \* عندي لكل مخاصم ميزانه  
وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله: أن الله ائتمنه على وحيه إلى جميع رسله. قال  
الجوهري: والمرة إحدى الطبائع الأربع، والمرة القوة وشدة العقل أيضا. ورجل مريز  
أي قوي ذو مرة. قال:  
ترى الرجل النحيف فتزدريه \* وحشو ثيابه أسد مريز (٣)  
وقال لقيط:  
حتى استمرت على شزر مريزته \* مر العزيمة لا رتا ولا (٤) ضرعا

(١) السوي: الصحيح الأعضاء.

(٢) في ح، س: (من الماء الأسود).

(٣) قائله العباس بن مرداس. وفي التاج: وفي أثوابه رجل مزيز. بالزاي. ويروى: أسد مزيز. والمزيز كأمير  
الشديد القلب القوى النافذ في الأمور.

(٤) كذا في الأصول (لارتا) والرتة ردة قبيحة في اللسان من العيب.  
والذي في ديوان لقيط بأخر كتاب منتهى الطلب: (لا قحما). والقحم: الشيخ الهرم يعتريه خرق وخرف.  
والضرع:  
اللبن الذليل.

وقال مجاهد وقتادة: (ذو مرة) ذو قوة، ومنه قول خفاف بن ندبة:  
إني امرؤ ذو مرة فاستبقني \* فيما ينوب من الخطوب صليب  
فالقوة تكون من صفة الله عز وجل، ومن صفة المخلوق. (فاستوى) يعني جبريل على  
ما بينا، أي ارتفع وعلا إلى مكان في السماء بعد أن علم محمدا صلى الله عليه وسلم،  
قاله سعيد  
ابن المسيب وابن جبير. وقيل: (فاستوى) أي قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها،  
لأنه كان يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة آدميين كما كان يأتي إلى  
الأنبياء،  
فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه التي جبله الله عليها فأراه نفسه مرتين:  
مرة  
في الأرض ومرة في السماء، فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، وكان النبي صلى الله  
عليه  
وسلم بحراء، فطلع له جبريل من المشرق فسد الأرض إلى المغرب، فخر النبي صلى  
الله عليه  
وسلم مغشيا عليه. فنزل إليه في صورة آدميين وضمه إلى صدره، وجعل يمسح الغبار  
عن  
وجهه، فلما أفاق النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحدا  
على مثل هذه الصورة). فقال: يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي وإن لي  
ستمائة  
جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب. فقال: (إن هذا لعظيم) فقال: وما أنا  
في جنب ما خلقه الله إلا يسيرا، ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح، كل جناح  
منها  
قدر جميع أجنحتي، وانه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوضع.  
يعنى العصفور الصغير، دليله قوله تعالى: (ولقد رآه بالأفق المبين (١)) وأما في السماء  
فعند  
سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا محمدا صلى الله عليه  
وسلم. وقول  
ثالث أن معنى (فاستوى) أي استوى القرآن في صدره. وفيه على هذا وجهان: أحدهما  
في صدر جبريل حين نزل به عليه. الثاني في صدر محمد صلى الله عليه وسلم حين  
نزل عليه.  
وقول رابع أن معنى (فاستوى) فاعتدل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم. وفيه على هذا  
وجهان:  
أحدهما فاعتدل في قوته. الثاني في رسالته. ذكرهما الماوردي.

قلت: وعلى الأول يكون تمام الكلام (ذو مرة، وعلى الثاني (شديد القوى).  
وقول خامس أن معناه فارتفع. وفيه على هذا وجهان: أحدهما أنه جبريل عليه السلام

-----  
(١) راجع ج ١٩ ص ٢٣٩



ارتفع إلى مكانه على ما ذكرنا آنفا. الثاني أنه النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع بالمعراج.

وقول سادس (فاستوى) يعني الله عز وجل، أي استوى على العرش على قول الحسن. وقد مضى القول فيه في (الأعراف (١)).

قوله تعالى: (وهو بالأفق الاعلى) جملة في موضع الحال، والمعنى فاستوى عاليا، أي استوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يراه عليها حتى سأله إياها على ما ذكرنا. والأفق ناحية السماء وجمعه آفاق. وقال قتادة: هو الموضع الذي تأتي منه الشمس. وكذا قال سفيان: هو الموضع الذي تطلع منه الشمس. ونحوه عن مجاهد. ويقال: أفق وأفق مثل عسر وعسر. وقد مضى في (حم السجدة (٢)). وفرس أفق بالضم أي رائع وكذلك الأنثى، قال الشاعر:

أرجل لمتي وأجر ذيلي\* وتحمل شكتي أفق كميث (٣)

وقيل: (وهو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (بالأفق الاعلى) يعني ليلة الاسراء وهذا ضعيف، لأنه يقال: استوى هو وفلان، ولا يقال استوى وفلان إلا في ضرورة الشعر. والصحيح استوى جبريل عليه السلام وجبريل بالأفق الاعلى على صورته الأصلية، لأنه كان يتمثل للنبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بالوحي في صورة رجل، فأحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يراه على صورته الحقيقية، فاستوى في أفق المشرق فملاً الأفق.

قوله تعالى: (ثم دنا فتدلى) أي دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الاعلى من الأرض (فتدلى) فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي. المعنى أنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم من عظمته ما رأى، وهاله ذلك رده الله إلى صورة آدمي حين قرب من النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي، وذلك قوله تعالى: (فأوحى إلى عبده) يعني أوحى الله إلى جبريل وكان جبريل (قاب قوسين أو أدنى) قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وغيرهم. وعن

(١) راجع ج ٧ ص ٢١٩ و ج ١ ص ٢٥٤

(٢) راجع ج ١٥ ص ٣٧٤

(٣) قائله عمرو بن قنساس المرادي. والشكة السلاح. وفي اللسان: وتحمل بزتي. والكميث من الخيل ما خلط

حمرته سواد غير خالص.

ابن عباس أيضا في قوله تعالى: (ثم دنا فتدلى) أن معناه أن الله تبارك وتعالى (دنا) من محمد صلى الله عليه وسلم (فتدلى). وروى نحوه أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والمعنى دنا منه أمره وحكمه. وأصل التدلي النزول إلى الشيء حتى يقرب منه فوضع موضع

القرب، قال لبيد (١):

فتدليت عليه قافلا\* وعلى الأرض غيابات الطفل

وذهب الفراء إلى أن الفاء في (فتدلى) بمعنى الواو، والتقدير ثم تدلى جبريل عليه السلام

ودنا. ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحدا أو كالواحد قدمت أيهما شئت، فقلت فدنا

فقرب وقرب فدنا، وشتمني فأساء وأساء فشتمني، لان الشتم والإساءة شيء واحد. وكذلك

قوله تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر (٢)) المعنى والله أعلم: انشق القمر واقتربت الساعة.

وقال الجرجاني: في الكلام تقديم وتأخير أي تدلى فدنا، لان التدلي سبب الدنو. وقال ابن الأنباري: ثم تدلى جبريل أي نزل من السماء فدنا من محمد صلى الله عليه وسلم. وقال

ابن عباس: تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من

ربه. وسيأتي. ومن قال: المعنى فاستوى جبريل ومحمد بالأفق الاعلى قد يقول: ثم دنا محمد

من ربه دنو كرامة فتدلى أي هوى للسجود. وهذا قول الضحاك. قال القشيري: وقيل على هذا تدلى أي تدلل، كقولك تظني بمعنى تظنن، وهذا بعيد، لان الدلال غير مرضي في صفة العبودية.

قوله تعالى: (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي (كان) محمد من ربه أو من جبريل (قاب قوسين) أي قدر قوسين عربيتين. قاله ابن عباس وعطاء والفراء. الزمخشري:

فإن قلت كيف تقدير قوله: (فكان قاب قوسين) قلت: تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله (٣):

\* وقد جعلتني من حزيمة إصبعا\*

(١) البيت في وصف فرس. أراد أنه نزل من مربائه وهو على فرسه راكب.

(٢) راجع ص ١٢٥ من هذا الجزء

(٣) اختلف في القائل و صدر البيت: \* فأدرك ابقاء العرادة ظلعها \*  
وفي ز: (خزيمة) بالخاء المعجمة، وهو تحريف. وخزيمة (بالمهملة): اسم فارس من فرسان العرب.  
والعرادة: اسم فارس من خيل العرب في الجاهلية.

أي ذا مقدار مسافة إصبع (أو أدنى) أي على تقديركم، كقوله تعالى: (أو يزيدون (١)). وفي الصحاح: وتقول بينهما قاب قوس، وقيب قوس وقاد قوس، وقيد قوس، أي قدر قوس. وقرأ زيد بن علي (قاد) وقرئ (قيد) و (قدر). ذكره الزمخشري. وألقاب ما بين المقبض والسية. ولكل قوس قابان. وقال بعضهم في قوله تعالى: (قاب قوسين) أراد قابي قوس فقلبه. وفي الحديث: (ولقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قدمه خير من الدنيا وما فيها) والقد السوط. وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها). وإنما ضرب

المثل

بالقوس، لأنها لا تختلف في ألقاب. والله أعلم. قال القاضي عياض: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى، وإنما دنو

النبي

صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه: إبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار

معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته. ومن الله تعالى له: مبرة وتأنيس وبسط وإكرام. ويتأول في قوله عليه السلام: (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا) على أحد الوجوه: نزول

إجمال

وقبول وإحسان. قال القاضي: وقوله: (فكان قاب قوسين أو أدنى) فمن جعل الضمير عائداً إلى الله تعالى لا إلى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحل، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم، وعبارة عن إجابة الرغبة، وقضاء

المطالب، وإظهار التحفي، وإنافة المنزلة والقرب من الله، ويتأول فيه ما يتأول في قوله عليه السلام: (من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة) قرب

بالإجابة والقبول، وإتيان بالأحسان وتعجيل المأمول. وقد قيل: (ثم دنأ) جبريل من ربه (فكان قاب قوسين أو أدنى) قاله مجاهد. ويدل عليه ما روي في الحديث: (إن

أقرب الملائكة من الله جبريل عليه السلام). وقيل: (أو) بمعنى الواو أي قاب قوسين وأدنى. وقيل: بمعنى بل أي بل أدنى. وقال سعيد بن المسيب: ألقاب صدر القوس

العربية حيث يشد عليه السير الذي يتكبه صاحبه، ولكل قوس قاب واحد. فأخبر أن جبريل قرب من محمد صلى الله عليه وسلم كقرب قاب قوسين. وقال سعيد بن جبير

وعطاء



وأبو إسحاق الهمداني وأبو وائل شقيق بن سلمة: (فكان قاب قوسين) أي قدر ذراعين، والقوس الذراع يقاس بها كل شيء، وهي لغة بعض الحجازيين. وقيل: هي لغة أزد شنوءة

أيضا. وقال الكسائي: قوله: (فكان قاب قوسين أو أدنى) أراد قوسا واحدا، كقول الشاعر:

ومهمهين قذفين مرتين \* قطعته بالسمت لا بالسمتين (١)  
أراد مهمها واحدا. والقوس تذكر وتؤنث فمن أنث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس، وفي المثل هو من خير قويس سهما. والجمع قسي وقسي وأقواس وقياس، وأنشد أبو عبيدة:

\* ووتر الأساور القياسا (٢) \*

والقوس أيضا بقية النمر في الجلة أي الوعاء. والقوس برج في السماء. فأما القوس بالضم فصومعة الراهب، قال الشاعر وذكر امرأة:  
\* لاستفتنتني وذا المسحين في القوس (٣) \*

قوله تعالى: (فأوحى إلى عبده ما أوحى) تفخيم للوحي الذي أوحى إليه. وتقدم معنى الوحي وهو إلقاء الشيء بسرعة ومنه الوحاء (٤) الوحاء. والمعنى فأوحى الله تعالى إلى عبده

محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى. وقيل: المعنى [(فأوحى إلى عبده) جبريل عليه السلام

(ما أوحى (٥))] . وقيل: المعنى فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى

إليه ربه. قاله الربيع والحسن وابن زيد وقتادة. قال قتادة: أوحى الله إلى جبريل وأوحى جبريل إلى محمد. ثم قيل: هذا الوحي هل هو مبهم؟ لا نطلع عليه نحن وتعبنا بالايمان به

(١) السمت: الطريق ومعناه قطعته على طريق واحد.

(٢) قائله القلاخ بن حزن. وتماهه: \* صغدية تنزع الأنفاسا \*

والأساور: جمع أسوار وهو المقدم من أساور الفرس. والصغد: جيل من العجم ويقال انه اسم بلد. (مادة قوس).

(٣) قائله جرير. وصدرة: \* لا وصل إذ صرفت هند ولو وقفت \*

(٤) يمد ويقصر فالمقصود الوحي كالوغي ومعناه البدار البدار. راجع ج ٤ ص ٨٥ و ج ١٠ ص ١٣٣ في معنى

الوحي والقول فيه.

(٥) ما بين المربعين ساقط من ح، ز، ل، ه.





على الجملة، أو هو معلوم مفسر؟ قولان. وبالثاني قال سعيد بن جبير، قال: أوحى الله إلى محمد: ألم أجدك يتيما فأويتك! ألم أجدك ضالا فهديتك! ألم أجدك عائلا فأغنيتك!

(ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك. الذي أنقض ظهرك. ورفعنا لك ذكرك). وقيل: أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

قوله تعالى: ما كذب الفؤاد ما رأى (١١) أفتمارونه على ما يرى (١٢) ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤) عندها جنة المأوى (١٥) إذ يغشى السدرة ما يغشى (١٦) ما زاع البصر وما طغى (١٧) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨) قوله تعالى: (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي لم يكذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، وذلك أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربه تعالى وجعل الله تلك

رؤية. وقيل: كانت رؤية حقيقة بالبصر. والأول مروى عن ابن عباس. وفي صحيح مسلم أنه رآه بقلبه. وهو قول أبي ذر وجماعة من الصحابة. والثاني قول أنس وجماعة. وروى عن ابن عباس أيضا أنه قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم. وروى عن ابن عباس أيضا أنه قال: أما نحن بني هاشم

فنقول إن محمدا رأى ربه مرتين. وقد مضى القول في هذا في (الانعام ١) عند قوله: (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار). وروى محمد بن كعب قال: قلنا يا رسول الله صلى

الله عليك رأيت ربك؟ قال: (رأيتُه بفؤادي مرتين) ثم قرأ: (ما كذب الفؤاد ما رأى). وقول: ثالث أنه رأى جلاله وعظمته، قاله الحسن. وروى أبو العالية قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال: (رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجبا ورأيت

(١) راجع ج ٧ ص ٥٤.

وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك). وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى

الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال: (نور أني أراه) المعنى غلبنى من النور وبهزني منه ما منعني من رؤيته. ودل على هذا الرواية الأخرى (رأيت نورا). وقال ابن مسعود: رأى جبريل على صورته مرتين. وقرأ هشام عن ابن عامر وأهل الشام (ما كذب) بالتشديد

أي ما كذب قلب محمد ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه. ف (ما) مفعوله بغير حرف مقدر، لأنه يتعدى مشددا بغير حرف. ويجوز أن تكون (ما) بمعنى الذي والعائد محذوف،

ويجوز أن يكون مع الفعل مصدرا. الباقون مخففا، أي ما كذب فؤاد محمد فيما رأى، فأسقط

حرف الصفة. قال حسان رضي الله عنه:

لو كنت صادقة الذي حدثني \* لنجوت منجا الحارث بن هشام  
أي في الذي حدثني. ويجوز أن يكون مع الفعل مصدرا. ويجوز أن يكون بمعنى الذي،

أي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم الذي رأى. قوله تعالى: (أفتمارونه على ما يرى) قرأ حمزة والكسائي (أفتمرونه) بفتح التاء من غير ألف على معنى أفجحدهونه. واختاره أبو عبيد، لأنه قال: لم يماروه وإنما جحدوه.

يقال: مراة حقه أي جحدوه ومريته أنا، قال الشاعر:

لئن هجرت (١) أخا صدق ومكرمة \* لقد مررت أخا ما كان يميكا  
أي جحدته. وقال المبرد: يقال مراة عن حقه وعلى حقه إذا منعه منه ودفعه عنه. قال: ومثل على بمعنى عن قول بني كعب بن ربيعة: رضي الله عليك، أي رضي عنك. وقرأ الأعرج

ومجاهد (أفتمرونه) بضم التاء من غير ألف من أمرت، أي تريونه وتشككونه. الباقون (أفتمارونه) بألف، أي أتجادلونه وتدافعونه في أنه رأى الله، والمعنيان متداخلان، لأن مجادلتهم جحدود. وقيل: إن الجحدود كان دائما منهم وهذا جدال جديد، قالوا: صف لنا

بيت المقدس وأخبرنا عن غيرنا التي في طريق الشام. على ما تقدم (٢).

(١) وروى: هجوت.

(٢) راجع ج ١٠ ص ٢٠٩.



قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) (نزلة) مصدر في موضع الحال كأنه قال: ولقد رآه نازلا نزلة أخرى. قال ابن عباس: رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه مرة أخرى

بقلمه. روى مسلم عن أبي العالية عنه قال: (ما كذب الفؤاد ما رأى) (ولقد رآه نزلة أخرى) قال: رآه بفؤاده مرتين، فقوله: (نزلة أخرى) يعود إلى محمد صلى الله عليه وسلم،

فإن كان له صعود ونزول مرارا بحسب أعداد الصلوات المفروضة، فلكل عرجة نزلة وعلى هذا قوله تعالى: (عند سدره المنتهى) أي ومحمد صلى الله عليه وسلم عند سدره المنتهى

وفي بعض تلك النزلات. وقال ابن مسعود وأبو هريرة في تفسير قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) أنه جبريل. ثبت هذا أيضا في صحيح مسلم. وقال ابن مسعود: قال النبي صلى

الله عليه وسلم: (رأيت جبريل بالأفق الأعلى له ستمائة جناح يتناثر من ريشه الدر والياقوت) ذكره المهدوي.

قوله تعالى: (عند سدره المنتهى) (عند) من صلة (رآه) على ما بينا. والسدر شجر النبق وهي في السماء السادسة، وجاء في السماء السابعة. والحديث بهذا في صحيح مسلم، الأول

ما رواه مرة عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدره

المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها

ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال: (إذ يغشى السدره ما يغشى) قال: فراش (١)

من ذهب، قال: فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي

خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقححات (٢). الحديث الثاني رواه قتادة

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لما رفعت إلى سدره المنتهى في السماء السابعة

نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان

قلت يا جبريل ما هذا قال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات) لفظ

الدارقطني. والنبق بكسر الباء: ثمر السدر الواحد نبقة. ويقال: نبق بفتح النون وسكون

- 
- (١) ويروى: (جراد من ذهب). والفراش: دويبة ذات جناحين تهافت في ضوء السراج واحدها فراشة.  
(٢) المقحّمات: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار، أي تلقيهم فيها.

الباء، ذكرهما يعقوب في الاصلاح وهي لغة المصريين، والأولى أفصح وهي التي ثبتت عن

النبي صلى الله عليه وسلم. وروى الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - وقد ذكر له سدرة المنتهى - قال: (يسير الراكب

في ظل الغصن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب - شك يحيى - فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

قلت: وكذا لفظ مسلم من حديث ثابت عن أنس (ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشي تغيرت

فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها). واختلف لم سميت سدرة المنتهى على

أقوال تسعة: الأول - ما تقدم عن ابن مسعود أنه ينتهي إليها كلما يهبط من فوقها ويصعد

من تحتها. الثاني - أنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها، قاله ابن عباس.

الثالث - أن الأعمال تنتهي إليها وتقضب منها، قاله الضحاك. الرابع - لانتها الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها، قاله كعب. الخامس - سميت سدرة المنتهى لأنها

ينتهي إليها أرواح الشهداء، قاله الربيع بن أنس. السادس - لأنه تنتهي (١) إليها أرواح

المؤمنين، قاله قتادة. السابع - لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة محمد صلى الله عليه وسلم ومنهاجه،

قاله علي رضي الله عنه والربيع بن أنس أيضا. الثامن - هي شجرة على رؤوس حملة العرش

إليها ينتهي علم الخلائق، قاله كعب أيضا.

قلت: يريد - والله أعلم - أن ارتفاعها وأعلى أغصانها قد جاوزت رؤوس حملة العرش، ودليله ما تقدم من أن أصلها في السماء السادسة وأعلاها في السماء السابعة، ثم علت

فوق ذلك حتى جاوزت رؤوس حملة العرش. والله أعلم. التاسع - سميت بذلك لان من

رفع إليها فقد انتهى في الكرامة. وعن أبي هريرة لما أسرى برسول الله صلى الله عليه

وسلم  
انتهى به إلى سدرۃ المنتهى فقیل له هذه سدرۃ المنتهى ينتهي إليها كل أحد خلا من  
أمتك على  
سنتك، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير  
طعمه،

-----  
(١) في ب، ح، ز، س، هـ: (لأنه تأوى إليها).

وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وإذا هي شجرة يسير الراكب  
المسرع

في ظلها مائة عام لا يقطعها، والورقة منها تغطي الأمة كلها، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: (عندها جنة المأوى) تعريف بموضع جنة المأوى وأنها عند سدرة  
المنتهى. وقرأ علي وأبو هريرة وأنس وأبو سبرة الجهني وعبد الله بن الزبير ومجاهد  
(عندها

جنة المأوى) يعني جنة المبيت. قال مجاهد: يريد أجنه. والهاء للنبي صلى الله عليه  
وسلم.

وقال الأخفش: أدركه كما تقول جنة الليل أي ستره وأدركه. وقراءة العامة (جنة  
المأوى)

قال الحسن: هي التي يصير إليها المتقون. وقيل: إنها الجنة التي يصير إليها أرواح  
الشهداء،

قاله ابن عباس. وهي عن يمين العرش. وقيل: هي الجنة التي آوى إليها آدم عليه الصلاة  
والسلام إلى أن أخرج منها وهي في السماء السابعة (١). وقيل: إن أرواح المؤمنين  
كلهم

في جنة المأوى. وإنما قيل لها: جنة المأوى لأنها تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي  
تحت

العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها. وقيل: لان جبريل وميكائيل عليهما  
السلام يأويان إليها. والله أعلم.

قوله تعالى: (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن عباس والضحاك وابن مسعود  
وأصحابه: فراش من ذهب. ورواه مرفوعا ابن مسعود وابن عباس إلى النبي صلى الله  
عليه

وسلم. وقد تقدم في صحيح مسلم عن ابن مسعود قوله. وقال الحسن: غشيها نور رب  
العالمين فاستنارت. قال القشيري: وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيها؟  
قال:

(فراش من ذهب). وفي خبر آخر (غشيها نور من الله حتى ما يستطيع أحد أن ينظر  
إليها).

وقال الربيع بن أنس: غشيها نور الرب والملائكة تقع عليها كما يقع الغربان على  
الشجرة.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت  
على

كل ورقة ملكا قائما يسبح [الله تعالى (٢)] وذلك قوله: (إذ يغشى السدرة ما يغشى))  
ذكره



-----  
(١) في ب، ح، ز، ل،: (الرابعة) وكذا هو في حاشية الجمل عن القرطبي.  
(٢) ساقطة من ز، ل، هـ.

المهدوي والثعلبي (١). وقال أنس بن مالك: (إذ يغشى السدره ما يغشى) قال جراد من ذهب

وقد رواه مرفوعا. وقال مجاهد: إنه رفر ف أحضر. وعنه عليه السلام: (يغشاها رفر من طير خضر). وعن ابن عباس: يغشاها رب العزة، أي أمره كما في صحيح مسلم مرفوعا: (فلما غشيتها من أمر الله ما غشي). وقيل: هو تعظيم الامر، كأنه قال: إذ يغشى السدره ما أعلم الله به من دلائل ملكوته. وهكذا قوله تعالى: (فأوحى إلى عبده ما أوحى)

(والمؤتفكة أهوى. فغشاها ما غشى) ومثله: (الحاقة ما الحاقة (٢)). وقال الماوردي في معاني القرآن له: فإن قيل لم اختيرت السدره لهذا الامر دون غيرها من الشجر؟ قيل:

لان السدره تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيد، ورائحة ذكية، فشابهت الايمان الذي يجمع قولا وعملا ونية، فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه، وطعمها بمنزلة

النية لكمونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره. وروى أبو داود في سننه قال: حدثنا نصر ابن علي قال حدثنا أبو أسامة عن ابن جريح عن عثمان بن أبي سليمان عن سعيد بن محمد

ابن جبير بن مطعم عن عبد الله بن حبشي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من

قطع سدره صوب الله رأسه في النار) وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر يعني من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير

حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار.

قوله تعالى: (ما زاغ البصر وماء طغى) قال ابن عباس: أي ما عدل يمينا ولا شمالا، ولا تجاوز الحد الذي رأى. وقيل: ما جاوز ما أمر به. وقيل: لم يمد بصره إلى غير ما رأى

(١) بعد هذا نقل الجمل عن القرطبي في تفسيره ما يأتي: وقيل ملائكة تغشاها كأنهم طيور يرتقون إليها متشوقين

متبركين زائرين كما يزور الناس الكعبة، وروى في حديث المعراج عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(ذهب بي جبريل إلى سدره المنتهى وأوراقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كقلان هجر) قال: (فلما غشيتها من أمر الله

ما غشيتها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى قدر أن ينعثها من حسنها فأوحى إلى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل

يوم وليلة) وقيل: يغشاها أنوار الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إليها تجلى ربه لها كما  
تجلى للجبل فظهرت  
الأنوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل دكا ولم تتحرك الشجرة، وخر موسى صعقا ولم  
يتزلزل محمد صلى  
الله عليه وسلم. وقيل: أبهمه تعظيما له. والغشيان يكون بمعنى التغطية.  
(٢) راجع ج ١٨ ص ٢٥٦

من الآيات. وهذا وصف أدب للنبي (١) صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام، إذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا.

قوله تعالى: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال ابن عباس: رأى رفرفا سد الأفق. وذكر البيهقي عن عبد الله قال: (رأى من آيات ربه الكبرى) قال ابن عباس: رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء. وعنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل

عليه السلام في حلة رفرف أخضر، قد ملا ما بين السماء والأرض. قال البيهقي: قوله في الحديث (رأى رفرفا) يريد جبريل عليه السلام في صورته في رفرف، والرفرف البساط.

ويقال: فراش. ويقال: بل هو ثوب كان لباسا له، فقد روي أنه رآه في حلة رفرف. قلت: خرجه الترمذي عن عبد الله قال: (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في حلة من رفرف قد ملا ما بين السماء والأرض).

قال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى: (دنا فتدلى) أنه على التقديم والتأخير، أي تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه.

قال: (فارقني جبريل وانقطعت (٢) عني الأصوات وسمعت كلام ربي) فعلى هذا الرفرف ما يقعد ويجلس عليه كالبساط وغيره. وهو بالمعنى الأول جبريل. قال عبد الرحمن بن زيد

ومقاتل بن حيان: رأى جبريل عليه السلام في صورته التي يكون فيها في السماوات، وكذا

في صحيح مسلم عن عبد الله قال: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح. ولا يبعد مع هذا أن يكون في حلة رفرف وعلى رفرف. والله أعلم.

وقال الضحاك: رأى سدرة المنتهى. وعن ابن مسعود: رأى ما غشي السدرة من فراش الذهب، حكاها الماوردي. وقيل: رأى المعراج. وقيل: هو ما رأى تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه، وهو أحسن، دليله: (لنريه من آياتنا (٣)) و (من) يجوز أن تكون للتبعيض،

وتكون (الكبرى) مفعولة ل (رأى) وهي في الأصل صفة الآيات ووحدت لرءوس

- 
- (١) في ب، ز، ح، س، ل، وه: (أدب للنبي).
- (٢) في ب، ح، س: (وارتفعت).
- (٣) راجع ج ١٠ ص ٢٠٤

الآيات. وأيضا يجوز نعت الجماعة بنعت الأئمة، كقوله تعالى: (ولي فيها مآرب (أخرى)). (١)

وقيل: (الكبرى) نعت لمحدوف، أي رأى من آيات ربه الكبرى. ويجوز أن تكون (من) زائدة، أي رأى آيات ربه الكبرى. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي رأى الكبرى من آيات ربه.

قوله تعالى: أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) ألكم الذكر وله الأئمة (٢١) تلك إذا قسمة ضيزى (٢٢) قوله تعالى: (أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى) لما ذكر الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر من آثار قدرته ما ذكر، حاج المشركين إذ عبدوا ما لا يعقل وقال (٢):

أفرأيتم هذه الآلهة التي تعبدونها أو حين إليكم شيئا كما أوحى إلى محمد. وكانت اللات لثقيف،

والعزى لقريش وبني كنانة، ومناة لبني هلال (٣). وقال هشام: فكانت مناة لهذيل وخزاعة،

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فهدمها عام الفتح. ثم اتخذوا اللات

بالطائف، وهي أحدث من مناة وكانت صخرة مربعة، وكان سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها بناء، فكانت قريش وجميع العرب تعظمها. وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وتيم اللات. وكانت في موضع [منارة (٤)] مسجد الطائف اليسرى، فلم تزل كذلك إلى أن

أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

ثم اتخذوا العزى وهي أحدث من اللات، اتخذها ظالم بن أسعد، وكانت بوادي نخلة الشامية

فوق ذات عرق، فبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منها (٥) الصوت. قال ابن هشام: وحدثني

أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرة بطن نخلة،

فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال:

(١) راجع ج ١١ ص ١٨٧  
(٢) في ب، ح، ز، س، ل، هـ: (وقيل).

- (٣) اتفقت  
نسخ الأصل على القول بأن مناة لبني هلال ولم نره لغير المؤلف.  
(٤) الزيادة من كتاب الأصنام لابن الكلبي.  
(٥) في كتاب الأصنام (فيه) بدل (منها).

(أيت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات فاعضد الأولى) فأتاها فعضدها فلما جاء إليه قال:

(هل رأيت شيئاً) قال: لا. قال: (فاعضد الثانية) فأتاها فعضدها، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (هل رأيت شيئاً) قال: لا. قال: (فاعضد الثالثة) فأتاها فإذا هو بحبشية نافشة شعرها، واضعة يديها على عاتقها تصرف بأنيابها، وخلفها دبية (١) السلمى وكان سادنها فقال:

يا عز كفرانك لا سبحانك \* إني رأيت الله قد أهانك  
ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حممة، ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: (تلك العزى [ولن تعبد أبداً]) وقال ابن جبير: العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه. قتادة: نبت (٢) كان ببطن نخلة. ومناة: صنم لخزاعة. وقيل:

إن اللات فيما ذكر بعض المفسرين أخذه المشركون من لفظ (٣) الله، والعزى من العزيز، ومناة

من منى الله الشئ إذا قدره. وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح (اللات)

بتشديد التاء وقالوا: كان رجلا يلت السويق للحاج - ذكره البخاري عن ابن عباس - فلما

مات عكفوا على قبره فعبدوه. ابن عباس: كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ويصبه عليها، فلما مات ذلك الرجل عبدت تلك الصخرة إعظاما لصاحب السويق. أبو صالح:

إنما كان رجلا بالطائف فكان يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق فلما مات عبده. مجاهد:

كان رجل في رأس جبل له غنيمة يسلي (٤) منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها، ثم يتخذ

منها حيسا (٥) فيطعم الحاج، وكان ببطن نخلة فلما مات عبده وهو اللات. وقال الكلبي كان رجلا

من ثقيف يقال له صرمة بن غنم. وقيل: إنه عامر بن ظرب العدواني. قال (٦) الشاعر: لا تنصروا اللات إن الله مهلكها \* وكيف ينصركم من ليس ينتصر

(١) دبية بالبدال المهملة بن حرمس ويروى ابن حرمي ثم السلمى.

(٢) في ب، ز، هـ ول: (بيت).

(٣) في ب، ح، ز، س، ل، هـ: (اسم الله).



- (٤) يسلى: يجمع. الاقط لبن مجفف يابس  
مستحجر يطبخ به. والرسل اللبن.
- (٥) الحيس: الطعام المتخذ من التمر والاقط والسمن.
- (٦) هو شداد بن عارض الجشمي قاله في أبيات حين هدمت اللات وحرقت، ينهى ثقيفا عن العود إليها،  
والغضب لها

والقراءة الصحيحة (اللات) بالتخفيف اسم صنم والوقوف عليها بالتاء وهو اختيار الفراء.

قال الفراء: وقد رأيت الكسائي سأل أبا فقفس الأسدي (١) فقال ذاه لذات [ولاه للات]

وقرأ (أفرايتم اللاه) وكذا قرأ الدوري عن الكسائي والبيزي عن ابن كثير (اللاه) بالهاء في الوقف، ومن قال: إن (اللات) من الله وقف بالهاء أيضا. وقيل: أصلها لاهة مثل شاة [أصلها شاهة] وهي من لاهت أي اختفت، قال الشاعر:

لاهت فما عرفت يوما بخارجة\* يا ليتها خرجت حتى رأيناها

وفي الصحاح: اللات اسم صنم كان لثقيف وكان بالطائف، وبعض العرب يقف عليها بالتاء، وبعضهم بالهاء، قال الأخفش: سمعنا من العرب من يقول اللات والعزى، ويقول هي اللات فيجعلها تاء في السكوت وهي اللات فأعلم أنه جر في موضع الرفع، فهذا

مثل أمس مكسور على كل حال وهو أجود منه، لان الألف واللام اللتان في اللات لا تسقطان وإن كانتا زائدتين، وأما ما سمعنا من الأكثر في اللات والعزى في السكوت عليها

فاللاه لأنها هاء فصارت تاء في الوصل وهي في تلك اللغة مثل كان من الامر كيت وكيت،

وكذلك هيهات في لغة من كسرهما، إلا أنه يجوز في هيهات أن تكون جماعة ولا يجوز ذلك

في اللات، لان التاء لا تزداد في الجماعة إلا مع الألف، وإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقي الاسم على حرف واحد.

قوله تعالى: (ومناة الثالثة الأخرى) قرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي والأعشى عن أبي بكر (ومناة) بالمد والهمز. والباقون بترك الهمز لغتان. وقيل:

سمي بذلك، لأنهم كانوا يريقون عنده الدماء يتقربون بذلك إليه. وبذلك سميت منى لكثرة

ما يراق فيها من الدماء. وكان الكسائي وابن كثير وابن محيصن يقفون بالهاء على الأصل.

(١) الذي ذكره النحاس في اعراب قوله تعالى: (ولات حين مناص) أن الفراء قال عن الكسائي: أحسبه أنه سأل أبا السمال كيف يقرأ فيقف على (ولات) فوقف عليها بالها. وعبرة الفراء في هذه السورة من تفسيره: وكان

الكسائي يقف عليها بالهاء وأنا أقف على التاء. ه. ولم يذكر أبا فقفس.



(1 · 1)

الباقون بالتاء أتباعا لخط المصحف. وفي الصحاح: ومناة اسم صنم كان [لهذيل وخزاعة (١)]

بين مكة والمدينة، والهاء للتأنيث ويسكت عليها بالتاء وهي لغة، والنسبة إليها منوي. وعبد مناة بن أد بن طابخة، وزيد مناة بن تميم بن مريرم ويقصر، قال هوبر الحارثي: ألا هل أتى التيم بن عبد مناة \* على الشنء فيما بيننا ابن تميم قوله تعالى: (الأخرى) العرب [لا (٢)] تقول للثالثة أخرى وإنما الأخرى نعت للثانية، واختلفوا في وجهها فقال الخليل: إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله: (مآرب أخرى) ولم يقل أخرى. وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير مجازها أفرايتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة. وقيل: إنما قال (ومناة الثالثة الأخرى) لأنها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزى فالكلام على نسقه. وقد ذكرنا

عن [ابن (٣)] هشام: أن مناة كانت أولا في التقديم، فلذلك كانت مقدمة عندهم في التعظيم، والله

أعلم. وفي الآية حذف دل عليه الكلام، أي أفرايتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله. ثم قال على جهة التقرير والتوبيخ: (ألكم الذكر وله الأنثى) ردا عليهم

قولهم: الملائكة بنات الله، والأصنام بنات الله.

قوله تعالى: (تلك إذا) يعني هذه القسمة (قسمة ضيزى) أي جائرة عن العدل، خارجة عن الصواب، مائلة عن الحق. يقال: ضاز في الحكم أي جار، وضاز حقه يضيئه

ضيزا - عن الأخفش - أي نقصه وبخسه. قال: وقد يهمز فيقال ضأزه يضأزه ضأزا وأنشد:

فإن تنأ عنا ننتقصك وإن تقم (٤) \* فقسملك مضئوز وأنفك راغم وقال الكسائي: يقال ضاز يضيئ ضيزا، وضاز يضوز ضوزا، وضأز يضأز ضأزا إذا ظلم وتعدى وبخس وانتقص، قال الشاعر (٥):  
ضازت بنو أسد بحكمهم \* إذ يجعلون الرأس كالذنب

(١) الزيادة من الصحاح واللسان.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) من ب، ح، ز، س، ل هـ.

(٤) في الأصل (وان تغب) والتصويب عن اللسان. وروى فحظك بدل فقسملك.

(٥) قائله امرؤ القيس.

(1.2)

قوله تعالى: (قسمة ضيزى) أي جائرة، وهي فعلى مثل طوبى وحلبى، وإنما كسروا الضاد لتسلم الياء، لأنه ليس في الكلام فعلى صفة، وإنما هو من بناء الأسماء كالشعري والدفلى. قال الفراء: وبعض العرب تقول ضوزى وضئزى بالهمز. وحكى أبو حاتم عن أبي زيد: أنه سمع العرب تهمز (ضيزى). قال غيره: وبها قرأ ابن كثير، جعله مصدرا مثل

ذكرى وليس بصفة، إذ ليس في الصفات فعلى ولا يكون أصلها فعلى، إذ ليس فيها ما يوجب القلب، وهي من قولهم ضأزته أي ظلمته. فالمعنى قسمة ذات ظلم. وقد قيل هما لغتان بمعنى. وحكى فيها أيضا سواهما ضيزى وضازى وضوزى وضؤزى. وقال المؤرج:

كرهوا ضم الضاد في ضيزى، وخافوا انقلاب الياء واوا وهي من بنات الواو، فكسروا الضاد

لهذه العلة، كما قالوا في جمع أبيض بيض والأصل بوض، مثل حمر وصفر وخضر. فأما من

قال: ضاز يضوز فالاسم منه ضوزى مثل شورى.

قوله تعالى: ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاء هم من ربهم الهدى (٢٣) أم للانسان ما تمنى (٢٤) فله الآخرة والأولى (٢٥) وكم من ملك في السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٢٦)

قوله تعالى: (ان هي الا أسماء سميتموها) أي ما هي يعني هذه الأوثان (إلا أسماء سميتموها) يعني نحتموها وسميتموها آلهة. (أنتم وآباؤكم) أي قلدموهم في ذلك. (ما أنزل الله بها من سلطان) أي ما أنزل الله بها من حجة ولا برهان. (ان يتبعون الا الظن) عاد من الخطاب إلى الخبر أي ما يتبع هؤلاء إلى الظن. (وما تهوى الأنفس) أي تميل إليه. وقراءة العامة (يتبعون) بالياء. وقرأ عيسى بن عمرو وأبو السميعة

(تبعون) بالتاء على الخطاب. وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس. (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي البيان من جهة الرسول أنها ليست بآلهة. (أم للانسان ما تمنى) أي انتهى أي ليس ذلك له. وقيل: (لانسان ما تمنى) من البنين، أي يكون له دون البنات. وقيل: (أم للانسان ما تمنى) من غير جزاء! ليس الامر كذلك. وقيل: (أم للانسان ما تمنى) من النبوة أن تكون فيه دون غيره. وقيل: (أم للانسان ما تمنى) من شفاعة الأصنام، نزلت في النضر بن الحرث. وقيل: في الوليد بن المغيرة. وقيل: في سائر الكفار. (فله الآخرة والأولى) يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا ما تمنى أحد.

قوله تعالى: (وكم من ملك في السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام، وزعم أن ذلك يقربه إلى الله تعالى، فأعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع إلا

لمن أذن أن يشفع له. قال الأخفش: الملك واحد ومعناه جمع، وهو كقوله تعالى: (فما منكم من أحد عنه حاجزين (١)). وقيل: إنما ذكر ملكاً واحداً، لأن كم تدل على الجمع.

قوله تعالى: ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى (٢٧) وما لهم به من علم أن يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً (٢٨) فأعرض عن من يولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا (٢٩) ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى (٣٠) قوله تعالى: (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) هم الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله والأصنام بنات الله. (ليسمون الملائكة تسمية الأنثى) أي كتسمية الأنثى، أي

(١) راجع ج ١٨ ص ٢٧٦.

يعتقدون أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله. (وما لهم به من علم) أي إنهم لم يشاهدوا خلقه الملائكة، ولم يسمعوا ما قالوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يروه في كتاب.

(ان يتبعون) أي ما يتبعون (الا الظن) في أن الملائكة إناث. (وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً).

قوله تعالى: (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعني القرآن والايمان. وهذا منسوخ بأية السيف. (ولم يرد الا الحياة الدنيا) نزلت في النضر. وقيل: في الوليد. (ذلك مبلغهم من العلم) أي إنما يبصرون أمر دنياهم ويجهلون أمر دينهم. قال الفراء: صغرهم وازدرى بهم، أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: أن جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله. (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أي حاد عن دينه (وهو أعلم بمن اهتدى) فيجازي كلا بأعمالهم.

قوله تعالى: (ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) (٣١) الذين يجتنبون كبائر الاثم الفواحش الا اللطم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (٣٢)

قوله تعالى: (ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي

الذين أحسنوا بالحسن) اللام متعلقة بالمعنى الذي دل عليه (ولله ما في السماوات وما في الأرض) كأنه قال: هو مالك ذلك يهدي من يشاء ويضل من يشاء ليجزي المحسن

بإحسانه والمسيء بإساءته. وقيل: (لله ما في السماوات وما في الأرض) معترض في الكلام،

والمعنى: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ليجزي. وقيل: هي



لام العاقبة، أي ولله ما في السماوات وما في الأرض، أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسيء ومحسن، فللمسئ السوءى وهي جهنم، وللمحسن الحسنى وهي الجنة. قوله تعالى: (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) فيه ثلاث مسائل: الأولى - قوله تعالى: (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) هذا نعت للمحسنين، أي هم لا يرتكبون كبائر الاثم وهو الشرك، لأنه أكبر الآثام. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب

وحمزة والكسائي (كبير) على التوحيد وفسره ابن عباس بالشرك. (والفواحش) الزنى: وقال مقاتل: (كبائر الاثم) كل ذنب ختم بالنار. (والفواحش) كل ذنب فيه الحد. وقد مضى في (النساء (١)) القول في هذا. ثم استثنى استثناء منقطعاً وهي: المسألة الثانية - فقال: (إلا اللمم) وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه (٢) الله وحفظه. وقد اختلف في معناها، فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي:

(اللمم) كل ما دون الزنى. وذكر مقاتل بن سليمان: أن هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار، كان له حانوت يبيع فيه تمرا، فجاءته امرأة تشتري منه تمرا فقال لها:

إن داخل الدكان ما هو خير من هذا، فلما دخلت راودها فأبت وانصرفت فندم نبهان، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد

فعلته إلا الجماع، فقال: (لعل (٣) زوجها غاز) فنزلت هذه الآية، وقد مضى في آخر (هود (٣))

وكذا قال ابن مسعود وأبو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق: إن اللمم ما دون الوطء من

القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة. وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: زنى العينين

النظر، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين المشي، وإنما يصدق ذلك أو يكذبه الفرج، فإن تقدم كان زنى وإن تأخر كان لمما. وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس قال:

ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله كتب

(١) راجع ج ٥ ص ١٥٨

(٢) في ب: (سلمه الله).

(٣) راجع ج ٩ ص ١١١، ففيه بيان الاجمال في هذا الحديث برواية أخرى.



(1.6)

على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه). والمعنى: أن الفاحشة العظيمة والزنى

التام الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة هو في الفرج وغيره له حظ من الاثم. والله أعلم. وفي رواية أبي صالح [عن أبي (١) هريرة] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كتب على

ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق

ذلك الفرج ويكذبه). خرجه مسلم. وقد ذكر الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر

فيه الاذن واليد والرجل، وزاد فيه بعد العينين واللسان: (وزنى الشفتين القبلة). فهذا قول.

وقال ابن عباس أيضا: هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب. قال: ألم تسمع النبي صلى الله عليه

وسلم كان يقول:

إن يغفر الله يغفر جما \* وأي عبد لك لا ألما

رواه عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس (٢). قال النحاس: هذا أصح ما قيل فيه وأجلها

إسنادا. وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله عز وجل (إلا اللهم)

قال: هو أن يلم العبد بالذنب ثم لا يعاوده، قال الشاعر (٣):

إن تغفر اللهم تغفر جما \* وأي عبد لك لا ألما

وكذا قال مجاهد والحسن: هو الذي يأتي الذنب ثم لا يعاوده، ونحوه عن الزهري، قال:

اللهم أن يزني ثم يتوب فلا يعود، وأن يسرق أو يشرب الخمر ثم يتوب فلا يعود. ودليل هذا

التأويل قوله تعالى: (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا (٤) لذنوبهم)

الآية. ثم قال: (أولئك جزاؤهم مغفرة من (٤) ربهم) فضمن لهم المغفرة، كما قال عقيب اللهم:

-----

- (١) من ب، ى.
- (٢) روى هذا الحديث الترمذي بهذا الاسناد وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
- (٣) هو أمية بن الصلت قاله عند احتضار.
- (٤) راجع ج ٤ ص ٢٠٩ وص ٢١٥.

(إن ربك واسع المغفرة) فعلى هذا التأويل يكون (إلا اللمم) استثناء متصل. قال عبد الله ابن عمرو بن العاص: اللمم ما دون الشرك. وقيل: اللمم الذنب بين الحدين وهو ما لم يأت عليه حد

في الدنيا، ولا توعده عليه بعذاب في الآخرة تكفره الصلوات الخمس. قاله ابن زيد وعكرمة

والضحاك وقتادة. ورواه العوفي والحكم بن عتيبة عن ابن عباس. وقال الكلبي: اللمم على وجهين:

كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس

ما لم يبلغ الكبائر والفواحش. والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلزم به الانسان المرة بعد المرة

فيتوب منه. وعن ابن عباس أيضا وأبي هريرة وزيد بن ثابت: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به. وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنما كنتم بالأمس تعملون معنا فنزلت

وقاله زيد بن أسلم وابنه (١)، وهو كقوله تعالى: (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف (٢)).

وقيل: اللمم هو أن يأتي بذنب لم يكن له بعادة، قاله نفطويه. قال: والعرب تقول ما يأتينا إلا لماما، أي في الحين بعد الحين. قال: ولا يكون أن يلزم ولا يفعل، لأن العرب

لا تقول ألم بنا إلا إذا فعل الانسان لا إذا هم ولم يفعله. وفي الصحاح: وألم الرجل من اللمم

وهو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير موقعة. وأنشد غير الجوهري: بزئب ألمم قبل أن يرحل الركب \* وقل إن تملينا فما ملك القلب

أي أقرب. وقال عطاء بن أبي رباح: اللمم عادة النفس الحين بعد الحين. وقال سعيد ابن المسيب: هو ما ألم على القلب، أي خطر. وقال محمد بن الحنفية: كل ما هممت به

من خير أو شر فهو لمم. ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام: (إن للشيطان لمة وللملك لمة) الحديث. وقد مضى في (البقرة (٣)) عند قوله تعالى: (الشيطان يعدكم الفقر).

وقال أبو إسحاق الزجاج: أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه

(١) في ا: (وأبوه) وما أثبتناه يوافق ما في تفسير أبي حيان والطبري).  
(٢) راجع ج ٥ ص ١١٦  
(٣) راجع ج ٣ ص ٣٢٩

ولا يقيم عليه، يقال: ألممت به إذا زرتَه وانصرفت عنه، ويقال: ما فعلته إلا لِمَا وإِمامًا:

أي الحين بعد الحين. وإنما زيارتك إمام، ومنه إمام الخيال، قال الأعشى:  
ألم خيال من قتيلة بعد ما \* وهي حبلها من حبلنا فتصرما  
وقيل: إلا بمعنى الواو. وأنكر هذا الفراء وقال: المعنى إلا المتقارب من صغار الذنوب.  
وقيل: اللمم النظرة التي تكون فجأة.

قلت: هذا فيه بعد إذ هو معفو عنه ابتداء غير مؤاخذ به، لأنه يقع من غير قصد  
واختيار، وقد مضى في (النور (١)) بيانه. واللمم أيضا طرف من الجنون، ورجل ملموم  
أي به

لمم. ويقال أيضا: أصابت فلانا لمة من الجن وهي المس والشئ القليل، قال الشاعر  
(٢):

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن \* إلا كلمة حالم بخيال  
الثالثة - قوله تعالى: (ان ربك واسع المغفرة) لمن تاب من ذنبه واستغفر،  
قاله ابن عباس. وقال أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل وكان من أفاضل أصحاب ابن  
مسعود:

رأيت في المنام كأنني دخلت الجنة فإذا قباب مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لذي  
الكلاع وحوشب، وكانا ممن قتل بعضهم بعضا، فقلت: وكيف ذلك؟ فقالوا: إنهما  
لقيا

الله فوجداه واسع المغفرة. فقال أبو خالد: بلغني أن ذا الكلاع أعتق اثني عشر ألف  
بنت.

قوله تعالى: (هو أعلم بكم) من أنفسكم (إذ أنشأكم من الأرض) يعني أباكم آدم  
من الطين وخرج اللفظ على الجمع. قال الترمذي أبو عبد الله: وليس هو كذلك عندنا،  
بل وقع

الانشاء على التربة التي رفعت من الأرض، وكنا جميعا في تلك التربة وفي تلك الطينة،  
ثم خرجت

من الطينة المياه إلى الأصلاب مع ذرو النفوس على اختلاف هيئتها، ثم استخرجها من  
صلبها على اختلاف الهيئات، منهم كالدر يتلأأ، وبعضهم أنور من بعض، وبعضهم  
أسود

كالحممة، وبعضهم أشد سوادا من بعض، فكان الانشاء واقعا علينا وعليه. حدثنا عيسى

(١) راجع ج ١٢ ص ٢٢٧.

(٢) هو ابن مقبل. والواو في (وذلك) زائدة كقول أبي كبير الهذلي:

فإذا وذلك ليس الا حينه \* وإذا مضى شئ كأن لم يفعل



(1.9)



ابن حماد العسقلاني قال: حدثنا بشر بن بكر، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: (عرض علي الأولون والآخرون بين يدي حجرتي هذه الليلة) فقال

قائل: يا رسول الله! ومن مضى من الخلق؟ قال: (نعم عرض علي آدم فمن دونه فهل كان خلق (١) أحد) قالوا: ومن في أصلاب الرجال وبطون الأمهات؟ قال: (نعم مثلوا في الطين فعرفتهم كما علم آدم الأسماء كلها).

قلت: وقد تقدم في أول (الانعام (٢)) أن كل إنسان يخلق من طين البقعة التي يدفن فيها. (وإذ أنتم أجنة) جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن، سمي جنينا لاجتئانه واستتاره. قال عمرو بن كلثوم:

\* هجان اللون لم تقرأ جنينا (٣)

وقال مكحول: كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي، ثم صرنا

رضعا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي

ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخا - لا أبالك! - فما بعد هذا

ننتظر؟! . وروى ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن ثابت بن الحرث الأنصاري قال: كانت

اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

(كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد) فأنزل الله تعالى

عند ذلك هذه الآية: (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض) إلى آخرها. ونحوه عن عائشة: (كان اليهود). بمثله. (فلا تزكوا أنفسكم) أي لا تمدحوها ولا تشنوا عليها، فإنه أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع. (هو أعلم بمن اتقى) أي أخلص العمل واتقى عقوبة

الله، عن الحسن وغيره. قال الحسن: قد علم الله سبحانه كل نفس ما هي عاملة، وما هي

صانعة، وإلى ما هي صائرة. وقد مضى في (النساء) الكلام في معنى هذه الآية عند قوله

(١) كذا في ١، ز. وفي ح، ه، س (فهل كان أحد). وفي ب: (فهل كان قبله أحد).

(٢) راجع ج ٦ ص ٣٨٨.

(٣) وصدرة: \* ذراعي حرة أدماء بكر \* وهي رواية أبي عبيدة.  
أي لم تضم في رحمها ولدا قط.

تعالى: (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم (١)) فتأمله هناك. وقال ابن عباس: ما من أحد من هذه الأمة أزكيه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: أفرأيت الذي تولى (٣٣) وأعطى قليلا وأكدى (٣٤) أعنده علم الغيب فهو يرى (٣٥)

قوله تعالى: (أفرأيت الذي تولى. وأعطى قليلا وأكدى) [الآيات (٢)] لما بين جهل المشركين في عبادة الأصنام ذكر واحدا منهم معينا بسوء فعله. قال مجاهد وابن زيد ومقاتل:

نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فغيره بعض المشركين،

وقال: لم تركت دين الأشياخ وضللتهم (٣) وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب

الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فأعطى

الذي عاتبه بعض ما كان ضمن [له (٤)] ثم بخل ومنعه فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: كالم الوليد مدح القرآن ثم أمسك عنه فنزل: (وأعطى قليلا) أي من الخير بلسانه

(وأكدى) أي قطع ذلك وأمسك عنه. وعنه أنه أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد الايمان ثم تولى فنزلت: (أفرأيت الذي تولى) الآية. وقال ابن عباس والسدي

والكلبي والمسيب ابن شريك: نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يتصدق وينفق

في الخير، فقال له أخوه من الرضاة عبد الله بن أبي سرح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك ألا يبقى لك شيء. فقال عثمان: إن لي ذنوبا وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله

تعالى وأرجو عفوه! فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برحلتها وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلها.

فأعطاه وأشهد عليه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع [من الصدقة (٤)] فأنزل الله تعالى:

(أفرأيت الذي تولى. وأعطى قليلا وأكدى) فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله. ذكر ذلك الواحدي والثعلبي. وقال السدي أيضا: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك

أنه

(٣) في ب وس وه: (مللهم).  
(٤) الزيادة من أسباب النزول للواحد.

كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم. وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في أبي جهل  
ابن هشام، قال: والله ما يأمر محمد إلا بمكارم الأخلاق، فذلك قوله تعالى: (وأعطي قليلاً وأكدي). وقال الضحاك: هو النضر بن الحرث أعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حين ارتد عن دينه، وضمن له أن يتحمل عنه مآثم رجوعه. وأصل (أكدي) من الكدية يقال لمن حفر بئراً ثم بلغ إلى حجر لا يتهياً له فيه حفر: قد أكدي، ثم استعملته

العرب لمن أعطى ولم يتمم، ولمن طلب شيئاً ولم يبلغ آخره. وقال الحطيئة: فأعطي قليلاً ثم أكدي عطاءه\* ومن يبذل المعروف في الناس يحمده قال الكسائي وغيره: أكدي الحافر وأجبل إذا بلغ في حفره كدية أو جبلاً فلا يمكنه أن يحفر. وحفر فأكدي إذا بلغ إلى الصلب. ويقال: كديت أصابعه إذا كلت (١) من الحفر. وكديت (٢) يده إذا كلت فلم تعمل شيئاً. وأكدي النبات إذا قل ريعه، وكدت الأرض تكدو

كدوا [وكدوا] فهي كادية إذا أبطأ نباتها، عن أبي زيد. وأكديت الرجل عن الشيء رددته

عنه. وأكدي الرجل إذا قل خيره. وقوله: (وأعطي قليلاً وأكدي) أي قطع القليل. قوله تعالى: (أعنده علم الغيب فهو يرى) أي أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من أمر العذاب؟ (فهو يرى) أي يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة، وما يكون من أمره حتى يضمن حمل العذاب عن غيره، وكفى بهذا جهلاً وحمقاً. وهذه الرؤية هي المتعدية إلى مفعولين والمفعولان محذوفان، كأنه قال: فهو يرى الغيب مثل الشهادة.

قوله تعالى: أم لم ينبأ بما في صحف موسى (٣٦) وإبراهيم الذي وفى (٣٧) ألا تزر وازرة وزر أخرى (٣٨) وأن ليس للانسان إلا ما سعى (٣٩) وأن سعيه سوف يرى (٤٠) ثم يجزاه الجزاء الأوفى (٤١) وان إلى ربك المنتهى (٤٢)

(١) في ب، ح، ز، س، هـ: (إذا محلت).  
(٢) في النسخ السابقة: (وكدت يده).

قوله تعالى: (أم لم ينبأ بما في صحف موسى . وإبراهيم) أي صحف (إبراهيم الذي وفى) كما في سورة (الاعلى (١)) (صحف إبراهيم وموسى) أي لا تؤخذ نفس بد لا عن أخرى،

كما قال: (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) وخص صحف إبراهيم وموسى بالذكر، لأنه كان

ما بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة (٢) أخيه وأبنه وأبيه، قاله الهذيل بن شرحبيل. (وأن)

هذه المخففة من الثقيلة وموضعها جر بدلا من (ما) أو يكون في موضع رفع على اضمار هو.

وقرأ سعيد بن جبير وقتادة (وفى) خفيفة ومعناها صدق في قوله وعمله، وهي راجعة إلى

معنى قراءة الجماعة (وفى) بالتشديد أي قام بجميع ما فرض عليه فلم يخرم منه شيئا. وقد مضى

في (البقرة (٣)) عند قوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) والتوفية الاتمام.

وقال أبو بكر الوراق: قام بشرط ما ادعى، وذلك أن الله تعالى قال له: (أسلم قال أسلمت

لرب العالمين (٣)) فطالبه الله بصحة دعواه، فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده (٤) وافيا بذلك،

فذلك قوله: (وإبراهيم الذي وفى) أي ادعى الاسلام ثم صحح دعواه. وقيل: وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار، رواه الهيثم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى سهل بن سعد الساعدي عن أبيه (ألا أخبركم لم سمى الله تعالى خليله إبراهيم (الذي وفى)

لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (٥))) الآية.

ورواه سهل بن معاذ عن أنس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: (وفى) أي وفى ما أرسل به، وهو قوله: (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) قال ابن عباس: كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره، ويأخذون الولي بالولي في القتل والجراحة،

فيقتل الرجل بأبيه وابنه وأخيه وعمه وخاله وابن عمه وقريبه وزوجته وزوجها وعبد، فبلغهم إبراهيم عليه السلام عن الله تعالى: (أن لا تزر وازرة وزر أخرى). وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير في قوله تعالى (وفى): عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه.

وهذا أحسن، لأنه عام. وكذا قال مجاهد: (وفى) بما فرض عليه. وقال أبو مالك

-----  
(١) راجع ج ٢٠ ص ١٣.

(٢) في ل: (بجريمة).

(٣) راجع ج ٢ ص ٩٨ وص ١٣٤

(٤) في ز، ل: (فوجد وافيا).

(٥) راجع ج ١٤ ص ١٤.

الغفاري قوله تعالى: (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) إلى قوله: (فبأي آلاء ربك تتمازي) في صحف إبراهيم وموسى، وقد مضى في آخر (الانعام (١)) القول في (ولا تزر وازرة وزر

أخرى) مستوفى.

قوله تعالى: (وأن ليس للانسان الا ما سعى) روي عن ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم (٢)) فيحصل الولد

الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه، ويشفع الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء، يدل

على ذلك قوله تعالى: (آبأؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا (٣)). وقال أكثر

أهل التأويل: هي محكمة ولا ينفع أحدا عمل أحد، وأجمعوا أنه لا يصلي أحد عن أحد.

ولم يجز مالك الصيام والحج والصدقة عن الميت، إلا أنه قال: إن أوصى بالحج ومات جاز أن

يحج عنه. وأجاز الشافعي وغيره الحج التطوع عن الميت. وروي عن عائشة رضي الله عنها

أنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن وأعتقت عنه. وروي أن سعد بن عبادة قال للنبي

صلى الله عليه وسلم: إن أمي توفيت أفأصدق عنها؟ قال: (نعم) قال: فأبي الصدقة

أفضل؟ قال: (سقي الماء). وقد مضى جميع هذا مستوفى في (البقرة (٤)) و (آل

عمران (٥))

(والأعراف (٦)). وقد قيل: إن الله عز وجل إنما قال: (وأن ليس للانسان إلا ما سعى)

ولام الخفض معناها في العربية الملك والايجاب فلم يجب (٧) للانسان إلا ما سعى،

فإذا تصدق

عنه غيره فليس يجب له شيء إلا أن الله عز وجل يتفضل عليه بما لا يجب له، كما

يتفضل على

الأطفال بادخالهم الجنة بغير عمل. وقال الربيع بن أنس: (وأن ليس للانسان إلا ما

سعى)

يعني الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره.

قلت: وكثير من الأحاديث يدل على هذا القول، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل

الصالح من غيره، وقد تقدم كثير منها لمن تأملها، وليس في الصدقة اختلاف، كما في

صدر



- 
- (١) راجع ج ٧ ص ١٥٧ وص ٢١٥.  
(٢) راجع ص ٦٦ من هذا الجزء.  
(٣) راجع ج ٥ ص ٧٤.  
(٤) راجع ج ٣ ص ٤٢٨.  
(٥) راجع ج ٤ ص ١٥١.  
(٦) هكذا في الأصول ولم نعثر على هذا المعنى في السورة المذكورة.  
(٧) في ب، ح، ز، س، ل وه: (فليس يجب).

كتاب مسلم عن عبد الله بن المبارك. وفي الصحيح: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث) وفيه (أو ولد صالح يدعو له) وهذا كله تفضل من الله عز وجل، كما أن زيادة الأضعاف فضل منه، كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرة إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة، كما قيل لأبي هريرة: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة) فقال سمعته يقول: (إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة) فهذا تفضل. وطريق العدل (أن ليس للإنسان إلا ما سعى). قلت: ويحتمل أن يكون قوله: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) خاص في السيئة، بدليل ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله عز وجل إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبت لها حسنة فإن عملها كتبت لها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبت سيئة واحدة). وقال أبو بكر الوراق: (إلا ما سعى) إلا ما نوى، بيانه قوله صلى الله عليه وسلم: (يبعث الناس يوم القيامة على نياتهم). قوله تعالى: (وأن سعيه سوف يرى) أي يريه الله تعالى جزاءه يوم القيامة (ثم يجزاه) أي يجزي به (الجزاء الأوفى). قال الأخفش: يقال جزيته الجزاء، وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما، قال الشاعر:

إن أجز علقمة بن سعد سعيه \* لم أجزه ببلاء يوم واحد  
فجمع بين اللغتين.

قوله تعالى: (وأن إلى ربك المنتهى) أي المرجع والمراد والمصير فيعاقب ويثيب. وقيل: منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الأمان. وعن أبي بن كعب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (وأن إلى ربك المنتهى) قال: (لا فكرة في الرب). وعن أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذ ذكر الله تعالى فأنته).

قلت: ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك فإذا بلغ ذلك فليستعد بالله ولينته) وقد تقدم

في آخر (الأعراف (١)). ولقد أحسن من قال:  
ولا تفكرن (٢) في ذي العلا عز وجهه\* فإنك تردى إن فعلت وتخذل  
ودونك مصنوعاته فاعتبر بها\* وقل مثل ما قال الخليل المبجل  
قوله تعالى: وانه هو أضحك وأبكى (٤٣) وأنه هو أمات وأحيا (٤٤)  
وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى (٤٥) من نطفة إذا تمنى (٤٦)  
قوله تعالى: (وأنه هو أضحك وأبكى) ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه  
وتعال فلا فاعل إلا هو، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: لا والله ما  
قال

رسول الله قط إن الميت يعذب ببكاء أحد، ولكنه قال: (إن الكافر يزيد الله ببكاء أهله  
عذابا وإن الله لهو أضحك وأبكى وما تزر وازرة وزر أخرى). وعنها قالت: مر النبي  
صلى

الله عليه وسلم على قوم من أصحابه وهم يضحكون، فقال: (لو تعلمون ما أعلم  
لضحكنم قليلا

ولبكيتم كثيرا) فنزل عليه جبريل فقال: يا محمد! إن الله يقول لك: (وأنه هو أضحك  
وأبكى).

فرجع إليهم فقال: (ما خطوات أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال ايت هؤلاء فقل  
لهم إن الله تعالى يقول: (هو أضحك وأبكى) أي قضى أسباب الضحك والبكاء. وقال  
عطاء

ابن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن، لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء.  
وقيل لعمر:

هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: نعم! والايمان والله  
أثبت

في قلوبهم من الجبال الرواسي. وقد تقدم هذا المعنى في (النمل (٣)) و (براءة (٤)).  
قال الحسن:

-----  
(١) راجع ج ٧ ص ٣٤٨.  
(٢) من أفكر لغة في فكر بالتضعيف.  
(٣) راجع ج ١٣ ص ١٧٥.  
(٤) راجع ج ٨ ص ٢١٧.



أضحك الله أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقيل: أضحك من شاء في الدنيا  
بأن سره وأبكى من شاء بأن غمه. الضحاك: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر.  
وقيل: أضحك الأشجار بالنوار، وأبكى السحاب بالأمطار. وقال ذو النون: أضحك قلوب  
المؤمنين والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته.  
وقال سهل بن عبد الله: أضحك الله المطيعين بالرحمة وأبكى العاصين بالسخط. وقال محمد  
ابن علي الترمذي: أضحك المؤمن في الآخرة وأبكاه في الدنيا. وقال بسام بن عبد الله:  
أضحك الله أسنانهم وأبكى قلوبهم. وأنشد:  
السن تضحك والاحشاء تحترق \* وإنما ضحكها زور ومختلق  
يا رب باك بعين لا دموع لها \* ورب ضاحك سن ما به رمق  
وقيل: إن الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، وليس في سائر  
الحيوان من يضحك ويبكي غير الانسان. وقد قيل: إن القرد وحده يضحك ولا يبكي،  
وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك. وقال يوسف بن الحسين: سئل طاهر المقدسي أتضحك  
الملائكة؟ فقال: ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم. (وأنه هو أمات وأحيا)  
وأي قضى أسباب الموت والحياة. وقيل: خلق الموت والحياة كما قال: (الذي خلق الموت والحياة (١))  
قاله ابن بحر. وقيل: أمات الكافر بالكفر وأحيا المؤمن بالايمان،  
قال الله تعالى: (أو من كان ميتا فأحييناه (٢)) الآية. وقال: (إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى  
يبعثهم الله) على ما تقدم (٢)، وإليه يرجع قول عطاء: أمات بعدله وأحيا  
بفضله. وقول من قال: أمات بالمنع والبخل وأحيا بالجود والبذل. وقيل: أمات النطفة  
وأحيا النسمة. وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: يريد بالحياة الخصب وبالموت الجذب.  
وقيل: أنام وأيقظ. وقيل: أمات في الدنيا وأحيا للبعث. (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى)  
أي من أولاد آدم ولم يرد آدم وحواء بأنهما خلقا من نطفة.

(١) راجع ج ١٨ ص ٢٠٦  
(٢) راجع ج ٧ ص ٧٨ و ج ٦ ص ٤١٨

والنطفة الماء القليل، مشتق من نطف الماء إذا قطر. (تمنى) تصب في الرحم وتراق،  
قاله

الكلبي والضحاك وعطاء بن أبي رباح. يقال: منى الرجل وأمنى من المنى، وسميت  
منى بهذا

الاسم لما يمنى فيها من الدماء أي يراق. وقيل: (تمنى) تقدر، قاله أبو عبيدة. يقال:  
منيت الشيء إذا قدرته، ومنى له أي قدر له، قال الشاعر (١):

\* حتى تلاقي ما يمني لك ألماني \*

أي ما يقدر لك القادر.

قوله تعالى: وأن عليه النشأة الأخرى (٤٧) وأنه هو أغنى وأقنى (٤٨)

وأنه هو رب الشعري (٤٩) وأنه أهلك عادا الأولى (٥٠) وشمودا فما

أبقى (٥١) وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى (٥٢)

والمؤتفكة أهوى (٥٣) فغشاها ما غشى (٥٤) فبأي آلاء ربك

تتمارى (٥٥)

قوله تعالى: (وأن عليه النشأة الأخرى) أي إعادة الأرواح في الأشباح للبعث.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (النشأة) بفتح الشين والمد، أي وعد ذلك ووعدده صدق.

(وأنه هو أغنى وأقنى) قال ابن زيد: أغنى من شاء وأفقر من شاء، ثم قرأ (يبسط الرزق

لمن يشاء من عباده ويقدر له (٢)) وقرأ (يقبض ويبسط (٣)) واختاره الطبري. وعن

ابن زيد

أيضا ومجاهد وقتادة والحسن: (أغنى) مول (وأقنى) أخدم. وقيل: (أقنى) جعل

(١) قائله أبو قلابة الهذلي. وصدده: \* ولا تقولن لشيء سوف أفعله \* وقيل هو لسويد بن عامر المصطلقى.  
وقبله:

لا تأمن الموت في حل وفي حرم \* ان المنايا توافي كل انسان  
واسلك طريقك فيها غير محتشم \* حتى الخ.....

(٢) راجع ج ١٤ ص ٣٠٧

(٣) راجع ج ٣ ص ٢٣٧

لكم قنية تقتنونها، وهو معنى أخدم أيضا. وقيل: معناه أرضى بما أعطى أي أغناه ثم رضاه بما أعطاه، قاله ابن عباس. وقال الجوهري: قني الرجل يقنى قنى، مثل غني يعنى

غنى، وأقناه الله أي أعطاه الله ما يقتنى من القنية والنشب. وأقناه [الله] أيضا أي رضاه. والقنى الرضا، عن أبي زيد، قال وتقول العرب: من أعطي مائة من المعز فقد أعطي القنى،

ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطي الغنى، ومن أعطى مائة من الإبل فقد أعطي المنى.

ويقال: أغناه الله وأقناه أي أعطاه ما يسكن إليه. وقيل: (أغنى وأقنى) أي أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه، قاله سليمان التيمي. وقال سفيان: أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا. وقال الأخفش: أقنى أفقر. قال ابن كيسان: أولد. وهذا راجع لما تقدم. (وأنه هو رب الشعري) (الشعري) الكوكب المضئ الذي يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، وهما الشعريان العبور التي في الجوزاء والشعري الغميصاء التي في الذراع، وتزعم العرب أنهما

أختا سهيل. وإنما ذكر أنه رب الشعري وإن كان ربا لغيره، لأن العرب كانت تعبده، فأعلمهم الله عز وجل أن الشعري مربوب وليس برب. وأختلف فيمن كان يعبده، فقال السدي: كانت تعبده حمير وخزاعة. وقال غيره: أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أمهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبي صلى الله

عليه وسلم ابن أبي كبشة حين دعا إلى الله وخالف أديانهم، وقالوا: ما لقينا من ابن أبي كبشة! وقال أبو سفيان يوم الفتح وقد وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر عليه: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة. وقد كان من لا يعبد الشعري

من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر:  
مضى أيلول وارتفع الحرور\* وأخبت نارها الشعري العبور  
وقيل: إن العرب تقول في خرافاتها: إن سهيلا والشعري كانا زوجين، فانحدر سهيل فصار

يمانيا، فاتبعته الشعري العبور فعبرت المجرة فسميت العبور، وأقامت الغميصاء فبكت



لفقد سهيل حتى غمصت عيناه، فسميت غميصاء لأنها أخفى من الأخرى. (وأنه أهلك عادا الأولى) سماها الأولى لأنهم كانوا من قبل ثمود. وقيل: إن ثمود من قبل (١) عاد. وقال ابن زيد: قيل لها عاد الأولى لأنها أول أمة أهلكت بعد نوح عليه السلام. وقال ابن إسحاق

: هما عادان فالأولى أهلكت بالريح الصرصر، ثم كانت الأخرى فأهلكت بالصيحة. وقيل: عاد الأولى هو عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وعاد الثانية من ولد عاد الأولى،

والمعنى متقارب. وقيل: إن عاد الآخرة الجبارون وهم قوم هود. وقراءة العامة (عادا الأولى) ببيان التنوين والهمز. وقرأ نافع وابن محيصن وأبو عمرو (عادا الأولى) بنقل حركة

الهمزة إلى اللام وإدغام التنوين فيها، إلا أن قالون والسوسي يظهران الهمزة الساكنة. وقبلها الباقون واوا على أصلها، والعرب تقلب هذا القلب فتقول: قم الان عنا وضم لثنين أي قم

الآن وضم الاثنين (وثمود فما أبقى) ثمود هم قوم صالح أهلكوا بالصيحة. قرئ (ثمودا) (وثمود) وقد تقدم (٢). وانتصب على العطف على عاد. (وقوم نوح من قبل) أي وأهلك

قوم نوح من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) وذلك لطول مدة نوح فيهم، حتى كان الرجل فيهم يأخذ بيد ابنه فينطلق إلى نوح عليه السلام فيقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي قد مشى بي إلى هذا وقال لي مثل ما قلت لك، فيموت الكبير على الكفر،

وينشأ الصغير على وصية أبيه. وقيل: إن الكناية ترجع إلى كل من ذكر من عاد وثمود وقوم نوح، أي كانوا أكفر من مشركي العرب وأطغى. فيكون فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم،

فكأنه يقول له: فاصبر أنت أيضا فالعاقبة الحميدة لك. (والمؤتفكة أهوى) يعني مدائن قوم لوط عليه السلام ائتفكت بهم، أي انقلبت وصار عاليها سافلها. يقال: أفكته أي قلبته وصرفته. (أهوى) أي خسف بهم بعد رفعها إلى السماء، رفعها جبريل ثم أهوى بها

إلى الأرض. وقال المبرد: جعلها تهوي. ويقال: هوى بالفتح يهوي هويًا أي سقط

(١) في ب، ح س وه: (من نسل عاد).

(٢) راجع ج ٧ ص ٢٣٨.



و (أهوى) أي أسقط. (فغشاها ما غشى) أي ألبسها ما ألبسها من الحجارة، قال الله تعالى: (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل (١)) وقيل: إن الكناية ترجع

إلى جميع هذه الأمم، أي غشاها من العذاب ما غشاها، وأبهم لان كلا منهم أهلك بضرب

غير ما أهلك به الآخر. وقيل: هذا تعظيم الامر. (فبأي آلاء ربك تتمارى) أي فبأي نعم ربك تشك. والمخاطبة للانسان المكذب. والآلاء النعم واحدها إلى وإلى وإلى. وقرأ يعقوب (تمارى) بإدغام إحدى التاءين في الأخرى والتشديد.

قوله تعالى: هذا نذير من النذر الأولى (٥٦) أزفت الآزفة (٥٧) ليس لها من دون الله كاشفة (٥٨) أفمن هذا الحديث تعجبون (٥٩) وتضحكون ولا تبكون (٦٠) وأنتم سامدون (٦١) فاسجدوا لله واعبدوا (٦٢)

قوله تعالى: (هذا نذير من النذر الأولى) قال ابن جريج ومحمد بن كعب: يريد أن محمدا صلى الله عليه وسلم نذير بالحق الذي أنذر به الأنبياء قبله، فإن أطمعتموه أفلحتم،

وإلا حل بكم ما حل بمكذبي الرسل السالفة. وقال قتادة: يريد القرآن، وأنه نذير بما أنذرت به الكتب الأولى. وقيل: أي هذا الذي أخبرنا به من أخبار الأمم الماضية الذين هلكوا تخويف لهذه الأمة من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك من النذر أي مثل النذر، والنذر

في قول العرب بمعنى الانذار كالنكر بمعنى الإنكار، أي هذا إنذار لكم. وقال أبو مالك:

هذا الذي أنذرتكم به من وقائع الأمم الخالية هو في صحف إبراهيم وموسى. وقال السدي

أخبرني أبو صالح قال: هذه الحروف التي ذكر الله تعالى من قوله تعالى: (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم) إلى قوله: (هذا نذير من النذر الأولى) كل هذه في صحف

إبراهيم وموسى.

(١) راجع ج ١٠ ص ٥٤٢

قوله تعالى: (أزفت الآزفة) أي قربت الساعة ودنت القيامة. وسماها آزفة لقرب قيامها عنده، كما قال: (يرونه بعيدا ونراه قريبا (١)). وقيل: سماها آزفة لدنوها من الناس

وقربها منهم ليستعدوا لها، لان كل ما هو آت قريب. قال: أزف الترحل غير أن ركابنا \* لما نزل برحالنا وكأن قد وفي الصحاح: أزف الترحل يأزف أزفا أي دنا وأفد، ومنه قوله تعالى: (أزفت الآزفة) يعني القيامة، وأزف الرجل أي عجل فهو آزف على فاعل، والمتأزف القصير وهو

المتداني. قال أبو زيد: قلت لأعرابي ما المحببني؟ قال: المتكأكى. قلت: ما المتكأكى؟

قال: المتأزف. قلت: ما المتأزف؟ قال: أنت أحمق وتركني ومر. (ليس لها من دون الله

كاشفة) أي ليس لها من دون الله من يؤخرها أو يقدمها. وقيل: كاشفة أي انكشاف أي لا يكشف عنها ولا يبديها إلا الله، فالكاشفة اسم بمعنى المصدر والهاء فيه كالهاء في العاقبة

والعافية والداهية والباقية، كقولهم: ما لفلان من باقية أي من بقاء. وقيل: أي لا أحد يرد ذلك، أي إن القيامة إذا قامت لا يكشفها أحد من آلهتهم ولا ينجيهم غير الله تعالى.

وقد سميت القيامة غاشية، فإذا كانت غاشية كان ردها كشفها، فالكاشفة علي هذا نعت مؤنث

محذوف، أي نفس كاشفة أو فرقة كاشفة أو حال كاشفة. وقيل: إن (كاشفة) بمعنى كاشف

والهاء للمبالغة مثل راوية وداهية.

قوله تعالى: (أفمن هذا الحديث) يعني القرآن. وهذا استفهام توبيخ (تعجبون) تكديبا به (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) انزجارا وخوفا من الوعيد. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم ما روى بعد نزول هذه الآية ضاحكا إلا تبسما. وقال

أبو هريرة: لما نزلت (أفمن هذا الحديث تعجبون) قال أهل الصفة: (إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم

بكاءهم بكى معهم فبكينا لبكائه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يلج النار من بكى من

-----  
(١) راجع ج ١٨ ص ٢٨٤.

(١٢٢)

خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء  
يقوم

يذنبون فيغفر لهم ويرحمهم إنه هو الغفور الرحيم). وقال أبو حازم: نزل جبريل على  
النبي

صلى الله عليه وسلم وعنده رجل يبكي، فقال له: من هذا؟ قال: هذا فلان، فقال  
جبريل: إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء، فإن الله تعالى ليطفئ بالدمعة الواحدة  
بحورا

من جهنم.

قوله تعالى: (وأنتم سامدون) أي لاهون معرضون. عن ابن عباس، رواه الوالبي  
والعوفي عنه. وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة حمير، يقال: سمد لنا أي غن لنا، فكانوا  
إذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا. وقال الضحاك: سامدون شامخون  
متكبرون. وفي الصحاح: سمد سمودا رفع رأسه تكبرا وكل رافع رأسه فهو سامد، قال  
(١):

\* سوامد الليل خفاف الأزواد \*

يقول: ليس في بطونها علف. وقال ابن الأعرابي: سمدت سمودا علوت. وسمدت  
الإبل في سيرها جدت. والسمود اللهو، والسامد اللاهي، يقال للقينه: أسمدينا،  
أي ألهينا بالغناء. وتسميد الأرض أن يجعل فيها السماد وهو سراجين ورماد. وتسميد  
الرأس

استئصال شعره، لغة في التسبيد. واسماد الرجل بالهمز اسمئدادا أي ورم غضبا. وروي  
عن

علي رضي الله عنه أن معنى (سامدون) أن يجلسوا غير مصليين ولا منتظرين الصلاة.  
وقال الحسن: واقفون للصلاة قبل وقوف الامام، ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه  
وسلم أنه خرج الناس ينتظرونه قياما فقال: (مالي أراكم سامدين) حكاه الماوردي.  
وذكره المهدي عن علي، وأنه خرج إلى الصلاة فرأى الناس قياما [ينتظرونه] فقال:  
(مالكم سامدون) قاله المهدي. والمعروف في اللغة: سمد يسمد سمودا إذا لها  
وأعرض.

وقال المبرد: سامدون خامدون، قال الشاعر:

أتى الحدثان نسوة آل حرب \* بمقدور سمدن له سمودا

(١) قائله رزية بن العجاج يصف إبلا.

وقال صالح أبو الخليل: لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (أفمن هذا الحديث تعجبون. وتضحكون ولا تبكون. وأنتم سامدون) لم ير ضاحكا إلا مبتسما حتى مات صلى الله عليه

وسلم. ذكره النحاس.

قوله تعالى: (فاسجدوا لله واعبدوا) قيل: المراد به سجود تلاوة القرآن. وهو قول ابن مسعود. وبه قال أبو حنيفة والشافعي. وقد تقدم أول السورة من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وسجد معه المشركون. وقيل: إنما سجد معه

المشركون لأنهم سمعوا أصوات الشياطين في أثناء قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند

قوله: (أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى) وأنه قال: تلك الغرائق العلا وشفاعتهن ترتجى. كذا في رواية سعيد بن جبير ترتجى. وفي رواية أبي العالية وشفاعتهن

ترتضي، ومثلهن لا ينسى. ففرح المشركون وظنوا أنه من قول محمد صلى الله عليه وسلم على

ما تقدم بيانه في (الحج (١)). فلما بلغ الخبر بالحبشة من كان بها من أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم رجعوا ظنا منهم أن أهل مكة آمنوا، فكان أهل مكة أشد عليهم وأخذوا في تعذيبهم

إلى أن كشف الله عنهم. وقيل: المراد سجود الفرض في الصلاة وهو قول ابن عمر، كان

لا يراها من عزائم السجود. وبه قال مالك. وروى أبي بن كعب رضي الله عنه: كان آخر فعل النبي صلى الله عليه وسلم ترك السجود في المفصل. والأول أصح وقد مضى القول

فيه آخر (الأعراف (٢)) مبينا والحمد لله رب العالمين. تم تفسير سورة (والنجم).

(١) هذه الأخبار من المفتريات على المعصوم سيد الخلق عليه الصلاة والسلام، ولا يمكن أن ينطق بما هو نقيض

القرآن، ولا يمكن أن ينطق على لسانه الشيطان. وكل ما كان من هذا المعنى فهو باطل وضعته الملاحدة للدخول به إلى

الطعن في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أوفى الوحي أو في القرآن وهو الذي لا ينطق عن الهوى. راجع ما كتبه

المصنف عن هذا الحديث في ج ١٢ ص ٨٠.

(٢) راجع ج ٧ ص ٣٥٧.



(۱۲۴)



سورة القمر  
مكية كلها في قول الجمهور. وقال مقاتل: الا ثلاث آيات من قوله تعالى:  
(أم يقولون نحن جميع منتصر) إلى قوله: (والساعة أدهى وأمر) ولا يصح على ما يأتي.  
وهي خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم  
اقتربت الساعة وانشق القمر (١) وان يروا آية يعرضوا ويقولوا  
سحر مستمر (٢) وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (٣)  
ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر (٤) حكمة بالغة فما تغن  
النذر (٥) فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شئ نكر (٦) خشعا  
أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر (٧) مهطعين إلى  
الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر (٨)  
قوله تعالى: (اقتربت الساعة وانشق القمر) (اقتربت) أي قربت مثل  
أزفت الأزفة (١)) على ما بيناه. فهي بالإضافة إلى ما مضى قريبة، لأنه قد مضى أكثر  
الدنيا

كما روى قتادة عن أنس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت  
الشمس  
تغيب فقال: (ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى)  
وما نرى  
من الشمس إلا يسيرا. وقال كعب ووهب: الدنيا ستة آلاف سنة. قال وهب: قد مضى  
منها خمسة آلاف سنة وستمائة سنة. ذكره النحاس.  
ثم قال تعالى: (وانشق القمر) أي وقد انشق القمر. وكذا قرأ حذيفة (اقتربت  
الساعة وقد انشق القمر) بزيادة (قد) وعلى هذا الجمهور من العلماء، ثبت ذلك في  
صحيح

-----  
(١) راجع ص ١٢٢ من هذا الجزء.

البخاري وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وأنس وجبير بن مطعم وابن عباس رضي الله

عنهم. وعن أنس قال: سألت أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية، فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: (اقتربت الساعة وانشق القمر) إلى قوله: (سحر مستمر) يقول ذاهب قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ولفظ البخاري عن أنس قال: انشق

القمر فرقتين. وقال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر، أي اقتربت قيام الساعة وانشقاق القمر، وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره. وكذا قال

القشيري. وذكر الماوردي: أن هذا قول الجمهور، وقال: لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه، لأنه آية والناس في الآيات سواء. وقال الحسن: اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق

القمر بعد النفخة الثانية. وقيل: (وانشق القمر) أي وضح الأمر وظهر، والعرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضح، قال:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم \* فإني إلى حي سواكم لأميل  
فقد حمت الحاجات والليل مقمر \* وشدت لطيات مطايا وأرحل  
وقيل: انشقاق القمر هو انشقاق (١) الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها، كما يسمى الصبح فلما،

لانفلاق الظلمة عنه. وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة:

فلما أدبروا ولهم دوي \* دعانا عند شق الصبح داع  
قلت: وقد ثبت بنقل الأحاد العدول أن القمر انشق بمكة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها، لأنها كانت آية ليلية، وأنها كانت باستدعاء النبي صلى الله عليه

وسلم من الله تعالى عند التحدي. فروي أن حمزة بن عبد المطلب حين أسلم غضبا من سب

أبي جهل الرسول صلى الله عليه وسلم طلب أن يريه آية يزداد بها يقينا في إيمانه. وقد تقدم

في الصحيح أن أهل مكة هم الذين سألوا وطلبوا أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فلقتين

كما في حديث ابن مسعود وغيره. وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال: ألا إن الساعة

قد اقتربت، وأن القمر قد انشق على عهد نبيكم صلى الله عليه وسلم. وقد قيل: هو على

-----  
(١) في تفسير الجمل نقلا عن القرطبي: (زوال الظلمة).

(١٢٦)

التقديم والتأخير، وتقديره انشق القمر واقتربت الساعة، قاله ابن كيسان. وقد مر عن الفراء أن الفعلين إذا كانا متقاربي المعنى فلك أن تقدم وتؤخر عند قوله تعالى: (ثم دنا فتدلى (١)).

قوله تعالى: (وان يروا آية يعرضوا) هذا يدل على أنهم رأوا انشقاق القمر. قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إن كنت صادقاً

فاشقق لنا القمر فرقتين، نصف على أبي قبيس ونصف على قعيقعان، فقال لهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم: (إن فعلت تؤمنون) قالوا: نعم؟ وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله

صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله صلى الله عليه

وسلم ينادي المشركين: (يا فلان يا فلان اشهدوا). وفي حديث ابن مسعود: انشق القمر على

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت قريش: هذا من سحر ابن أبي كبشة، سحركم فاسألوا

السفار، فسألوهم فقالوا: قد رأينا القمر انشق فنزلت: (اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا) أي إن يروا آية تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم أعرضوا

عن الايمان (ويقولوا سحر مستمر) أي ذاهب، من قولهم: مر الشيء واستمر إذا ذهب، قاله أنس وقتادة ومجاهد والفراء والكسائي وأبو عبيدة، واختاره النحاس. وقال أبو العالية والضحاك: محكم قوي شديد، وهو من المرة وهي القوة، كما قال لقيط:

حتى استمرت على شزر مريته \* مر العزيمة لا [قحما (٢)] ولا ضرعا

وقال الأخفش: هو مأخوذ من إمرار الحبل وهو شدة قتله. وقيل: معناه مر من المرارة. يقال: أمر الشيء صار مرا، وكذلك مر الشيء [يمر] بالفتح مرارة فهو مر، وأمره غيره ومره. وقال الربيع: مستمر نافذ. يمان: ماض. أبو عبيدة: باطل. وقيل: دائم. قال (٣):

\* وليس على شيء قويم بمستمر \*

(١) راجع ص ٨٩ من هذا الجزء.

(٢) راجع هامش ص ٨٦ من هذا الجزء في شرح البيت.

(٣) البيت لأمري القيس وصدرة: \* الا انما الدنيا ليال وأعصر \*



أي بدائم. وقيل: يشبه بعضه بعضا، أي قد استمرت أفعال محمد على هذا الوجه فلا يأتي

بشيء له حقيقة بل الجميع تخييلات. وقيل: معناه قد مر من الأرض إلى السماء. (وكذبوا)

نبينا (واتبعوا أهواءهم) أي ضلالاتهم واختياراتهم. (وكل أمر مستقر) أي يستقر بكل عامل عمله، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار.

وقرأ شيبية (مستقر) بفتح القاف، أي لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقدم وتأخر. وقد روي عن أبي جعفر بن القعقاع (وكل أمر مستقر) بكسر القاف والراء جعله نعتا لأمر

و (كل) على هذا يجوز أن يرتفع بالابتداء والخبر محذوف، كأنه قال: وكل أمر مستقر في أم الكتاب كائن. ويجوز أن يرتفع بالعطف على الساعة، المعنى: اقتربت الساعة وكل أمر مستقر، أي اقترب استقرار الأمور يوم القيامة. ومن رفعه جعله خبرا عن (كل).

قوله تعالى: (ولقد جاءهم من الانبياء) أي من بعض الانبياء، فذكر سبحانه من ذلك ما علم أنهم يحتاجون إليه، وأن لهم فيه شفاء. وقد كان هناك أمور أكثر من ذلك، وإنما

اقتص علينا ما علم أن بنا إليه حاجة وسكت عما سوى ذلك، وذلك قوله تعالى: (ولقد جاءهم من الانبياء) أي جاء هؤلاء الكفار من أنباء الأمم الخالية (ما فيه مزدجر) أي ما يزرهم عن الكفر لو قبلوه. وأصله مزجر فقلبت التاء دالا، لان التاء حرف مهموس

والزاي حرف مجهور، فأبدل من التاء دالا لتوافقها في المنخرج وتوافق الزاي في الجهر. و (مزدجر) من الزجر وهو الانتهاء، يقال: زجره وازدجره فانزجر وازدجر، وزجرته أنا فانزجر أي كففته فكف، كما قال:

فأصبح ما يطلب الغانيات \* مزدجرا عن هواه ازدجارا  
وقرى (مزجر) بقلب تاء الافتعال زايا وإدغام الزاي فيها، حكاة الزمخشري.  
(حكمة بالغة) يعني القران وهو بدل من (ما) من قوله: (ما فيه مزدجر).  
ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف، أي هو حكمة. (فما تغن النذر)

إذا كذبوا وخالفوا كما قال الله تعالى: (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون  
(١)) ف (ما)

نفي أي ليست تغني عنهم النذر. ويجوز أن يكون استفهاما بمعنى التوبيخ، أي فأى شيء  
تغني النذر عنهم وهم معرضون عنها. و (النذر) يجوز أن تكون بمعنى الانذار، ويجوز  
أن  
تكون جمع نذير.

قوله تعالى: (فتول عنهم) أي أعرض عنهم. قيل: هذا منسوخ بآية السيف.  
وقيل: هو تمام الكلام. ثم قال: (يوم يدع الداع) العامل في (يوم) (يخرجون من  
الأحداث) أو (خشعا) أو فعل مضمر تقديره واذكر يوم. وقيل: على حذف حرف الفاء  
وما عملت فيه من جواب الامر، تقديره: فتول عنهم فإن لهم يوم يدعو الداعي. وقيل:  
تول عنهم يا محمد فقد أقيمت الحجة وأبصرهم يوم يدعو الداعي. وقيل: أي أعرض  
عنهم

يوم القيامة ولا تسأل عنهم وعن أحوالهم، فإنهم يدعون (إلى شيء نكر) وينالهم عذاب  
شديد. وهو كما تقول: لا تسأل عما جرى على فلان إذا أخبرته بأمر عظيم. وقيل: أي  
وكل أمر مستقر يوم يدعو الداعي. وقرأ ابن كثير (نكر) بإسكان الكاف، وضمها  
الباقون وهما لغتان كعسر وعسر وشغل وشغل، ومعناه الامر الفظيع العظيم وهو يوم  
القيامة.

والداعي هو إسرافيل عليه السلام. وقد روي عن مجاهد وقتادة أنهما قرءا (إلى شيء  
نكر)

بكسر الكاف وفتح الراء على الفعل المجهول. (خشعا أبصارهم) الخشوع في البصر  
الخشوع

والذلة، وأضاف الخشوع إلى الابصار لان أثر العز والذل يتبين في ناظر الانسان، قال  
الله

تعالى: (أبصارها خاشعة (٢)) وقال تعالى: (خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي  
(٣)).

ويقال: خشع واختشع إذا ذل. وخشع ببصره أي غضه. وقرأ حمزة والكسائي وأبو  
عمرو

(خاشعا) بالألف ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد، نحو:  
(خاشعا)

أبصارهم) والتأنيث نحو: (خاشعة أبصارهم (٤)) ويجوز الجمع نحو: (خشعا  
أبصارهم) قال (٥):

وشباب حسن أوجههم\* من إياد بن نزار بن معد

- 
- (١) راجع ج ٨ ص ٣٨٦  
(٢) راجع ج ١٩ ص ١٩٤  
(٣) راجع ج ١٥ ص ٤٥.  
(٤) راجع ج ١٨ ص ٢٤٨  
(٥) هو الحرث بن دوس الأيادي، ويروى لأبي دؤاد الأيادي.



و (خشعا) جمع خاشع والنصب فيه على الحال من الهاء والميم في (عنهم) فيقبح الوقف

على هذا التقدير على (عنهم). ويجوز أن يكون حالا من المضمرة في (يخرجون) فيوقف

على (عنهم). وقرئ (خشع أبصارهم) على الابتداء والخبر، ومحل الجملة النصب على الحال، كقوله:

\* [وجدته (١)] حاضراه الجود والكرم \*

(يخرجون من الأجداث) أي القبور واحدا حدث. (كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداع). وقال في موضع آخر: (يوم يكون الناس كالفراش المبتوث (٢)) فهما صفتان في وقتين مختلفين، أحدهما - عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين

يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض، فهم حينئذ كالفراش المبتوث بعضه في بعض لا جهة

له يقصدها [الثاني (٣)] - فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر، لان الجراد

له جهة يقصدها. و (مهطعين) معناه مسرعين، قاله أبو عبيدة. ومنه قول الشاعر:

بدجلة دارهم (٤) ولقد أراهم \* بدجلة مهطعين إلى السماع الضحاك: مقبلين. قتادة: عامدين. ابن عباس: ناظرين. عكرمة: فاتحين آذانهم إلى الصوت. والمعنى متقارب. يقال: هطع الرجل يهطع هطوعا إذا أقبل على الشيء ببصره لا يقلع عنه، وأهطع إذا مد عنقه وصوب رأسه. قال الشاعر (٥):  
تعبدني نمر بن سعد وقد أرى \* ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع  
وبعير مهطع: في عنقه تصويب حلقة. وأهطع في عدوه أي أسرع. (يقول الكافرون هذا يوم عسر) يعني يوم القيامة لما ينالهم فيه من الشدة.

(١) الزيادة من اعراب القرآن للسمين.

(٢) راجع ج ٢٠ ص ١٦٥.

(٣) الزيادة من مفصل اعراب القرآن وغيره.

(٤) في اللسان: (أهلها).

(٥) قائله تبع.

قوله تعالى: كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون  
وازدجر (٩) فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر (١٠) ففتحنا أبواب السماء  
بماء منهمر (١١) وفجرنا الأرض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد  
قدر (١٢) وحملناه على ذات ألواح ودسر (١٣) تجرى بأعيننا جزاء  
لمن كان كفر (١٤) ولقد تركناها آية فهل من مدكر (١٥) فكيف  
كان عذابي ونذر (١٦) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (١٧)  
قوله تعالى: (كذبت قبلهم قوم نوح) ذكر جملا من وقائع الأمم الماضية تأنيسا  
للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية له. (قبلهم) أي قبل قومك. (فكذبوا عبدنا) يعني  
نوحا. الرمزخشري: فإن قلت ما معنى قوله: (فكذبوا) بعد قوله: (كذبت)؟ قلت: معناه  
كذبوا فكذبوا عبدنا، أي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن  
مكذب

تبعه قرن مكذب، أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا، أي لما كانوا مكذبين  
بالرسل

جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل. (وقالوا مجنون) أي هو مجنون  
(وازدجر) أي زجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل. وقيل إنما قال: (وازدجر)  
بلفظ ما لم يسم فاعله لأنه رأس آية. (فدعا ربه) أي دعا عليهم حينئذ نوح وقال: رب  
(أنى مغلوب) أي غلبوني بتمردهم (فانتصر) أي فانتصر لي. وقيل: إن الأنبياء كانوا  
لا يدعون على قومهم بالهلاك إلا بإذن الله عز وجل لهم فيه. (ففتحنا أبواب السماء)  
أي فأجبنا دعاءه وأمرناه باتخاذ السفينة وفتحنا أبواب السماء (بماء منهمر) أي كثير،  
قاله السدي. قال الشاعر:

أعيني جودا بالدموع الهوامر \* على خير باد من معد وحاضر  
وقيل: إنه المنصب المتدفق، ومنه قول امرئ القيس يصف غيثا:

راح تمريره الصبا ثم انتحي\* فيه شؤبوب جنوب منهمر (١)  
الهمر الصب، وقد همر الماء والدمع يهمر همرا. وهمر أيضا إذا أكثر الكلام وأسرع.  
وهمر له من ماله أي أعطاه. قال ابن عباس: ففتحنا أبواب السماء بماء [منهمر (٢)]  
من غير سحب

لم يقلع أربعين يوما. وقرأ ابن عامر ويعقوب: (ففتحنا) مشددة على التكثير. الباقون  
(ففتحنا) مخففا. ثم قيل: إنه فتح رتاجها وسعة مسالكها. وقيل: إنه المجرة وهي شرح  
السماء ومنها فتحت بماء منهمر، قاله علي رضي الله عنه. (فجرنا الأرض عيوننا) قال  
عبيد

ابن عمير: أوحى الله إلى الأرض أن تخرج ماءها فتفجرت بالعيون، وإن عينا تأخرت  
فغضب

عليها فجعل ماءها مرا أجاجا إلى يوم القيامة. (فالتقى الماء) أي ماء السماء وماء  
الأرض

(على أمر قد قدر) أي على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر، حكاه ابن قتيبة. أي كان  
ماء

السماء والأرض سواء. وقيل: (قدر) بمعنى قضي عليهم. قال قتادة: قدر لهم إذا كفروا  
أن يغرقوا. وقال محمد بن كعب: كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القدر قبل البلاء،  
وتلا هذه الآية. وقال: (التقى الماء) والالتقاء إنما يكون في اثنين فصاعدا، لان الماء  
يكون جمعا وواحدا. وقيل: لأنهما لما اجتمعا صارا ماء واحدا. وقرأ الجحدري:  
(فالتقى

الماءان). وقرأ الحسن: (فالتقى الماوان) وهما خلاف المرسوم. القشيري:  
وفي بعض المصاحف (فالتقى الماوان) وهي لغة طيء. وقيل: كان ماء السماء باردا مثل  
الثلج وماء الأرض حارا مثل الحميم. (وحملناه على ذات ألواح) أي على سفينة ذات  
ألواح.

(ودسر) قال قتادة: يعني المسامير التي دسرت بها السفينة أي شدت، وقاله القرظي  
وابن زيد وابن جبير، ورواه الوالبي عن ابن عباس. وقال الحسن وشهر بن حوشب  
وعكرمة: هي صدر السفينة التي تضرب بها الموج سميت بذلك لأنها تدرس الماء أي  
تدفعه،

والدسر الدفع والمخر، ورواه العوفي عن ابن عباس قال: الدسر كل كل (٣) السفينة.

(١) راح: أي عاد في الرواح، كأن المطر كان في أول النهار ثم عاد في آخره. وتمريره: تستدره، وأصله من  
مري الضرع وهو مسحه ليدر. والشؤبوب: الدفعة من المطر. وخص الصبا لأنهم يمتطون بها.

(٢) الزيادة من ط.

(٣) الكل كل: الصدر.



(۱۳۲)

وقال الليث: الدسار خيط من ليف تشد به ألواح السفينة. وفي الصحاح: الدسار واحد الدسر وهي خيوط تشد بها ألواح السفينة، ويقال: هي المسامير، وقال تعالى: (على ذات

ألواح ودسر). ودسر أيضا مثل عسر وعسر. والدسر الدفع، قال ابن عباس في العنبر: إنما هو شيء يدسره البحر دسرا أي يدفعه. ودسره بالرمح. ورجل مدسر. (تجرى بأعيننا)

أي بمراى منا. وقيل: بأمرنا. وقيل: بحفظ منا وكلاءة: وقد مضى في (هود (١)). ومنه

قول الناس للمودع: عين الله عليك، أي حفظه وكلاءته. وقيل: بوحينا. وقيل: أي بالأعين النابعة من الأرض. وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها، وكل ما خلق

الله تعالى يمكن أن يضاف إليه. وقيل: أي تجري بأوليائنا، كما في الخبر: مرض عين من

عيوننا فلم تعده. (جزاء لمن كان كافر) أي جعلنا ذلك ثوبا وجزاء لنوح على صبره على

أذى قومه وهو المكفور به، فاللام في (لمن) لام المفعول له، وقيل: (كفر) أي جحد، ف (من) كناية عن نوح. وقيل: كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب، أي عقابا لكفرهم

بالله تعالى. وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد (جزاء لمن كان كافر) بفتح الكاف

والفاء بمعنى: كان الغرق جزاء وعقابا لمن كفر بالله، وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق (٢)،

كان الماء إلى حجزته. وسبب نجاته أن نوحا احتاج إلى خشبة الساج لبناء السفينة فلم يمكنه

حملها، فحمل عوج تلك الخشبة إليه من الشام فشكر الله له ذلك، ونجاه من الغرق. (ولقد

تركناها آية) يريد هذه الفعلة عبرة. وقيل: أراد السفينة تركها آية لمن بعد قوم نوح يعتبرون

بها فلا يكذبون الرسل. قال قتادة: أبقاها الله بباقردي من أرض الجزيرة عبرة وآية، حتى

نظرت إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رمادا. (فهل من مدكر) متعظ خائف، وأصله مذتكر مفتعل من الذكر، فثقلت على الألسنة فقلبت التاء دالا

لتوافق الذال في الجهر وأدغمت الذال فيها. (فكيف كان عذابي ونذر) أي إنذاري،

-----  
(١) راجع ج ٩ ص ٣٠.

(٢) عوج بن عنق هو المشهور والذي صوبه صاحب القاموس هو ابن عوق لاعنق.

قال الفراء: الانذار والنذر مصدران. وقيل: (نذر) جمع نذير ونذير بمعنى الانذار كنكير بمعنى الانكار. (ولقد ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه،

فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر [مأخوذ (١) من يسر

ناقته للسفر: إذا رحلها، ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه، قال:

وقمت إليه باللجام ميسرا \* هنالك يجزيني الذي كنت أصنع

وقال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن، وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل، ولم يكونوا يقرءون التوراة إلا نظراً، غير موسى وهرون ويوشع

ابن نون وعزير صلوات الله عليهم، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن

ظهر قلبه حين أحرقته، على ما تقدم بيانه في سورة (براءة (٢)) فيسر الله تعالى على هذه الأمة

حفظ كتابه ليذكروا ما فيه، أي يفتعلوا الذكر، والافتعال هو أن ينجع فيهم ذلك حتى يصير

كالذات وكالتركيب. فيهم. (فهل من مدكر) قارئ يقرؤه. وقال أبو بكر الوراق وابن شوذب: فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه، وكرر في هذه السورة للتنبيه والافهام.

وقيل: إن الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الأمة أنباء الأمم وقصص المرسلين، وما عاملتهم به الأمم، وما كان من عقبى أمورهم وأمور المرسلين (٣)، فكان في كل قصة ونبأ ذكر

للمستمع أن لو اذكر، وإنما كرر هذه الآية عند ذكر كل قصة بقوله: (فهل من مدكر) لان (هل) كلمة استفهام تستدعي أفهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم،

فاللام من (هل) للاستعراض (٤) والهاء للاستخراج.

قوله تعالى: كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر (١٨) انا أرسلنا

عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر (١٩) تنزع الناس كأنهم

أعجاز نخل منقعر (٢٠) فكيف كان عذابي ونذر (٢١) ولقد يسرنا

القرآن للذكر فهل من مدكر (٢٢)

(١) الزيادة من حاشية الجمل عن القرطبي.

(٢) راجع ج ٨ ص ١١٧.

(٣) في ط، ل: المسلمین، وما أثبتناه في اوب و ج وه.  
(٤) في ى: (للاستغراق).



قوله تعالى: (كذبت عاد) هم قوم هود. (فكيف كان عذابي ونذر) وقعت  
(نذر) في هذه السورة في ستة أما كن محذوفة الياء في جميع المصاحف، وقرأها  
يعقوب

مثبته في الحاليين، وورش في الوصل لا غير، وحذف الباقون. ولا خلاف في حذف  
الياء من قوله: (فما تغن النذر) والواو من قوله: (يدع) فأما الياء من (الداغ)  
الأول فأثبتها في الحاليين ابن محيصة ويعقوب وحميد والبزي، وأثبتها ورش وأبو عمرو  
في الوصل، وحذفها الباقون. وأما (الداغ) الثانية فأثبتها يعقوب وابن محيصة  
وابن كثير في الحاليين، وأثبتها أبو عمرو ونافع في الوصل، وحذفها الباقون. (انا أرسلنا  
عليهم ريحا صرصرا) أي شديدة البرد، قاله قتادة والضحاك. وقيل: شديدة الصوت.  
وقد مضى في (حم السجدة (١)). (في يوم نحس مستمر) أي في يوم كان مشؤوما  
عليهم.

وقال ابن عباس: أي في يوم كانوا يتشاءمون به. الزجاج: قيل في يوم أربعاء. ابن  
عباس:

كان آخر أربعاء في الشهر أفنى صغيرهم وكبيرهم. وقرأ هارون الأعور (نحس) بكسر  
الحاء

وقد مضى القول فيه في حم السجدة (في أيام نحسات). و (في يوم نحس مستمر)  
أي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه، واستمر عليهم فيه العذاب إلى الهلاك. وقيل:  
استمر بهم

إلى نار جهنم. وقال الضحاك: كان مرا عليهم. وكذا حكى الكسائي أن قوما قالوا هو  
من

المرارة، يقال: مر الشيء وأمر أي كان كالشيء المر تكرهه النفوس. وقد قال: (فذوقوا)  
والذي يذاق قد يكون مرا. وقد قيل: هو من المرة بمعنى القوة. أي في يوم نحس  
مستمر

مستحکم الشؤم كالشيء المحكم القتل الذي لا يطاق نقضه. فإن قيل: فإذا كان يوم  
الأربعاء

يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعاء؟ وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم  
استجيب

له فيه فيما بين الظهر والعصر. وقد مضى في (البقرة (٢)) حديث جابر بذلك.  
فالجواب - والله

أعلم - ما جاء في خبر يرويه مسروق عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أتاني  
جبريل

فقال إن الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد وقال يوم الأربعاء يوم نحس مستمر)

-----  
(١) راجع ج ١٥ ص ٣٤٧.

(٢) راجع ج ٢ ص ٣١٣.

ومعلوم أنه لم يرد بذلك أنه نحس على الصالحين (١)، بل أراد أنه نحس على الفجار والمفسدين، كما كانت الأيام النحسات المذكورة في القرآن، نحسات على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم والمؤمنين به منهم، وإذا كان كذلك لم يبعد أن يمهل الظالم من أول يوم الأربعاء إلى أن تزول الشمس، فإذا أدبر النهار ولم يحدث رجعة استجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحسا على الظالم، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان على الكفار، وقول جابر في حديثه (لم ينزل بي أمر غليظ) إشارة إلى هذا. والله أعلم.

قوله تعالى: (تنزع الناس) في موضع الصفة للريح أي تقلعهم من مواضعهم. قيل: قلعتهم من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها. وقال مجاهد: كانت تقلعهم من الأرض، فترمي بهم على رؤوسهم فتندق أعناقهم وتبين رؤوسهم عن أجسادهم. وقيل: تنزع الناس من البيوت. وقال محمد بن كعب عن أبيه قال النبي صلى الله عليه وسلم: (انتزعت

الريح الناس من قبورهم). وقيل: حفروا حفرا ودخلوها فكانت الريح تنزعهم منها وتكسرهم، وتبقى تلك الحفر كأنها أصول نخل [قد (٢)] هلك ما كان فيها فتبقى مواضعها منقعة.

يروى أن سبعة منهم حفروا حفرا وقاموا فيها ليردوا الريح. قال ابن إسحاق: لما هاجت الريح قام نفر سبعة من عاد سمي لنا منهم ستة من أشد عاد وأجسمها منهم عمرو بن الحلبي والحرث بن شداد والهلقام وابنا تقن وخلجان بن سعد فأولجوا العيال في شعب بين جبلين، ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عمن في الشعب من العيال، فجعلت الريح تجعفهم (٣)

رجلا رجلا، فقالت امرأة من عاد: ذهب الدهر بعمر بن \* حلي والهنيات ثم بالحرث والهلقام \* طلاع الثنيات والذي سد مهب \* الريح أيام البليات

- 
- (١) في ى: (المصلحين).
  - (٢) زيادة من ى.
  - (٣) جعفه: صرعه وضرب به الأرض.

الطبري: في الكلام حذف، والمعنى تنزع الناس فتتركهم كأنهم أعجاز نخل منقعر، فالكاف في موضع نصب بالمحذوف. الزجاج: الكاف في موضع نصب على الحال، والمعنى

تنزع الناس مشبهين بأعجاز نخل. والتشبيه قيل إنه للحفر التي كانوا فيها. والأعجاز جمع عجز

وهو مؤخر الشيء، وكانت عاد موصوفين بطول القامة، فشبهاوا بالنخل انكبت لوجوهها.

وقال: (أعجاز نخل منقعر) للفظ النخل وهو من الجمع الذي يذكر ويؤنث. والمنقعر: المنقلع

من أصله، قعرت الشجرة قعرا قلعتها من أصلها فانقعرت. الكسائي: قعرت البئر أي نزلت

حتى انتهت إلى قعرها، وكذلك الاناء إذا شربت ما فيه حتى انتهت إلى قعره. وأقعرت البئر جعلت لها قعرا. وقال أبو بكر بن الأنباري: سئل المبرد بحضرة إسماعيل القاضي

عن ألف مسألة هذه من جملتها، فقيل له: ما الفرق بين قوله تعالى: (ولسليمان الريح عاصفة (١))

و (جاءتها ريح (٢) عاصف)، وقوله: (كأنهم أعجاز نخل خاوية (٣)) و (أعجاز نخل منقعر)؟

فقال: كلما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيرا، أو إلى المعنى تأنيثا.

وقيل: إن النخل والنخيل بمعنى يذكر ويؤنث كما ذكرنا. (فكيف كان عذابي ونذر. ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) [تقدم (٤)].

قوله تعالى: كذبت ثمود بالنذر (٢٣) فقالوا أبشرا منا واحدا

نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر (٢٤) أألقي الذكر عليه من بيننا بل

هو كذاب أشر (٢٥) سيعلمون غدا من الكذاب الأشر (٢٦)

قوله تعالى: (كذبت ثمود بالنذر) هم قوم صالح كذبوا الرسل ونيهم، أو كذبوا

بالآيات التي هي النذر (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه) وندع جماعة. وقرأ أبو الأشهب

وابن السميعة وأبو السمال العدوي (أبشر) بالرفع (واحد) كذلك رفع بالابتداء والخبر

(نتبعه). الباقون بالنصب على معنى أنتبع بشرا منا واحدا نتبعه. وقرأ أبو السمال (٥):

(١) راجع ج ١١ ص ٣٢١.

(٢) راجع ج ٨ ص ٣٢٥.

(٣) راجع ج ١٨ ص ٢٦١.

(٤) من ب، ى.  
(٥) هذه رواية أخرى عن أبي السمال كما في (روح المعاني) وغيره وفي ب، ز، ول  
(أبو السماك) بالكاف وليس بصحيح.

(أبشر) بالرفع (منا واحدا) بالنصب، رفع (أبشر) بإضمار فعل يدل عليه (أؤلقي) كأنه قال: أينبأ بشر منا، وقوله: (واحدا) يجوز أن يكون حالا من المضمرة في (منا) والناصب له الظرف، والتقدير أينبأ بشر كائن منا منفردا، ويجوز أن يكون حالا من الضمير

في (نتبعه) منفردا لا ناصر له. (انا إذا لفي ضلال) أي ذهاب عن الصواب (وسعر) أي جنون، من قولهم: ناقة مسعورة، أي كأنها من شدة نشاطها مجنونة، ذكره ابن عباس.

قال الشاعر يصف ناقته:

تخال بها سعرا إذا السفر هزها \* ذميل وإيقاع من السير متعب  
[الذميل (١) ضرب من سير الإبل. قال أبو عبيد: إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد،

فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل، ثم الرسيم، يقال: ذمل يذمل ويذمل ذميلا. قال الأصمعي:

ولا يذمل بعير يوما وليلة إلا مهري قاله ج. وقال ابن عباس أيضا: السعر العذاب، وقاله الفراء. مجاهد: بعد الحق. السدي: في احتراق. قال (٢):  
أصحوت اليوم أم شافتك هر \* ومن الحب جنون مستعر  
أي متقد ومحترق. أبو عبيدة: هو جمع سعيير وهو لهيب النار. والبعير (٣) المجنون يذهب

كذا وكذا لما يتلهب به من الحدة. ومعنى الآية: إنا إذا لفي شقاء وعناء مما يلزمنا. قوله تعالى: (أؤلقي الذكر عليه من بيننا) أي خصص بالرسالة من بين آل ثمود وفيهم من هو أكثر مالا وأحسن حالا؟! وهو استفهام معناه الإنكار. (بل هو كذاب أشر) أي ليس كما يدعيه، وإنما يريد أن يتعاضم ويلتمس التكبر علينا من غير استحقاق. والأشر

المرح والتجبر والنشاط. يقال: فرس أشر إذا كان مرحا نشيطا، قال امرؤ القيس يصف كلبا:

فيدر كنا فغم داجن \* سميع بصير طلبوب نكر (٤)  
ألص (٥) الضروس حني الضلوع \* تبوع أريب نشيط أشر

(١) زيادة من ب، ه.

(٢) هو طرفة.

(٣) في ا، ز، ل: السعيير.

(٤) الفغم: المولع بالصيد الحريص عليه. داجن: ألوف للصيد. وفكر أي منكر عالم. وقيل نكر أي كره الصورة.

(٥) الألف الذي التصقت أسنانه بعضها إلى بعض.

(١٣٨)



وقيل: (أشر) بطر. والأشر البطر، قال الشاعر:  
أشترتم بلبس الخبز لما لبستم\* ومن قبل ما تدرون من فتح القرى  
وقد أشر بالكسر يَأْشُرُ أَشْرًا فهو أَشْرٌ وَأَشْرَانٌ، وقوم أَشَارِيٌّ مثل سكران وسكاري،  
قال الشاعر (١):

وخلت وعولا أَشَارِيٌّ بها\* وقد أزْهَفَ الطعن أَبْطالها  
وقيل: إنه المتعدي إلى منزلة لا يستحقها، والمعنى واحد. وقال ابن زيد وعبد الرحمن  
ابن حماد: الأشر الذي لا يبالي ما قال. وقرأ أبو جعفر وأبو قلابة (أشر) بفتح الشين  
وتشديد الراء يعني به أَشْرْنَا وَأَحْبَشْنَا. (سيعلمون غدا) أي سيرون العذاب يوم القيامة،  
أو في حال نزول العذاب بهم في الدنيا. وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء على أنه من قول  
صالح

لهم على الخطاب. الباؤون بالياء إخبار من الله تعالى لصالح عنهم. وقوله: (غدا) على  
التقريب

على عادة الناس في قولهم للعواقب: إن مع اليوم غدا، قال:  
للموت فيها سهام غير مخطئة\* من لم يكن ميتا في اليوم مات غدا  
وقال الطرماح:

ألا عدلاني قبل نوح النوائح\* وقبل اضطراب النفس بين الجوانح  
وقبل غدا يا لهف نفسي على غد\* إذا راح أصحابي ولست برائح  
وإنما أراد وقت الموت ولم يرد غدا بعينه. (من الكذاب الأشر) وقرأ أبو قلابة  
(الأشر) بفتح الشين وتشديد الراء جاء به على الأصل. قال أبو حاتم: لا تكاد العرب  
تتكلم بالأشر والأخير إلا في ضرورة الشعر، كقول رؤبة:  
\* بلال خير الناس وابن الأخير\*

(١) هي مية بنت ضرار الضبي ترثي أخاها. وأزْهَفَ الطعن أَبْطالها أي صرعها. وقبل البيت:  
تراه على الخيل ذا قدمة\* إذا سربل الدم أكفالها

وإنما يقولون هو خير قومه، وهو شر الناس، قال الله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس (١))

وقال: (فسيعلمون من هو شر مكانا (٢)). وعن أبي حياة بفتح الشين وتخفيف الراء. وعن مجاهد وسعيد بن جبير ضم الشين والراء والتخفيف، قال النحاس: وهو معنى (الأشر)

ومثله رجل حذر وحذر.

قوله تعالى: انا مرسلوا الناقة فتنه لهم فارتقبهم واصطبر (٢٧)

ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب مختصر (٢٨) فنادوا صاحبهم

فتعاطى فعقر (٢٩) فكيف كان عذابي ونذر (٣٠) انا أرسلنا عليهم

صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر (٣١) ولقد يسرنا القرآن

للمذكر فهل من مدكر (٣٢)

قوله تعالى: (انا مرسلوا الناقة) أي منخرجوها من الهضبة التي سألوها، فروي أن صالحا صلى ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التي عينوها عن سنامها، فخرجت ناقة عشراء [وبراء (٣)].

(فتنة لهم) أي اختبارا وهو مفعول له. (فارتقبهم) أي انتظر ما يصنعون. (واصطبر)

أي اصبر على أذاهم، وأصل الطاء في اصطبر تاء فتحولت طاء لتكون موافقة للصاد

في الاطباق. (ونبئهم): أي أخبرهم (أن الماء قسمة بينهم) أي بين آل ثمود

وبين الناقة، لها يوم ولهم يوم، كما قال تعالى: (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم

((٤)).

قال ابن عباس: كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئا من الماء وتسقيهم لبنا وكانوا في نعيم،

وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم تبق لهم شيئا. وإنما قال: (بينهم) لان

العرب إذا أخبروا عن بني آدم مع البهائم غلبوا بني آدم. وروى أبو الزبير عن جابر قال:

لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك، قال: (أيها الناس لا

تسألوا

في هذه الآيات هؤلاء قوم صالح سألوها نبيهم أن يبعث الله لهم ناقة فبعث الله عز وجل

(١) راجع ج ٤ ص ١٧٠.

(٢) راجع ج ١١ ص ١٤٤.

(٣) في الأصول جرداء والذي في قصص الأنبياء للثعلبي وغيره من كتب التفسير (وبراء) فلذا أثبتناه.

(٤) راجع ج ١٣ ص ١٢٧.

إليهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون منها مثل الذي

كانوا يشربون يوم غبها) وهو معنى قوله تعالى: (ونبتهم أن الماء قسمة بينهم).  
(كل شرب مختضر) الشرب - بالكسر - الحظ من الماء، وفي المثل: (آخرها أقلها شرباً)

وأصله في سقي الإبل، لان آخرها يرد وقد نزل الحوض. ومعنى (مختضر) أي يحضره من هو له، فالناقة تحضر الماء يوم وردها، وتغيب عنهم يوم وردهم، قاله مقاتل. وقال مجاهد: إن ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون، ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون.

قوله تعالى: (فنادوا صاحبهم) يعني بالحض على عقرها (فعقر) ها ومعنى تعاطى تناول الفعل، من قولهم: عطوت أي تناولت، ومنه قول حسان: كلتاها حلب العصير فعاطني \* بزجاجة أرخاهما للمفصل قال محمد بن إسحاق: فكمن لها في أصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة

ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها، فخرت ورغت رغاء واحدة تحدر سقبها

من بطنها ثم نحرها، وانطلق سقبها حتى أتى صحرة في رأس جبل فرغا ثم لاذ بها، فأتاهم صالح

عليه السلام، فلما رأى الناقة قد عقرت بكى وقال: قد انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب

الله. وقد مضى في (الأعراف (١)) بيان هذا المعنى. قال ابن عباس: وكان الذي عقرها أحمر

أزرق أشقر أكشف ألقى. ويقال في اسمه قدار بن سالف. وقال الأفوه الأودي:

أو قبله (٢) كقدار حين تابعه \* على الغواية أقوام فقد بادوا

والعرب تسمى الحزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشئوم آل ثمود، قال مهلهل:

إنا لنضرب بالسيوف رؤوسهم \* ضرب القدار نقيعة القدام (٣)

(١) راجع ج ٧ ص ٢٤١.

(٢) الذي في شعراء النصرانية: (أو بعده).

(٣) القدار: الحزار. والنقيعة: ما ينحر للضيافة. والقدام: القادمون من سفر جمع قادم. وقيل: القدام

الملك. ويروى: \* أنا لنضرب بالصوارم هامهم \*

وذكره زهير فقال:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم \* كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم (١)

يريد الحرب، فكنى عن ثمود بعاد.

قوله تعالى: (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) يريد صيحة جبريل عليه السلام، وقد مضى في (هود (٢)). (فكانوا كهشيم المحتظر) وقرأ الحسن وقتادة وأبو العالية (المحتظر)

بفتح الظاء أرادوا الحظيرة. الباقون بالكسر أرادوا صاحب الحظيرة. وفي الصحاح: والمحتظر

الذي يعمل الحظيرة. وقرئ (كهشيم المحتظر) فمن كسره جعله الفاعل ومن فتحة جعله

المفعول به. ويقال للرجل القليل الخير: إنه لنكد الحظيرة. قال أبو عبيد: أراه سمي أمواله حظيرة لأنه حظرها عنده ومنعها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة. المهدوي: من فتح الظاء من (المحتظر) فهو مصدر، والمعنى كهشيم الاحتظار. ويجوز أن يكون (المحتظر) هو

الشجر المتخذ منه الحظيرة. قال ابن عباس: (المحتظر) هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك، فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم. قال: أثن عجاجة كدخان نار \* تشب بغرقد بال هشيم وعنه: كحشيش تأكله الغنم. وعنه أيضا: كالعظام النخرة المحترقة، وهو قول قتادة. وقال

سعيد بن جبير: هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح. وقال سفيان الثوري: هو ما تناثر من الحظيرة إذا ضربتها بالعصا، وهو فعيل بمعنى مفعول. وقال ابن زيد: العرب تسمي كل شئ كان رطبا فيس هشيمًا. والحظر المنع، والمحتظر المفتعل يقال منه: احتظر

على إبله وحظر أي جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض ليمنع برد الريح والسباع عن إبله،

قال الشاعر:

ترى جيف المطي بجانيه \* كأن عظامها خشب الهشيم

(١) تنتج لكم يعني الحرب. (غلمان أشأم) في معنى غلمان شؤم أو كلهم في الشؤم كأحمر عاد. (ثم ترضع فتفطم) يريد أنه يتم أمر الحرب، كالمراة إذا أرضعت ثم فطمت فقد تمت.

(٢) راجع ج ٩ ص ٦١.

وعن ابن عباس: أنهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم، فالمحتظر على هذا الذي يتخذ حظيرة على زرعه، والهشيم فتات السنبله والتبن. (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قوله تعالى: كذبت قوم لوط بالنذر (٣٣) انا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر (٣٤) نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر (٣٥) ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر (٣٦) ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر (٣٧) ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر (٣٨) فذوقوا عذابي ونذر (٣٩) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (٤٠) قوله تعالى: (كذبت قوم لوط بالنذر) أخبر عن قوم لوط أيضا لما كذبوا لوطا. (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أي ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى، قال النضر: الحاصب

الرياح في الريح. وقال أبو عبيدة: الحاصب الحجاره. وفي الصحاح: والحاصب

الشديدة التي تثير الحصباء وكذلك الحصبة، قال لبيد: جرت عليها أن خوت من أهلها \* أذيالها كل عصوف حصبه عصفت الريح أي اشتدت فهي ریح عاصف وعصوف. وقال الفرزدق: مستقبلين شمال الشام تضربنا \* بحاصب كنديف القطن منشور (الا آل لوط) يعني من تبعه على دينه ولم يكن إلا بنتاه (نجيناهم بسحر) قال الأخفش: إنما أجراه لأنه نكرة، ولو أراد سحر يوم بعينه لما أجراه، ونظيره: (اهبطوا مصرا (١)) لما نكره،

فلما عرفه في قوله: (ادخلوا مصر إن شاء (٢) الله) لم يجره، وكذا قال الزجاج: (سحر)

إذا كان نكرة يراد به سحر من الأسحار يصرف، تقول أتيتته سحرا، فإذا أردت سحر يومك

(١) راجع ج ١ ص ٤٢٩.

(٢) راجع ج ٩ ص ٢٦٣.

لم تصرفه، تقول: أتيته سحر يا هذا، وأتيته بسحر. والسحر: هو ما بين آخر الليل وطلوع  
الفجر، وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض أول النهار، لان في هذا الوقت  
يكون مخاييل الليل ومخاييل النهار. (نعمة من عندنا) إنعاما منا على لوط وابنتيه، فهو  
نصب

لأنه مفعول به. (كذلك نجزي من شكر) أي من آمن بالله وأطاعه. (ولقد أنذرهم)  
يعني لوطا خوفهم (بطشتنا) عقوبتنا وأخذنا إياهم بالعذاب (فتماروا بالنذر)  
أي شكوا فيما أنذرهم به الرسول ولم يصدقوه، وهو تفاعل من المرية. (ولقد راودوه  
عن ضيفه) أي أرادوا منه تمكينهم ممن كان أتاه من الملائكة في هيئة الأضياف طلبا  
للفاحشة  
على ما تقدم (١). يقال: راودته على، كذا مراودة وروادا أي أردته. وراد الكالأ يروده  
رودا

وريادا، وارتاده ارتيادا بمعنى أي طلبه، وفي الحديث: (إذا بال أحدكم فليترد لبوله)  
أي يطلب مكانا لينا أو منحدرًا. (فطمسنا أعينهم) يروى أن جبريل عليه السلام  
ضربهم بجناحه فعموا. وقيل: صارت أعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق، كما  
تطمس

الريح الاعلام بما تسفي عليها من التراب. وقيل: لا، بل أعماهم الله مع صحة أبصارهم  
فلم يروهم. قال الضحاك: طمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: لقد  
رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا؟ فرجعوا ولم يروهم. (فذوقوا عذابي ونذر) أي  
فقلنا

لهم ذوقوا، والمراد من هذا الامر الخبر، أي فأذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط.  
(ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أي دائم عام استقر فيهم حتى يفضي بهم إلى  
عذاب

الآخرة. وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل أعلاها أسفلها. و (بكرة) هنا نكرة  
فلذلك صرفت. (فذوقوا عذابي ونذر) العذاب الذي نزل بهم من طمس الأعين غير  
العذاب

الذي أهلكوا به فلذلك حسن التكرير. (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) [تقدم  
(٢)]

قوله تعالى: ولقد جاء آل فرعون النذر (٤١) كذبوا بآياتنا كلها  
فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر (٤٢)



(١٤٤)

قوله تعالى: (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني القبط و (النذر) موسى وهرون. وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين. (كذبوا بآياتنا) معجزاتنا الدالة على توحيدنا ونبوة أنبيائنا، وهي العصا، واليد، والسنون، والطمسة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. وقيل: (النذر) الرسل، فقد جاءهم يوسف وبنوه إلى أن جاءهم موسى. وقيل: (النذر) الانذار. (فأخذناهم أخذ عزيز) أي غالب في انتقامه (مقتدر) أي قادر على ما أراد.

قوله تعالى: أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر (٤٣) أم يقولون نحن جميع منتصر (٤٤) سيهزم الجمع ويولون الدبر (٤٥) بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (٤٦) قوله تعالى: (أكفاركم خير من أولئكم) خاطب العرب. وقيل: أراد كفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: استفهام، وهو استفهام إنكار ومعناه النفي، أي ليس كفاركم

خييراً من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم. (أم لكم براءة في الزبر) أي في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة. وقال ابن عباس: أم لكم في اللوح المحفوظ براءة من العذاب. (أم يقولون نحن جميع منتصر) أي جماعة لا تطاق لكثرة عددهم وقوتهم، ولم يقل منتصرين اتباعاً لرؤوس الآي، فرد الله عليهم فقال: (سيهزم الجمع) أي جمع كفار مكة، وقد كان ذلك يوم بدر وغيره. وقراءة العامة (سيهزم) بالياء على ما لم يسم فاعله (الجمع) بالرفع. وقرأ رويس عن يعقوب (وسنهزم) بالنون وكسر الزاي (الجمع) نصبا. (ويولون الدبر) قراءة العامة بالياء على الخبر عنهم. وقرأ عيسى وابن إسحاق ورويس عن يعقوب (وتولون) بالتاء على الخطاب. و (الدبر) اسم جنس كالدرهم



والدينار فوحد والمراد الجمع لأجل رؤوس الآي. وقال مقاتل: ضرب أبو جهل فرسه يوم

بدر فتقدم من الصف وقال: نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه، فأنزل الله تعالى: (نحن جميع منتصر. سيهزم الجمع ويولون الدبر). وقال سعيد بن جبير قال سعد بن أبي وقاص:

لما نزل قوله تعالى: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) كنت لا أدري أي الجمع ينهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول: اللهم إن قريشا جاءتك

تحادك وتحاد رسولك بفخرها و [خيلائها (١)] فأخنهم الغداة - ثم قال - (سيهزم الجمع ويولون

الدبر) فعرفت تأويلها. وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عن غيب

فكان كما أخبر. أخنى عليه الدهر: أي أتى عليه وأهلكه، ومنه قول النابغة: \* أخنى عليه الذي أخنى على لبد \*

وأخنيت عليه: أفسدت. قال ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين، فالآية على هذا مكية. وفي البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:

لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وإني لجارية ألعب: (بل الساعة موعدهم والساعة

أدهى وأمر). وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر: (أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا) فأخذ أبو بكر رضي الله عنه

بيده وقال: حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع فخرج وهو يقول:

(سيهزم الجمع ويولون الدبر. بل الساعة موعدهم) يريد القيامة. (والساعة أدهى وأمر) أي أدهى وأمر مما لحقهم يوم بدر. و (أدهى) من الداهية وهي الامر العظيم، يقال: دهاه أمر كذا أي أصابه دها ودهيا. وقال ابن السكيت: دهته داهية دها ودهيا وهي توكيد لها.

(١) في الأصول: (نجيلها) وهو تحريف والتصويب من سيرة ابن هشام.

قوله تعالى: ان المجرمين في ضلال وسعر (٤٧) يوم يسحبون  
في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر (٤٨) انا كل شئ خلقناه  
بقدر (٤٩)

قوله تعالى: (ان المجرمين في ضلال وسعر) فيه أربع مسائل:  
الأولى - قوله تعالى: (ان المجرمين في ضلال وسعر) أي في حيدة عن الحق  
و (سعر) أي احتراق. وقيل: جنون على ما تقدم في هذا لسورة. (يوم يسحبون  
في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: جاء  
مشركو

قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت: (يوم يسحبون في  
النار  
على وجوههم ذوقوا مس سقر. إنا كل شئ خلقناه بقدر) خرجه الترمذي أيضا وقال:  
حديث

حسن صحيح. وروى مسلم عن طاوس قال: أدركت ناسا من أصحاب رسول الله  
صلى الله  
عليه وسلم يقولون: كل شئ بقدر. قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال النبي  
صلى الله  
عليه وسلم: (كل شئ بقدر حتى العجز والكيس - أو - الكيس والعجز وهذا إبطال  
لمذهب

القدرية. (ذوقوا) أي يقال لهم ذوقوا، ومسها ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها.  
و (سقر) اسم من أسماء جهنم لا ينصرف، لأنه اسم مؤنث معرفة، وكذا لظى وجهنم.  
وقال عطاء: (سقر) الطبقة السادسة من جهنم. وقال قطرب: (سقر) من سقرته  
الشمس وصقرته لوحته. ويوم مسمقر ومصمقر: شديد الحر.

الثانية - قوله تعالى: (انا كل شئ) قراءة العامة (كل) بالنصب. وقرأ  
أبو السمال (كل) بالرفع على الابتداء. ومن نصب فيأضمار فعل وهو اختيار الكوفيين،  
لان إن تطلب الفعل فهي به أولى، والنصب أدل على العموم في المخلوقات لله تعالى،  
لأنك

لو حذف (خلقناه) المفسر وأظهرت الأول لصار إنا خلقنا كل شئ بقدر. ولا يصح  
كون  
خلقناه صفة لشئ، لان الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف، ولا تكون تفسيرا لما يعمل  
فيما قبله.

الثالثة - الذي عليه أهل السنة أن الله سبحانه قدر الأشياء، أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجد على نحو ما سبق

في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته

وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو،

ولا خالق غيره، كما نص عليه القرآن والسنة، لا كما قالت القدرية وغيرهم من أن الأعمال إلينا

والآجال بيد غيرنا. قال أبو ذر رضي الله عنه: قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا، فنزلت هذه الآيات إلى قوله: (إنا كل شئ خلقناه بقدر) فقالوا: يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا؟ فقال: (أنتم خصماء الله يوم القيامة).

الرابعة - روى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله إن مرضوا فلا تعودهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم). خرج ابن ماجه في سننه. وخرج أيضا عن ابن عباس وجابر قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صنفان من أمتي

ليس لهم في الاسلام نصيب أهل الارحاء والقدر). وأسند النحاس: وحدثنا إبراهيم بن شريك الكوفي قال حدثنا عقبة بن مكرم الضبي قال حدثنا يونس بن بكير عن سعيد بن ميسرة

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (القدرية الذين يقولون الخير والشر بأيدينا ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا أنا منهم ولا هم مني) وفي صحيح مسلم أن ابن عمر

تبرأ منهم ولا يتبرأ إلا من كافر، ثم أكد هذا بقوله: والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن

لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. وهذا مثل قوله تعالى في المنافقين: (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله (١)) وهذا واضح.

وقال أبو هريرة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن).

-----

(١) راجع ج ٨ ص ١٦٣.

(١٤٨)

قوله تعالى: وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر (٥٠) ولقد أهلكنا  
أشياءكم فهل من مدكر (٥١) وكل شئ فعلوه في الزبر (٥٢)  
وكل صغير وكبير مستطر (٥٣) ان المتقين في جنات ونهر (٥٤)  
في مقعد صدق عند مليك مقتدر (٥٥)  
قوله تعالى: (وما أمرنا الا واحدة) أي إلا مرة واحدة. (كلمح بالبصر)  
أي قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. واللح النظر بالعجلة، يقال: لمح البرق  
ببصره.

وفي الصحاح: لمح وألمحه إذا أبصره بنظر خفيف، والاسم اللمحة، ولمح البرق  
والنجم لمحا  
أي لمح.

قوله تعالى: (لقد أهلكنا أشياعكم) أي أشباهكم في الكفر من الأمم الخالية. وقيل:  
أتباعكم وأعدائكم. (فهل من مدكر) أي من يتذكر.  
أي جميع ما فعلته الأمم قبلهم من خير  
أو شر كان مكتوبا عليهم، وهذا بيان قوله: (إنا كل شئ خلقناه بقدر). (في الزبر)  
أي في اللوح المحفوظ. وقيل: في كتب الحفظة. وقيل: في أم الكتاب. (وكل صغير  
وكبير مستطر) أي كل ذنب كبير وصغير مكتوب على عامله قبل أن يفعله (١) ليجازى  
به،

ومكتوب إذا فعله، سطر يسطر سطرا كتب، واستطر مثله.  
قوله تعالى: (ان المتقين في جنات ونهر) لما وصف الكفار وصف المؤمنين أيضا.  
(ونهر) يعني أنهار الماء والخمر والعسل واللبن، قاله ابن جريج. ووجد لأنه رأس الآية،  
ثم الواحد قد ينبئ عن الجميع. وقيل: في (نهر) في ضياء وسعة، ومنه النهار لضياؤه،  
ومنه

أنهت الجرح، قال الشاعر (٢):  
ملكته بها كفي فأنهت فتقها\* يرى قائم من دونها ما وراءها

(١) في ب، ح، س، هـ: (قبل أن يفعلوه ليجازوا ومكتوب إذا فعلوه).  
(٢) هو قيس بن الخطيم يصف طعنة. وملكته أي شددت وقويت.

وقرأ أبو مجلز وأبو نهيك والأعرج وطلحة بن مصرف وقتادة (ونهر) بضميتين كأنه جمع نهار لا ليل لهم، كسحاب وسحب. قال الفراء: أنشدني بعض العرب:  
إن تلك ليليا فإني نهر \* متى أرى الصبح فلا أنتظر  
أي صاحب النهار. وقال آخر:  
لولا الثريدان هلكننا بالضم \* ثريد ليل وثرید بالنهر  
(في مقعد صدق) أي مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة (عند ملك مقتدر) أي يقدر  
على ما يشاء. و (عند) هاهنا عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة.  
قال  
الصادق: مدح الله المكان الصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق. وقرأ عثمان البتي (في مقاعد  
صدق) بالجمع، والمقاعد مواضع قعود الناس في الأسواق وغيرها. قال عبد الله بن بريدة:  
إن أهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار تبارك وتعالى، فيقرءون القرآن على ربهم  
تبارك  
وتعالى، وقد جلس كل إنسان مجلسه الذي هو مجلسه، على منابر من الدر والياقوت  
والزبرجد  
والذهب والفضة بقدر أعمالهم، فلا تقرأ أعينهم بشيء قط كما تقرأ بذلك، ولم يسمعوا  
شيئا  
أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى منازلهم، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد. وقال  
ثور بن يزيد عن خالد بن معدان: بلغنا أن الملائكة يأتون المؤمنين يوم القيامة فيقولون:  
يا أولياء الله انطلقوا، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، فيقول المؤمنون: إنكم  
تذهبون بنا إلى غير بغيتنا. فيقولون: فما بغيتكم؟ فيقولون: مقعد صدق عند ملك  
مقتدر.  
وقد روي هذا الخبر على الخصوص بهذا المعنى، ففي الخبر: أن طائفة من العقلاء بالله  
عز وجل  
تزفها الملائكة إلى الجنة والناس في الحساب، فيقولون للملائكة: إلى أين تحملوننا؟  
فيقولون  
إلى الجنة. فيقولون: إنكم لتحملوننا إلى غير بغيتنا، فيقولون: وما بغيتكم؟ فيقولون:  
المقعد الصدق مع الحبيب كما أخبر (في مقعد صدق عند ملك مقتدر) والله أعلم.  
تم تفسير سورة (القمر) والحمد لله.

(100)

## سورة الرحمن [عز وجل (١)]

مكية كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس: إلا آية منها هي قوله تعالى: (يسأله من في السماوات والأرض) الآية. وهي ست وسبعون آية.

وقال ابن مسعود ومقاتل: هي مدنية كلها. والقول الأول أصح لما روى عروة بن الزبير قال:

أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود، وذلك أن الصحابة قالوا:

ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال ابن مسعود: أنا،

فقالوا: إنا نخشى عليك، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه، فأبى ثم قام عند المقام فقال:

(بسم الله الرحمن الرحيم. الرحمن. علم القرآن) ثم تمادى رافعا بها صوته وقريش في أنديتها،

فتأملوا وقالوا: ما يقول ابن أم عبد؟ قالوا: هو يقول الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه، ثم ضربوه حتى أثروا في وجهه. وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة،

فقرأ سورة (الرحمن) ومر النفر من الجن فآمنوا به. وفي الترمذي عن جابر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة (الرحمن) من أولها إلي آخرها

فسكتوا، فقال: (لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد)

قال: هذا حديث غريب. وفي هذا دليل على أنها مكية والله أعلم. وروي أن قيس بن عاصم المنقري قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أتلى علي مما أنزل عليك، فقرأ عليه سورة

(الرحمان) فقال: أعدها، فأعادها ثلاثا، فقال: والله إن له لطلاوة، وإن عليه لحلاوة، وأسفله لمغدق، وأعلاه مثمر، وما يقول هذا بشر، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. وروي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لكل

شئ عروس وعروس القرآن سورة الرحمن).



(١) في ز.

(١٥١)

بسم الله الرحمن الرحيم  
الرحمان (١) علم القرآن (٢) خلق الانسان (٣) علمه  
البيان (٤) الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦)  
والسمااء رفعها ووضع الميزان (٧) ألا تطغوا في الميزان (٨)  
وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩) والأرض وضعها  
للأنام (١٠) فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام (١١) والحب  
ذو العصف والريحان (١٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٣)  
قوله تعالى: (الرحمان. علم القرآن) قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي: (الرحمن)  
فاتحة ثلاث سور إذا جمعن كن اسما من أسماء الله تعالى (الر) و (حم) و (ن) فيكون  
مجموع هذه (الرحمن). (علم القرآن) أي علمه نبيه صلى الله عليه وسلم حتى أداه إلى  
جميع  
الناس. وأنزلت حين قالوا: وما الرحمن؟ وقيل: نزلت جوابا لأهل مكة حين قالوا: إنما  
يعلمه بشر وهو رحمان اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله تعالى: (الرحمان).  
علم القرآن).  
وقال الزجاج: معنى (علم القرآن) أي سهله لان يذكر ويقرأ كما قال: (ولقد يسرنا  
القرآن  
للذكر). وقيل: جعله علامة لما تعبد الناس به. (خلق الانسان) قال ابن عباس  
وقتادة والحسن يعني آدم عليه السلام. (علمه البيان) أسماء كل شئ. وقيل: علمه  
اللغات  
كلها. وعن ابن عباس أيضا وابن كيسان: الانسان هاهنا يراد به محمد صلى الله عليه  
وسلم،  
والبيان بيان الحلال من الحرام، والهدى من الضلال. وقيل: ما كان وما يكون، لأنه  
بين عن الأولين والآخرين ويوم الدين. وقال الضحاك: (البيان) الخير والشر. وقال  
الربيع بن أنس: هو ما ينفعه وما يضره، وقاله قتادة. وقيل: (الانسان) يراد به جميع  
الناس فهو اسم للجنس و (البيان) على هذا الكلام والفهم، وهو مما فضل به الانسان  
على

سائر الحيوان. وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به. وقال يمان: الكتابة

والخط بالقلم. نظيره: (علم بالقلم. علم الانسان ما (١) لم يعلم). (الشمس والقمر بحسبان)

أي يجريان بحساب معلوم فأضمر الخبر. قال ابن عباس وقتادة وأبو مالك: أي يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها. وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني أن بهما

تحسب الأوقات والآجال الأعمار، ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف

يحسب شيئاً لو كان الدهر كله أو نهاراً. وقال السدي: (بحسبان) تقدير آجالهما أي تجري بآجال كآجال الناس، فإذا جاء أجلهما هلكا، نظيره: (كل يجري لأجل مسمى ((٢)).

وقال الضحاك: بقدر. مجاهد: (بحسبان) كحسبان الرحي يعني قطبها يدوران في مثل القطب. والحسبان قد يكون مصدر حسبته أحسبته بالضم حسبا وحسباناً، مثل الغفران والكفران والرجحان، وحسابة أيضا أي عدده. وقال الأخفش: ويكون جماعة الحساب

مثل شهاب وشهبان. والحسبان أيضا بالضم العذاب والسهام القصار، وقد مضى في (الكهف (٣)) الواحدة حسبانة، والحسبانة أيضا الوسادة الصغيرة، تقول منه: حسبته إذا وسدته، قال (٤):

\*... لثويت غير محسب \*

أي غير موسد يعني غير مكرم ولا مكفن (والنجم والشجر يسجدان) قال ابن عباس وغيره: النجم مالا ساق له والشجر ماله ساق، وأنشد ابن عباس قول صفوان بن أسد التميمي:

لقد أنجم القاع الكبير عضاهه \* وتم به حيا تميم ووائل

وقال زهير بن أبي سلمى:

مكلل بأصول النجم تنسجه \* ريح الجنوب لضاحي مائه حبك

(١) راجع ج ٢٠ ص ١٢٠.

(٢) راجع ج ٩ ص ٢٧٩.

(٣) راجع ج ١٠ ص ٤٠٨.

(٤) هو نهيك الفزاري يخاطب عامر بن الطفيل، والبيت بتمامه:

لتقيت بالوجعاء طعنة مرهف \* مران أو لثويت غير محسب

الوجعاء الاست. يقول: لو طعنك لوليتني دبرك واتقيت طعنتي بوجعائك، ولثويت هالكا غير مكرم.



واشتقاق النجم من نجم الشيء ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع، وسجودهما بسجود ظلا لهما (١)،

قاله الضحاك. وقال الفراء: سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا طلعت ثم يميلان معها

حتى ينكسر الفئ. وقال الزجاج: سجودهما دوران الظل معهما، كما قال تعالى: (يتفياً ظلاله (٢)). وقال الحسن ومجاهد: النجم نجم السماء، وسجوده في قول مجاهد دوران ظله، وهو

اختيار الطبري، حكاه المهدوي. وقيل: سجود النجم أفوله، وسجود الشجر إمكان الاجتناء

لثمرها، حكاه الماوردي. وقيل: إن جميع ذلك مسخر لله، فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم

من الصابئين النجوم، وعبد كثير من العجم الشجر. والسجود الخضوع، والمعني به آثار الحدوث، حكاه القشيري. النحاس: أصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل، فهو من الموات كلها استسلامها لأمر الله عز وجل وانقيادها له، ومن الحيوان كذلك

ويكون من سجود الصلاة، وأنشد محمد بن يزيد في النجم بمعنى النجوم قال (٣):  
فباتت تعد النجم في مستحيرة \* سريع بأيدي الآكلين جمودها

(والسماء رفعها) وقرأ أبو السمال (والسماء) بالرفع على الابتداء واختار ذلك لما عطف على الجملة التي هي: (والنجم والشجر يسجدان) فجعل المعطوف مركبا من مبتدأ وخبر

كالمعطوف عليه. الباقون بالنصب على إضمار فعل يدل عليه ما بعده. (ووضع الميزان) أي العدل، عن مجاهد وقتادة والسدي، أي وضع في الأرض العدل الذي أمر به، يقال: وضع

الله الشريعة. ووضع فلان كذا أي ألقاه، وقيل: على هذا الميزان القرآن، لان فيه بيان ما يحتاج إليه وهو قول الحسين بن الفضل. وقال الحسن وقتادة - أيضا - والضحاك: هو الميزان ذو اللسان الذي يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض، وهو خبر بمعنى الامر

بالعدل، يدل عليه قوله تعالى: (وأقيموا الوزن بالقسط) والقسط العدل. وقيل: هو الحكم. وقيل: أراد وضع الميزان في الآخرة لوزن الأعمال. وأصل ميزان موزان وقد مضى

في (الأعراف (٤)) القول فيه. (ألا تطغوا في الميزان) موضع (أن) يجوز أن يكون نصبا

- (١) في ب، ح، س، هـ: (وسجودهما سجود..).
- (٢) راجع ج ١٠ ص ١١١.
- (٣) قائله الراعي.
- (٤) راجع ج ٧ ص ١٦٦.

على تقدير حذف حرف الجر كأنه قال: لئلا تطغوا، كقوله تعالى: (يبين الله لكم أن تضلوا (١)). ويجوز ألا يكون ل (أن) موضع من الاعراب فتكون بمعنى أي و (تطغوا)

على هذا التقدير مجزوما، كقوله تعالى: (وانطلق الملا منهم أن (٢) امشوا) [أي امشوا (٣)].

والطغيان مجاوزة الحد. فمن قال: الميزان العدل قال طغيانه الجور. ومن قال: إنه الميزان

الذي يوزن به قال طغيانه البخس. قال ابن عباس: أي لا تخونوا من وزنتم له. وعنه أنه قال: يا معشر الموالي! وليتم أمرين بهما هلك الناس: المكيال والميزان. ومن قال إنه الحكم قال: طغيانه التحريف. وقيل: فيه إضمار، أي وضع الميزان وأمركم ألا تطغوا فيه. (وأقيموا الوزن بالقسط) أي افعلوه مستقيما بالعدل. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل. وقال ابن (٤) عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب. وقال مجاهد: القسط العدل بالرومية. وقيل: هو كقولك أقام الصلاة أي أتى بها في وقتها، وأقام الناس أسواقهم أي أتوها لوقتها. أي لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل. (ولا تحسروا الميزان) ولا تنقصوا الميزان ولا تبخسوا الكيل والوزن،

وهذا كقوله: (ولا تنقصوا المكيال والميزان (٥)). وقال قتادة في هذه الآية: اعدل يا بن آدم كما تحب أن يعدل لك، وأوف كما تحب أن يوفى لك، فإن العدل صلاح الناس.

وقيل: المعنى ولا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم. وكرر الميزان

لحال رؤوس الآي. وقيل: التكرير للامر بإيفاء الوزن ورعاية العدل فيه. وقراءة العامة (تخسروا) بضم التاء وكسر السين. وقرأ بلال بن أبي بردة وأبان عن عثمان (تخسروا) بفتح التاء والسين وهما لغتان، يقال: أخسرت الميزان وخسرت كأجبرته وجبرته. وقيل: (تخسروا) بفتح التاء والسين محمول على تقدير حذف حرف الجر، والمعنى ولا تخسروا

في الميزان. (والأرض وضعها للأنام) الأنام الناس، عن ابن عباس. الحسن: الجن والإنس

. الضحاك: كل ما دب على وجه الأرض، وهذا عام. (فيها فاكهة) أي كل

(١) راجع ج ٦ ص ٢٩.

(٢) راجع ج ١٥ ص ١٥١.

(٣) الزيادة من ب، ح، س، هـ.

(٤) في حاشية الجمل نقلا عن القرطبي (أبو عبيدة) بدل ابن عيينة.  
(٥) راجع ج ٩ ص ٨٥.



ما يتفكه به الانسان من ألوان الثمار. (والنخل ذات الا كمام) الا كمام جمع كم بالكسر.

قال الجوهري: والكمة بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام وأكمة وأكمام

والأكمام أيضا. وكم الفصيل إذا أشفق عليه فستر حتى يقوى، قال العجاج:  
بل لو شهدت الناس إذ تكموا \* بجمة لو لم تفرج غموا  
وتكموا أي أغمي عليهم وغطوا. وأكمت [النخلة (١)] وكممت أي أخرجت أكمامها. والكمام

بالكسر والكمامة أيضا ما يكم به فم البعير لثلا يعض، تقول منه: بعير مكوم أي محجوم.

وكممت الشيء غطيته. والكم ما ستر شيئا وغطاه، ومنه كم القميص بالضم والجمع أكمام

وكممة، مثل حب وحبية. والكمة القلنسوة المدورة، لأنها تغطي الرأس. قال:  
فقلت لهم كيلو بكمة بعضكم \* دراهمكم إني كذلك أكيل  
قال الحسن: (ذات الأكمام) أي ذات الليف فإن النخلة قد تكم بالليف، وكمامها ليفها

الذي في أعناقها. ابن زيد: ذات الطلع قبل أن يتفتق. وقال عكرمة: ذات الأحمال. (والحب ذو العصف والريحان) الحب الحنطة والشعير ونحوهما، والعصف التبن، عن الحسن

وغيره. مجاهد: ورق الشجر والزرع. ابن عباس: تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الرياح. سعيد بن جبير: بقل الزرع أي أول ما ينبت منه، وقاله الفراء. والعرب تقول:  
خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه قبل أن يدرك. وكذا في الصحاح: وعصفت الزرع أي جززته قبل أن يدرك. وعن ابن عباس أيضا: العصف ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه وييس، نظيره: (فجعلهم كعصف (٢) مأكول). الجوهري، وقد أعصف الزرع، ومكان معصف أي كثير الزرع. قال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري:  
إذا جمادى منعت قطرها \* زان جنابي عطن معصف

(١) الزيادة من الصحاح للجوهري.

(٢) راجع ج ٢٠ ص.

والعصف أيضا الكسب، ومنه قول الراجز (١):  
\* بغير ما عصف ولا اصطراف \*

وكذلك الاعتصاف. والعصيفة الورق المجتمع الذي يكون فيه السنبل. وقال الهروي:  
والعصف والعصيفة ورق السنبل. وحكى الثعلبي: وقال ابن السكيت تقول العرب لورق  
الزرع العصف والعصيفة والجل بكسر الجيم. قال علقمة بن عبدة:  
تسقي مذائب قد مالت عصيفتها \* حدورها من أتى الماء مطموم  
وفي الصحاح: والجل بالكسر قصب الزرع إذا حصد. والريحان الرزق، عن ابن عباس  
ومجاهد. الضحاك: هي لغة حمير. وعن ابن عباس أيضا والضحاك وقتادة: أنه الريحان  
الذي يشم، وقاله ابن زيد. وعن ابن عباس أيضا: أنه خضرة الزرع. وقال سعيد  
ابن جبير: هو ما قام على ساق. وقال الفراء: العصف المأكول من الزرع، والريحان  
ما لا يؤكل. وقال الكلبي: إن العصف الورق الذي لا يؤكل، والريحان هو الحب  
المأكول.

وقيل: الريحان كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا، لان الانسان يراح لها رائحة طيبة.  
أي يشم فهو فعلاان روحان من الرائحة، وأصل الياء في الكلمة واو قلب ياء للفرق بينه  
وبين

الروحاني وهو كل شئ له روح. قال ابن الأعرابي: يقال شئ روحاني وريحاني أي له  
روح. ويجوز أن يكون على وزن فيعلان فأصله ريوحان فأبدل من الواو ياء وأدغم  
كهين

ولين، ثم أزم التخفيف لطوله ولحاق الزائدين الألف والنون، والأصل فيما يتركب من  
الراء  
والواو والحاء الاهتزاز والحركة. وفي الصحاح: والريحان نبت معروف، والريحان  
الرزق،

تقول: خرجت أبتغي ريحان الله، قال النمر بن تولب:  
سلام الاله وريحانه \* ورحمته وسماء درر

وفي الحديث: (الولد من ريحان الله). وقولهم: سبحان الله وريحانه، نصبوهما على  
المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا. وأما قوله: (والحب ذو العصف والريحان)  
فالعصف

-----  
(١) قائله العجاج. وصدر البيت: \* قد يكسب المال الهدان الجافي \*  
والهدان الأحمق.

ساق الزرع، والريحان ورقه، عن الفراء. وقراءة العامة (والحب ذو العصف والريحان) بالرفع فيها كلها على العطف على الفاكهة. ونصبها كلها ابن عامر وأبو حياة والمغيرة عطفًا

على الأرض. وقيل: بإضمار فعل، أي وخلق الحب ذا العصف والريحان، فمن هذا الوجه

يحسن الوقف على (ذات الأكمام). وجر حمزة والكسائي (الريحان) عطفًا على العصف،

أي فيها الحب ذو العصف والريحان، ولا يمتنع ذلك على قول من جعل الريحان الرزق،

فيكون كأنه قال: والحب ذو الرزق. والرزق من حيث كان العصف رزقا، لان العصف رزق للبهائم، والريحان رزق للناس، ولا شبهة فيه في قول من قال إنه الريحان المشموم.

قوله تعالى: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) خطاب للانس والجن، لان الأنام واقع عليهما. وهذا قول الجمهور، يدل عليه حديث جابر المذكور أول السورة، وخرجه الترمذي

وفيه (للجن أحسن منكم (١) ردا). وقيل: لما قال: (خلق الانسان) (وخلق الجن) دل ذلك

على أن ما تقدم وما تأخر لهما. وأيضا قال: (سنفرغ لكم أيها الثقلان) وهو خطاب للانس

والجن وقد قال في هذه السورة: (يا معشر الجن والإنس). وقال الجرجاني: خاطب الجن

مع الانس وإن لم يتقدم للجن ذكر، كقوله تعالى: (حتى توارت بالحجاب (٢)). وقد سبق

ذكر الجن فيما سبق نزوله من القرآن، والقرآن كالسورة الواحدة، فإذا ثبت أنهم مكلفون

كالإنس خوطب الجنسان بهذه الآيات. وقيل: الخطاب للانس على عادة العرب في الخطاب

للوحد بلفظ التثنية، حسب ما تقدم من القول في (ألقيا في جهنم (٣)). وكذلك قوله: \* قفا نيك (٤) ... \*

و \* خليلي مرابي (٥) ... \*

(١) رواية الترمذي المتقدمة تخالف هذه الرواية في اللفظ وهذه رواية الحاكم.

(٢) راجع ج ١٥ ص ١٩٥.

- (٣) راجع ص ١٦ من هذا الجزء.
- (٤) البيت مطلع معلقة امرى القيس وتمامه:  
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل \* بسقط اللوى بين الدخول فحومل
- (٥) البيت مطلع قصيدة لأمرى القيس أيضا والبيت بتمامه:  
خليلي مرا بي على أم جندب \* نقض لبانات الفؤاد المعذب

فأما ما بعد (خلق الانسان) و (خلق الجن) فإنه خطاب للانسان والجن،  
والصحيح قول الجمهور لقوله تعالى: (والأرض وضعها للأنام) والآلاء النعم، وهو قول  
جميع المفسرين، واحدها إلى وألى مثل معي وعصا، وإلي وألي أربع لغات حكاهما  
النحاس قال: وفي واحد (آناء الليل) ثلاث تسقط منها المفتوحة الألف المسكنة اللام،  
وقد مضى في (الأعراف (١)) و (النجم (٢)). وقال ابن زيد: إنها القدرة، وتقدير  
الكلام

فبأي قدرة ربكما تكذبان، وقاله الكلبي واختاره الترمذي محمد بن علي، وقال: هذه  
السورة

من بين السور علم القرآن، والعلم إمام الجند والجند تتبعه، وإنما صارت علما لأنها  
سورة

صفة الملك والقدرة، فقال: (الرحمن. علم القرآن) فافتتح السورة باسم الرحمن من بين  
الأسماء ليعلم العباد أن جميع ما يصفه بعد هذا من أفعاله ومن ملكه وقدرته خرج إليهم  
من

الرحمة العظمى من رحمانيته فقال: (الرحمن. علم القرآن) ثم ذكر الانسان فقال:  
(خلق)

الانسان) ثم ذكر ما صنع به وما من عليه به، ثم ذكر حساب الشمس والقمر وسجود  
الأشياء مما نجم وشجر، وذكر رفع السماء ووضع الميزان وهو العدل، ووضع الأرض  
للأنام،

فخطب هذين الثقيلين الجن والإنس حين رأوا ما خرج من القدرة والملك برحمانيته  
التي رحمهم

بها من غير منفعة ولا حاجة إلى ذلك، فأشركوا به الأوثان وكل معبود اتخذوه من  
دونه،

وجحدوا الرحمة التي خرجت هذه الأشياء بها إليهم، فقال سائلا لهم: (فبأي آلاء  
ربكما

تكذبان) أي بأي قدرة ربكما تكذبان، فإنما كان تكذيبهم أنهم جعلوا له في هذه  
الأشياء

التي خرجت من ملكه وقدرته شريكا يملك معه يقدر معه، فذلك تكذيبهم. ثم ذكر  
خلق

الانسان من صلصال، وذكر خلق الجن من مارج من نار، ثم سألهم فقال: (فبأي آلاء  
ربكما تكذبان) أي بأي قدرة ربكما تكذبان، فإن له في كل خلق بعد خلق قدرة بعد  
قدرة،

فالتكرير في هذه الآيات للتأكيد والمبالغة في التقرير، واتخاذ الحجة عليهم بما وقفهم  
على خلق

خلق. وقال القتيبي: إن الله تعالى عدد في هذه السورة نعماءه، وذكر خلقه آلاءه، ثم أتبع

-----  
(١) راجع ج ٧ ص ٢٣٧.  
(٢) راجع ص ١٢١ من هذا الجزء.

كل خلة وصفها ونعمة وضعها بهذه، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبهم على النعم  
ويقررهم بها، كما تقول لمن تتابع فيه إحسانك وهو يكفره ومنكره: ألم تكن فقيرا  
فأغنيتك

أفتنكر هذا؟! ألم تكن حاملا فعززتك أفتنكر هذا؟! ألم تكن صرورة (١) فحججت بك  
أفتنكر

هذا؟! ألم تكن راجلا فحملتك أفتنكر هذا؟! والتكرير حسن في مثل هذا. قال:  
\* كم نعمة كانت لكم كم كم وكم \*

وقال آخر:

لا تقتلي مسلما إن كنت مسلمة \* إياك من دمه إياك إياك  
وقال آخر:

لا تقطن الصديق ما طرفت \* عينك من قول كاشح أشر

ولا تملن من زيارته زره \* وزره وزر وزر وزر

وقال الحسين بن الفضل: التكرير طردا للغفلة، وتأكيذا للحجة.

قوله تعالى: خلق الانسان من صلصال كالفخار (١٤) وخلق

الجان من مارج من نار (١٥) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٦) رب المشرقين ورب

المغربين (١٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٨)

قوله تعالى: (خلق الانسان) لما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير من السماء والأرض،

وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال: (خلق

الانسان)

باتفاق من أهل التأويل يعني آدم. (من صلصال كالفخار) الصلصال الطين اليابس الذي

يسمع له صلصلة، شبهه بالفخار الذي طبخ. وقيل: هو طين خلط برمل. وقيل: هو

الطين

المنتن من صل اللحم وأصل إذا أنتن، وقد مضى في (الحجر (٢)). وقال هنا: (من

صلصال

كالفخار) وقال هناك: (من صلصال من حمأ مسنون). وقال: (إنا خلقناهم من طين

(١) الصرورة: الذي لم يحج قط.

(٢) راجع ج ١٠ ص ٢١.

لازب (١)). وقال: (كمثل آدم خلقه (٢) من تراب) وذلك متفق المعنى، وذلك أنه أخذ من تراب

الأرض فعجنه فصار طينا، ثم انتقل فصار كالحما المسنون، ثم انتقل فصار صلصالا كالفخار. (وخلق الجن من مارج من نار) قال الحسن: الجن إبليس وهو أبو الجن. وقيل: الجن واحد الجن، والمارج اللهب، عن ابن عباس، وقال: خلق الله الجن من خالص النار. وعنه أيضا من لسانها الذي يكون في طرفها إذا التهبت. وقال الليث: المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد. وعن ابن عباس أنه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض أحمر وأصفر وأخضر، ونحوه عن مجاهد، وكله متقارب المعنى. وقيل:

المارج كل أمر مرسل غير ممنوع، ونحوه قول المبرد، قال المبرد: المارج النار المرسلة

التي لا تمنع. وقال أبو عبيدة والحسن: المارج خلط النار، وأصله من مرج إذا اضطرب واختلط، ويروى أن الله تعالى خلق نارين فمرج إحداهما بالأخرى، فأكلت إحداهما الأخرى

وهي نار السموم فخلق منها إبليس. قال القشيري: والمارج في اللغة المرسل أو المختلط

وهو فاعل بمعنى مفعول، كقوله: (ماء دافق (٣)) و (عيشة راضية (٤)) والمعنى ذو مرج، قال

الجوهري في الصحاح: و (مارج من نار) نار لا دخان لها خلق منها الجن. فبأي آلاء ربكما تكذبان).

قوله تعالى: (رب المشرقين ورب المغربين) أي هو رب المشرقين. وفي الصفات (ورب المشارق) وقد مضى الكلام في ذلك هنالك (١).

قوله تعالى: مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠)

فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢١) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢)

فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٣)

(١) راجع ج ١٥ ص ٦٣ و ص ٦٨.

(٢) راجع ج ٤ ص ١٠٢.

(٣) راجع ج ٢٠ ص ٤.

(٤) راجع ج ١٨ ص ٢٧٠.



قوله تعالى: (مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان) (مرج) أي خلى وأرسل وأهمل، يقال: مرج السلطان الناس إذا أهملهم. وأصل المرج الإهمال كما تخرج

الدابة في المرعى. ويقال: مرج خلط. وقال الأخفش: ويقول قوم أمرج البحرين مثل مرج، فعل وأفعل بمعنى. (البحرين) قال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض، وقاله مجاهد وسعيد بن جبیر. (يلتقيان) في كل عام. وقيل: يلتقي طرفاهما. وقال الحسن

وقتادة: بحر فارس والروم. وقال ابن جريج: إنه البحر المالح والأنهار العذبة. وقيل: بحر المشرق والمغرب يلتقي طرفاهم. وقيل: بحر اللؤلؤ والمرجان. (بينهما برزخ) أي حاجز

فعلى القول الأول ما بين السماء والأرض، قاله الضحاك. وعلى القول الثاني الأرض التي بينهما وهي الحجاز، قاله الحسن وقتادة. وعلى غيرهما من الأقوال القدرة الإلهية على ما تقدم

في (الفرقان (١)). وفي الخبر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن الله تعالى كلم

الناحية الغربية فقال: إني جاعل فيك عبادا لي يسبحوني ويكبروني ويهللوني ويمجدوني فكيف أنت لهم؟ فقالت: أغرقهم يا رب. قال: إني أحملهم على يدي، وأجعل بأسك في نواحيك. ثم كلم الناحية الشرقية فقال: إني جاعل فيك عبادا يسبحوني ويكبروني ويهللوني ويمجدوني فكيف أنت لهم؟ قالت: أسبحك معهم إذا سبحوك، وأكبرك معهم إذا كبروك، وأهللك معهم إذا هللوك، وأمجدك معهم إذا مجدوك، فأثابها الله الحلية وجعل بينهما برزخا، وتحول أحدهما ملحا أجاجا، وبقي الآخر على حالته عذبا

فراثا) ذكر هذا الخبر الترمذي الحكيم أبو عبد الله قال: حدثنا صالح بن محمد، حدثنا القاسم

العمري عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة: (لا يبغيان) قال قتادة: لا يبغيان على الناس فيغرقانهم، جعل بينهما وبين الناس يبسا (٢). وعنه أيضا ومجاهد: لا يبغي أحدهما على صاحبه

فيغلبه. ابن زيد: المعنى (لا يبغيان) أن يلتقيا، وتقدير الكلام: مرج البحرين يلتقيان، لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان أن يلتقيا. وقيل: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة، أي بينهما

مدة قدرها الله وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان، فإذا أذن الله في انقضاء الدنيا صار البحرينان

-----  
(١) راجع ج ١٣ ص ٥٨.  
(٢) في ب، ح، ز، س، ل، هـ: (البيس).

شيئا واحدا، وهو كقوله وتعالى: (وإذا البحار فجرت (١)). وقال سهل بن عبد الله:

البحران

طريق الخير والشر، والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة.

قوله تعالى: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) [أي يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان (٢)]،

كما يخرج من التراب الحب والعصف والريحان. وقرأ نافع وأبو عمر (يخرج) بضم الياء

وفتح الراء على الفعل المجهول. الباقون (يخرج) بفتح الياء وضم الراء على أن اللؤلؤ هو الفاعل. وقال: (منهما) وإنما يخرج من الملح لا العذب لان العرب تجمع الجنسين ثم تخبر

عن أحدهما، كقوله تعالى: (يا معشر الجن والإنس ألم يأتيكم رسل (٣) منكم) وإنما الرسل من

الانس دون الجن، قاله الكلبي وغيره. قال الزجاج: قد ذكرهما الله فإذا خرج من أحدهما

شيء فقد خرج منهما، وهو كقوله تعالى: (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن (٤) نورا) والقمر في سماء الدنيا ولكن أجمل ذكر السبع فكأن ما في إحداهن

فيهن. وقال أبو علي الفارسي: هذا من باب حذف المضاف، أي من أحدهما، كقوله: (علي رجل من القريتين (٥) عظيم) أي من إحدى القريتين. وقال الأخفش سعيد: زعم قوم أنه

يخرج اللؤلؤ من العذب. وقيل: هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان.

ابن عباس: هما بحرا السماء والأرض. فإذا وقع ماء السماء في صدف البحر انعقد لؤلؤا فصار خارجا منهما، وقاله الطبري. قال الثعلبي: ولقد ذكر لي أن نواة كانت في جوف صدفة، فأصاب القطرة بعض النواة ولم تصب البعض، فكان حيث أصاب القطرة من النواة لؤلؤة وسائرها نواة. وقيل: إن العذب والملح قد يلتقيان، فيكون العذب كاللقاح للملح، فنسب إليهما كما ينسب الولد إلى الذكر والأنثى وإن ولدته الأنثى، لذلك قيل: إنه

لا يخرج اللؤلؤ إلا من موضع يلتقي فيه العذب والملح. وقيل: المرجان عظام اللؤلؤ وكباره،

قاله علي وابن عباس رضي الله عنهما. واللؤلؤ صغاره. وعنهما أيضا بالعكس: إن اللؤلؤ كبار اللؤلؤ والمرجان صغاره، وقاله الضحاك وقتادة. وقال ابن مسعود وأبو مالك: المرجان الخرز الأحمر.

- 
- (١) راجع ج ١٩ ص ٢٤٢  
(٢) ما بين المربعين ساقط من ز، ل.  
(٣) راجع ج ٧ ص ٨٥  
(٤) راجع ج ١٨ ص ٣٠٤  
(٥) راجع ج ١٦ ص ٨٢

قوله تعالى: وله الجوار المنشئات في البحر كالاعلام (٢٤)  
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٥)

قوله تعالى: (وله الجوار) يعنى السفن. (المنشآت) قراءة العامة (المنشئات) بفتح الشين، قال قتادة: أي المخلوقات للجري مأخوذ من الانشاء. وقال مجاهد: هي السفن التي رفع قلعها، قال: وإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشئات. وقال الأخفش: إنها المحريات. وفي الحديث: أن علياً رضي الله عنه رأى سفناً مقلعة، فقال: ورب هذه الجواري المنشئات ما قتلت عثمان ولا مالات في قتله. وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم باختلاف عنه (المنشئات) بكسر الشين أي المنشئات السير، أضيف الفعل إليها على التجوز والاتساع. وقيل: الرافعات الشرع أي القلع. ومن فتح الشين قال: المرفوعات الشرع. (كالاعلام) أي كالجبال، والعلم الجبل الطويل، قال (١):  
\* إذا قطعن علما بدا علم \*

فالسفن في البحر كالجبال في البر، وقد مضى في (الشورى) بيانه (٢). وقرأ يعقوب (الجواري)

بياء في الوقف، وحذف الباقيون.

قوله تعالى: كل من عليها فان (٢٦) ويبقى وجه ربك ذو الجلال  
والاكرام (٢٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٨)

قوله تعالى: (كل من عليها فان) الضمير في (عليها) للأرض، وقد جرى ذكرها في أول السورة في قوله تعالى: (والأرض وضعها للأنام) وقد يقال: هو أكرم من عليها،

(١) قائله جرير، وتمام البيت:

\* حتى تناهين بنا إلى الحكم \*

وبعده: خليفة الحجاج غير المتهم \* في ضئضى المجد وبؤبؤ الكرم

(٢) راجع ج ١٦ ص ٢٣

يعنون الأرض وإن لم يجر لها ذكر. وقال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلك أهل الأرض فنزلت: (كل شئ هالك إلا وجهه (١)) فأيقنت الملائكة بالهلاك، وقاله

مقاتل. ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت، ومع الموت تستوي الأقدام.

وقيل: وجه النعمة أن الموت سبب النقل إلى دار الجزاء والثواب. (ويبقى وجه ربك) أي ويبقى الله، فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه، قال الشاعر:  
قضى على خلقه المنايا \* فكل شئ سواه فاني  
وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا: ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم. وقال ابن عباس:

الوجه عبارة عنه كما قال: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام) وقال أبو المعالي: وأما الوجه فالمراد به عند معظم أئمتنا وجود الباري تعالى، وهو الذي ارتضاه شيخنا. ومن

الدليل على ذلك قوله تعالى: (ويبقى وجه ربك) والموصف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء وجود الباري تعالى. وقد مضى في (البقرة (٢)) القول في هذا عند قوله تعالى: (فأينما

تولوا فثم وجه الله) وقد ذكرناه في الكتاب الأسنى مستوفى. قال القشيري: قال قوم هو صفة زائدة على الذات لا تكيف، يحصل بها الاقبال على من أراد الرب تخصيصه بالاکرام.

والصحيح أن يقال: وجهه وجوده وذاته، يقال: هذا وجه الامر ووجه الصواب وعين الصواب. وقيل: أي يبقى الظاهر بأدلته كظهور الانسان بوجهه. وقيل: وتبقى الجهة التي يتقرب بها إلى الله. (ذو الجلال) الجلال عظمة الله وكبريائه واستحقاقه صفات المدح، يقال: جل الشئ أي عظم وأجلته أي عظمته، والجلال اسم من جل. (والاكرام) أي هو أهل لان يكرم عمالا يليق به من الشرك، كما تقول: أنا أكرمك عن هذا، ومنه إكرام الأنبياء والأولياء. وقد أتينا على هذين، الاسمين لغة ومعنى في الكتاب الأسنى مستوفى. وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألظوا بيذا الجلال والاکرام). وروى أنه من قول ابن مسعود، ومعناه: الزموا ذلك في الدعاء. قال أبو عبيد:

(١) راجع ج ١٣ ص ٣٢٢.

(٢) راجع ج ٢ ص ٨٣.

(16e)

الالفاظ لزوم الشئ والمثابرة عليه. ويقال: الالفاظ الالحاح. وعن سعيد المقبري. أن رجلا

ألح فجعل يقول: اللهم يا ذا الجلال والاكرام! اللهم يا ذا الجلال والاكرام! فنودي:  
إني قد سمعت فما حاجتك؟

قوله تعالى: يسئله من في السماوات والأرض كل يوم هو  
في شأن (٢٩) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٠)

قوله تعالى: (يسأله من في السماوات والأرض) قيل: المعنى يسأله من  
في السماوات الرحمة، ومن في الأرض الرزق. وقال ابن عباس وأبو صالح: أهل  
السماوات

يسألونه المغفرة ولا يسألونه الرزق، وأهل الأرض يسألونهما جميعا. وقال ابن جريج:  
وتسأل الملائكة الرزق لأهل الأرض، فكانت المسألتان جميعا من أهل السماء وأهل  
الأرض

لأهل الأرض. وفي الحديث: (إن من الملائكة ملكا له أربعة أوجه [وجه (١)] كوجه  
الانسان وهو

يسأل الله الرزق لبني آدم ووجه كوجه الأسد وهو يسأل الله الرزق للسباع ووجه  
كوجه الثور

وهو يسأل الله الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله الرزق للطير). وقال ابن  
عطاء:

إنهم سألوه القوة على العبادة. (كل يوم هو في شأن) هذا كلام مبتدأ. وانتصب (كل  
يوم) ظرفا، لقوله: (في شأن) أو ظرفا للسؤال، ثم يتدئ (هو في شأن). وروى  
أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل يوم هو في شأن)  
قال:

(من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما (٢) ويضع آخرين). وعن ابن عمر عن  
النبي صلى الله

عليه وسلم في قول الله عز وجل: (كل يوم هو في شأن) قال: (يغفر ذنبا ويكشف  
كربا ويجيب داعيا). وقيل: من شأنه أن يحيى ويميت، ويعز ويذل، ويرزق ويمنع.  
وقيل: أراد شأنه في يومي الدنيا والآخرة. قال ابن بحر: الدهر كله يومان، أحدهما مدة  
أيام الدنيا، والآخر يوم القيامة، فشأنه سبحانه وتعالى في أيام الدنيا الابتلاء والاختبار  
بالامر والنهي والاحياء والإماتة والاعطاء والمنع، وشأنه يوم القيامة الجزاء والحساب،

(١) الزيادة من ب، ح، ز، س، ل، هـ.

(٢) في ب، ح، ز، س، ل، هـ: (أقواما).





والثواب والعقاب. وقيل: المراد بذلك الاخبار عن شأنه في كل يوم من أيام الدنيا وهو الظاهر. والشأن في اللغة الخطب العظيم والجمع الشؤون والمراد بالشأن ها هنا الجمع كقوله

تعالى: (ثم يخرجكم (١) طفلا). وقال الكلبي: شأنه سوق المقادير إلى المواقيت. وقال عمرو

ابن ميمون في قوله تعالى: (كل يوم هو في شأن) من شأنه أن يميت حيا، ويقر في الأرحام

ما شاء، ويعز ذليلا، ويذل عزيزا. وسأل بعض الامراء وزيره عن قوله تعالى: (كل يوم هو في شأن) فلم يعرف معناها، واستمهله إلى الغد فانصرف كتيباً إلى منزله فقال له غلام له

أسود: ما شأنك؟ فأخبره. فقال له: عد إلى الأمير فإني أفسرها له، فدعاه فقال: أيها الأمير!

شأنه أن يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويشفي سقيما، ويسقم سليما، ويبتلي معافى، ويعافى مبتلى، ويعز ذليلا،

ويذل عزيزا، ويفقر غنيا، ويغني فقيرا، فقال له: فرجت عني فرج الله عنك، ثم أمر بخلع

ثياب الوزير وكساها الغلام، فقال: يا مولاي! هذا من شأن الله تعالى. وعن عبد الله ابن طاهر: أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له: أشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها

لي: قوله تعالى: (فأصبح من النادمين (٢)) وقد صح أن الندم توبة. وقوله: (كل يوم هو في شأن) وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة. وقوله: (وأن ليس للانسان

إلا ما سعى (٣)) فما بال الأضعاف؟ فقال الحسين: يجوز ألا يكون الندم توبة في تلك الأمة،

ويكون توبة في هذه الأمة، لان الله تعالى خص هذه الأمة بخصائص لم تشاركهم فيها الأمم.

وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله. وأما قوله: (كل يوم هو في شأن) فإنها شؤون يديها لا شؤون يتديها. وأما قوله: (وأن ليس للانسان إلا ما سعى)

فمعناه: ليس له إلا ما سعى عدلا ولي أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا. فقام عبد الله وقبل رأسه

وسوغ خراجه.

- 
- (١) راجع ج ١٥ ص ٣٣٠  
(٢) راجع ج ٦ ص ١٤٣  
(٣) راجع ج ١٧ ص

قوله تعالى: سنفرغ لكم أيه الثقلان (٣١) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٢) يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (٣٣) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٤) يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (٣٥) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٦)

قوله تعالى: (سنفرغ لكم أيه الثقلان) يقال: فرغت من الشغل أفرغ فروغا وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا أي بذلته. والله تعالى ليس له شغل يفرغ منه،

إنما المعنى سنقصد لمجازاتكم أو محاسبتكم، وهذا وعيد وتهديد لهم كما يقول القائل لمن يريد تهديده: إذا أفرغ لك أي أقصدك. وفرغ بمعنى قصد، وأنشد ابن الأنباري في مثل هذا لجرير:

ألان وقد فرغت إلى نمير\* فهذا حين كنت لها عذابا يريد وقد قصدت. وقال أيضا (١) وأنشده النحاس:  
\* فرغت إلى العبد المقيد في الحجل\*

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع الأنصار ليلة العقبة، صاح الشيطان: يأهل الجبابج (٢)! هذا مذمم يبايع بني قيلة على حربكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هذا

إزب العقبة (٣) أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك) أي أقصد إلى إبطال أمرك. وهذا اختيار

القتبي والكسائي وغيرهما. وقيل: إن الله تعالى وعد على التقوى وأوعد على الفجور، ثم قال:

(سنفرغ لكم) مما وعدناكم ونوصل كلا إلى ما وعدناه، أي أقسم ذلك وأتفرغ منه. قاله

الحسن ومقاتل وابن زيد. وقرأ عبد الله وأبي (سنفرغ إليكم) وقرأ الأعمش وإبراهيم

(١) أي جرير.

(٢) الجبابج: منازل منى

(٣) الإزب: ضبطه الحلبي في سيرته بكسر الهمزة واسكان الزاي، وهو هنا اسم شيطان.

(سيفرغ لكم) بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله. وقرأ ابن شهاب والأعرج (سيفرغ لكم) بفتح النون والراء، قال الكسائي: هي لغة تميم يقولون فرغ يفرغ، وحكى

أيضا فرغ يفرغ ورواهما هبيرة عن حفص عن عاصم. وروى الجعفي عن أبي عمرو (سيفرغ)

بفتح الياء والراء، ورويت عن ابن هرمز. وروي عن عيسى الثقفي (سيفرغ لكم) بكسر النون وفتح الراء، وقرأ حمزة والكسائي (سيفرغ لكم) بالياء. الباكون بالنون وهي لغة تهامة.

والثقلان الجن والإنس، سميا بذلك لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما بسبب

التكليف. وقيل: سموا بذلك لأنهم ثقل على الأرض أحياء وأمواتا، قال الله تعالى: (وأخرجت الأرض أثقالها (١)) ومنه قولهم: أعطه ثقله أي وزنه. وقال بعض أهل المعاني:

كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل. ومنه قيل لبيض النعام ثقل، لان واجده وصائده

يفرح به إذا ظفر به. وقال جعفر الصادق: سميا ثقلين، لأنهما مثقلان بالذنوب. وقال: (سيفرغ لكم) فجمع، ثم قال: (أيه الثقلان) لأنهما فريقان وكل فريق جمع، وكذا قوله تعالى: (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم) ولم يقل إن استطعتما، لأنهما فريقان في حال

الجمع، كقوله تعالى: (فإذا هم فريقان يختصمون (٢)) و (هذان خصمان اختصموا (٣) في ربهم)

ولو قال: سيفرغ لكما (٤)، وقال: إن استطعتما لجاز. وقرأ أهل الشام (أية الثقلان) بضم

الهاء. الباكون بفتحها وقد تقدم (٣).

مسألة - هذه السورة و (الأحقاف) و (قل أوحى) دليل على أن الجن مخاطبون مكلفون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالأنس سواء، مؤمنهم كمؤمنهم، وكافرهم ككافرهم،

لا فرق بيننا وبينهم في شئ من ذلك.

قوله تعالى: (يا معشر الجن والإنس) الآية. ذكر ابن المبارك: وأخبرنا جويبر عن الضحاك

قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقت بأهلها، فتكون الملائكة على حافات حتى

يأمرهم الرب، فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم يأمر الله السماء التي

تليها

- 
- (١) راجع ج ٢٠ ص ١٤٧.  
(٢) راجع ج ١٣ ص ٢١٤.  
(٣) راجع ج ١٢ ص ٢٥ و ص ٢٣٨ و ج ١٦ ص ٩٧  
(٤) أي في غير القرآن.

كذلك فينزلون فيكونون صفا من خلف (١) ذلك الصف، ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة، فينزل الملك الاعلى في بهائه وملكه ومجنبته اليسرى جهنم، فيسمعون زفيرها وشهيقها، فلا يأتون قطرا من أقطارها إلا وجدوا صفوفًا من الملائكة، فذلك قوله

تعالى: (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنقذون إلا بسلطان) والسلطان العذر. وقال الضحاك أيضا: بينما الناس في أسواقهم انفتحت السماء، ونزلت الملائكة، فتهرب الجن والإنس، فتحدق بهم الملائكة، فذلك قوله

تعالى: (لا تنفذون إلا بسلطان) ذكره النحاس. قلت. فعلى هذا يكون في الدنيا، وعلى ما ذكر ابن المبارك يكون في الآخرة. وعن الضحاك أيضا: إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا. وقال ابن عباس: إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات وما في الأرض فأعلموه، ولن تعلموه إلا بسلطان أي بيينة من الله

تعالى. وعنه أيضا أن معنى: (لا تنفذون إلا بسلطان) لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم. قتادة: لا تنفذون إلا بملك وليس لكم ملك. وقيل: لا تنفذون إلا إلى سلطان (٢)،

الباء بمعنى إلى، كقوله تعالى: (وقد أحسن (٣) بي) أي إلى. قال الشاعر (٤):  
أسيئي بنا أو أحسنني لا ملولة \* لدينا ولا مقلية إن تقلت  
وقوله: (فانفذوا) أمر تعجيز.

قوله تعالى: (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس) أي لو خرجتم أرسل عليكم شواظ من نار، وأخذكم العذاب المانع من النفوذ. وقيل: ليس هذا متعلقا بالنفوذ بل أخبر أنه يعاقب العصاة عذابا بالنار. وقيل: أي بآلاء ربكما تكذبان يرسل عليكم شواظ من نار

ونحاس عقوبة على ذلك التكذيب. وقيل: يحاط على الخلائق بالملائكة وبلسان من نار ثم

ينادون (يا معشر الجن والإنس)، فتلك النار قوله: (يرسل عليكم شواظ من نار)

(١) في ب، ز، ح، س، د: (في جوف ذلك الصف).

(٢) في ب: (إلى سلطاني).

(٣) راجع ج ٩ ص ٢٦٧.

(٤) هو كثير عزة.

(١٧٠)



والشواظ في قول ابن عباس وغيره اللهب الذي لا دخان له. والنحاس: الدخان الذي لا لهب فيه، ومنه قول أمية بن أبي الصلت يهجو حسان بن ثابت رضي الله عنه، كذا وقع

في تفسير الثعلبي والماوردي بن أبي الصلت، وفي (الصحاح) و (الوقف والابتداء) لابن الباري: أمية بن خلف قال:

ألا من مبلغ حسان عني \* مغلغة تدب إلى عكاظ  
أليس أبوك فينا كان فينا \* لدى القينات فسلا في الحفاظ  
يمانيا يظل يشد كيرا \* وينفخ دأبها لهب الشواظ  
فأجابه حسان رضي الله عنه فقال:  
هجوتك فاخضعت لها بذل \* بقافية تأجج كالشواظ (١)  
وقال رؤبة:

إن لهم من وقعنا أقياظا \* ونار حرب تسعر الشواظا  
وقال مجاهد: الشواظ اللهب الأخضر المنقطع من النار. الضحاك: هو الدخان الذي يخرج

من اللهب ليس بدخان الحطب. وقاله سعيد بن جبير. وقد قيل: إن الشواظ النار والدخان جميعا، قاله أبو عمرو وحكاه الأحنف عن بعض العرب. وقرأ ابن كثير (شواظ)

بكسر الشين. الباقون بالضم وهما لغتان، مثل صوار وصوار لقطيع البقر. (ونحاس) قراءة

العامية (ونحاس) بالرفع عطف على (شواظ). وقرأ ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وأبو عمرو (ونحاس) بالخفض عطفاً على النار. قال المهدوي: من قال إن الشواظ النار والدخان جميعاً فالجر في (نحاس) على هذا بين. فأما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب

الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ إلا على تقدير حذف موصوف كأنه قال: (يرسل عليكما

(١) وفي التاج بدل هذا البيت:

مجللة تعمه شنارا \* مضرمة تأجج كالشواظ  
والفسل من الرجال: الرذل الذي لا مروءة له ولا جلد. والمفسول مثله.

شواظ من نار) وشئ من نحاس، فشئ معطوف على شواظ، ومن نحاس جملة هي صفة لشئ، وحذف شئ، وحذفت من لتقدم ذكرها في (من نار) كما حذفت على من قولهم:

على من تنزل أنزل [أي (١)] عليه. فيكون (نحاس) على هذا مجرورا بمن المحذوفة. وعن

مجاهد وحميد وعكرمة وأبي العالية (ونحاس) بكسر النون لغتان كالشواظ والشواظ. والنحاس بالكسر أيضا الطبيعة والأصل، يقال: فلان كريم النحاس والنحاس أيضا بالضم أي كريم النجار (٢). وعن مسلم بن جندب (ونحس) بالرفع. وعن حنظلة بن مرة بن النعمان

الأنصاري (ونحس) بالجر عطف على نار. ويجوز أن يكون (ونحاس) بالكسر جمع نحس كصعب وصعاب (ونحس) بالرفع عطف على (شواظ) وعن الحسن (ونحس) بالضم [فيهما (٣)] جمع نحس. ويجوز أن يكون أصله ونحوس فقصر بحذف واوه حسب ما تقدم عند

قوله: (وبالنجم هم يهتدون (٤)). وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة (ونحس) بفتح النون وضم

الحاء وتشديد السين من حس يحس حسا إذا استأصل، ومنه قوله تعالى: (إذ تحسونهم بإذنه (٥)) والمعنى ونقتل بالعذاب. وعلى القراءة الأولى (ونحاس) فهو الصفر المذاب يصب

على رؤوسهم، قاله مجاهد وقتادة، وروي عن ابن عباس. وعن ابن عباس أيضا وسعيد ابن جبير أن النحاس الدخان الذي لا لهب فيه، وهو معنى قول الخليل، وهو معروف في كلام العرب بهذا المعنى، قال نابغة بني جعدة:

يضئ كضوء سراج السليط\* لم يجعل الله فيه نحاسا

قال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول السليط دهن السمسم بالشام ولا دخان فيه. وقال مقاتل: هي خمسة أنهار من صفر مذاب، تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار،

ثلاثة أنهار على مقدار الليل ونهران على مقدار النهار. وقال ابن مسعود: النحاس المهل.

وقال الضحاك: هو دردي الزيت المغلي. وقال الكسائي: هو النار التي لها ریح شديدة. (فلا تنتصران) أي لا ينصر بعضكم بعضا يعني الجن والإنس.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) النجار - بكسر النون وضمها - الأصل والحسب.

(٣) الذي في الأصول: (بالضم فيهن) وما أثبتناه هو ما عليه كتب التفسير أي بضميتين وكسر السين.

(٤) راجع ج ١٠ ص ٩١.  
(٥) راجع ج ٤ ص ٢٣٣.

قوله تعالى: فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (٣٧)  
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٨) فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس  
ولا جان (٣٩) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٠)  
قوله تعالى: (فإذا انشقت السماء) أي انصدعت يوم القيامة (فكانت وردة كالدهان)  
الدهان الدهن، عن مجاهد والضحاك وغيرهما. والمعنى أنها صارت في صفاء الدهن،  
والدهان  
على هذا جمع دهن. وقال سعيد بن جبير وقتادة: المعنى فكانت حمراء. وقيل: المعنى  
تصير  
في حمرة الورد وجريان الدهن، أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة  
نار جهنم،  
وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها. وقيل: الدهان الجلد الأحمر الصرف، ذكره أبو عبيد  
والفراء. أي تصير السماء حمراء كالأديم لشدة حر النار. ابن عباس: المعنى فكانت  
كالفرس  
الورد، يقال للكميت: ورد إذا كان يتلون بألوان مختلفة. قال ابن عباس: الفرس الورد،  
في الربيع كميته أصفر، وفي أول الشتاء كميته أحمر، فإذا اشتد الشتاء كان كميته  
أغبر. وقال  
الفراء: أراد الفرس الوردية، تكون في الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت  
وردة  
حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة، فشبه تلون السماء بتلون الورد من  
الخيل.  
وقال الحسن: (كالدهان) أي كصب الدهن فإنك إذا صبته ترى فيه ألوانا. وقال زيد  
ابن أسلم: المعنى أنها تصير كعكر الزيت، وقيل: المعنى أنها تمر وتجيء. قال الزجاج:  
أصل  
الواو والراء والذال للمجئ والآتيان. وهذا قريب مما قدمناه من أن الفرس الوردية تتغير  
ألوانها.  
وقال قتادة: إنها اليوم خضراء وسيكون لها لون أحمر، حكاه الثعلبي. وقال الماوردي:  
وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى  
بهذا  
اللون الأزرق، وشبهوا ذلك بعروق البدن، وهي حمراء كحمرة الدم وترى بالحائل  
زرقاء، فإن  
كان هذا صحيحا فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى  
حمراء،  
لأنه أصل لونها. والله أعلم.



(۱۷۳)

هذا مثل قوله تعالى: (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون (١)) وأن القيامة مواطن لطول ذلك اليوم، فيسأل في بعض ولا يسأل

في بعض، وهذا قول عكرمة. وقيل: المعنى لا يسألون إذا استقروا في النار. وقال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم، لأن الله حفظها عليهم، وكتبتها عليهم الملائكة. رواه العوفي

عن ابن عباس. وعن الحسن ومجاهد أيضا: المعنى لا تسأل الملائكة عنهم، لأنهم يعرفونهم بسماهم، دليله ما بعده. وقاله مجاهد عن ابن عباس. وعنه أيضا في قوله تعالى: (فوربك

لنسألنهم أجمعين (٢)) وقوله: (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) وقال: لا يسألهم ليعرف ذلك منهم، لأنه أعلم بذلك منهم، ولكنه يسألهم لم عملتموها سؤال توبيخ. وقال

أبو العالية: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم. وقال قتادة: كانت المسألة قبل، ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم. وفي حديث أبي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم وفيه قال: (فيلقي العبد فيقول أي فل (٣) ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول أفظنت أنك ملاقي فيقول

لا فيقول إني أنساك كما نسيتني ثم يلقي الثاني فيقول له مثل ذلك بعينه ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويشني

بخير ما استطاع فيقول ها هنا إذا ثم يقال له الآن نبعث شاهدنا عليك فيفتكر في نفسه من هذا الذي يشهد علي فيختم علي فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي فتنتطق فخذه ولحمه وعظامه

بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه) وقد مضى هذا

الحديث في (حم السجدة) وغيرها (٤).

- 
- (١) راجع ج ١٣ ص ٣١٦  
(٢) راجع ج ١٠ ص ٥٩  
(٣) أي فل: معناه يا فلان وليس ترخيما له، وانما هي صيغة ارتجلت في النداء، ولا تقال الا بسكون اللام.  
وقال قوم: انه ترخيم فلان.  
(٤) راجع ج ١٥ ص ٤٨ وص ٣٥٠

قوله تعالى: يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي  
والاقدام (٤١) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٢) هذه جهنم التي  
يكذب بها المجرمون (٤٣) يطوفون بينها وبين حميم آن (٤٤)  
فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٥)

قوله تعالى: (يعرف المجرمون بسيماهم) قال الحسن: سواد الوجه وزرقة الأعين،  
قال الله تعالى: (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (١)) وقال تعالى: (يوم تبيض وجوه  
وتسود

وجوه (٢)). (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) أي تأخذ الملائكة بنواصيهم، أي بشعور مقدم  
رؤوسهم وأقدامهم فيقذفونهم في النار. والنواصي جمع ناصية. وقال الضحاك: يجمع  
بين

ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره. وعنه: يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما  
وبين

ناصية حتى يندق ظهره ثم يلقي في النار. وقيل: يفعل ذلك به ليكون أشد لعذابه وأكثر  
لتشويبه. وقيل: تسحبهم الملائكة إلى النار، تارة تأخذ بناصيته وتجره على وجهه،  
وتارة

تأخذ بقدميه وتسحبه على رأسه.

قوله تعالى: (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) أي يقال لهم هذه النار التي أخبرتم  
بها فكذبتم. (يطوفون بينها وبين حميم آن) قال قتادة: يطوفون مرة بين الحميم ومرة  
بين

الجحيم، والجحيم النار، والحميم الشراب. وفي قوله تعالى: (آن) ثلاثة أوجه، أحدها  
أنه الذي

انتهى حره وحميمه. قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي، ومنه قول النابغة الذبياني:  
وتخضب لحية غدرت وخانت \* بأحمر من نجيع الجوف آن

قال قتادة: (آن) طبخ منذ خلق الله السماوات والأرض، يقول: إذا استغاثوا من  
النار جعل غياثهم ذلك. وقال كعب: (آن) واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل

(١) راجع ج ١١ ص ٢٤٤.

(٢) راجع ج ٤ ص ١٦٦.

(٣) نجيع الجوف: يعني الدم الخالص. وقبل البيت:  
فان يقدر عليك أبو قبيس \* تمط بك المعيشة في هوان



النار فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا

جديدا فيلقون في النار، فذلك قوله تعالى: (يطوفون بينها وبين حميم آن). وعن كعب أيضا: أنه الحاضر. وقال مجاهد: إنه الذي قد آن شربه وبلغ غايته. والنعمة فيما وصف من هول القيامة وعقاب المجرمين ما في ذلك من الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى على شاب في الليل يقرأ (فإذا انشقت السماء

فكانت وردة كالدهان) فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول: ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ويحك يا فتى مثلها فوالذي نفسي بيده

لقد بكت ملائكة السماء لبكائك (١)).

قوله تعالى: ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٧)

قوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فيه مسألتان: الأولى - لما ذكر أحوال أهل النار ذكر ما أعد للأبرار. والمعنى خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية. ف (مقام) مصدر بمعنى القيام. وقيل: خاف قيام ربه عليه أي إشرافه وإطلاقه عليه، بيانه قوله تعالى: (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت (٢)).

وقال مجاهد وإبراهيم النخعي: هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه. الثانية - هذه الآية دليل على أن من قال لزوجته: إن لم أكن من أهل الجنة فأنت طالق أنه لا يحنث إن كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء منه. وقال به سفيان الثوري وأفتى به. وقال محمد بن علي الترمذي: جنة لخوفه من ربه، وجنة لتركه شهوته. وقال ابن عباس: من خاف مقام ربه بعد أداء الفرائض. وقيل: المقام الموضع، أي خاف مقامه بين يدي ربه للحساب كما تقدم. ويجوز أن يكون المقام للعبد ثم يضاف

إلى الله، وهو كالأجل في قوله: (فإذا جاء أجلهم (٣)) وقوله في موضع آخر:

(١) في ب، ح، ز، س، ل، هـ: (من بكائك).

(٢) راجع ج ٩ ص ٣٢٢.

(٣) راجع ج ٧ ص ٢٠٢.

(إن أجل الله إذا (١) جاء لا يؤخر). (جنتان) أي لمن خاف جنتان على حدة، فلكل خائف

جنتان. وقيل: جنتان لجميع الخائفين، والأول أظهر. وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الجنتان بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام

في وسط كل بستان دار من نور (٢) وليس منها شيء إلا يهتز نعمة وخضرة، قرارها ثابت وشجرها

ثابت) ذكره المهدوي والثعلبي أيضا من حديث أبي هريرة. وقيل: إن الجنتين جنته التي خلقت له وجنة ورثها. وقيل: إحدى الجنتين منزله والأخرى منزل أزواجه كما يفعله رؤساء

الدنيا. وقيل: إن إحدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه. وقيل: إن إحدى الجنتين أسافل القصور والأخرى أعاليها. وقال مقاتل: هما جنة عدن وجنة النعيم. وقال الفراء: إنما هي جنة واحدة، فثنى لرؤوس الآي. وأنكر القتبي هذا وقال: لا يجوز أن يقال خزنة

النار عشرون إنما قال تسعة عشر لمراعاة رؤوس الآي. وأيضا قال: (ذواتا أفنان). وقال أبو جعفر النحاس: قال الفراء قد تكون جنة فثنى في الشعر، وهذا القول من أعظم

الغلط على كتاب الله عز وجل، يقول الله عز وجل: (جنتان) ويصفهما بقوله: (فيهما) فيدع الظاهر ويقول: يجوز أن تكون جنة ويحتج بالشعر! وقيل: إنما كانتا اثنتين ليضعف له السرور بالتنقل من جهة إلى جهة. وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلفت والنار حين برزت، قاله عطاء وابن شوذب. وقال الضحاك: بل شرب ذات يوم لبنا على ظمأ فأعجبه، فسأل عنه فأخبر

أنه من غير حل فاستقاه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه، فقال: (رحمك الله

لقد أنزلت فيك آية) وتلا عليه هذه الآية.

قوله تعالى: ذواتا أفنان (٤٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٤٩)

فيهما عينان تجريان (٥٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥١)

(١) راجع ج ١٨ ص ٢٩٩  
(٢) في ز، ل: (نور على نور).



قوله تعالى: (ذواتا أفنان) قال ابن عباس وغيره: أي ذواتا ألوان من الفاكهة الواحد فن. وقال مجاهد: الأفنان الأغصان واحدها فنن، قال النابغة: بكاء حمامة تدعو هديلا \* مفجعة على فنن تغني (١)

وقال آخر يصف طائرین:

باتا على غصن بان في ذرى فنن \* يرددان لحنونا ذات ألوان  
أراد باللحون اللغات. وقال آخر:

ما هاج شوقك من هديل حمامة \* تدعو على فنن الغصون حماما  
تدعو أبا فرخين صادف ضاريا \* ذا مخلبين من الصقور قطاما  
والفنن جمعه أفنان ثم الأفانين، وقال يصف رحي:  
\* لها زمام من أفانين الشجر \*

وشجرة فناء أي ذات أفنان وفنواء أيضا على غير قياس. وفي الحديث: (أن أهل الجنة مرد

مكحلون أولو أفانين) يريد أولو فنن وهو جمع أفنان، وأفنان جمع فنن [وهو النخلة (٢) من

الشعر شبه بالغصن. ذكره الهروي. وقيل: (ذواتا أفنان) أي ذواتا سعة وفضل على ما سواهما، قاله قتادة. وعن مجاهد أيضا وعكرمة: إن الأفنان ظل الأغصان على الحيطان.

قوله تعالى: (فيهما عينان تجريان) أي في كل واحدة منهما عين جارية. قال ابن عباس: تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة. وعن ابن عباس أيضا

والحسن: تجريان بالماء الزلال، إحدى العينين التسليم والأخرى السلسيل. وعنه أيضا:

(١) قبل هذا البيت:

أسائلها وقد سفحت دموعي \* كأن مفيضهن غروب شن

(٢) الزيادة من النهاية لابن الأثير.

عينان مثل الدنيا أضعافا مضاعفة، حصباؤهما الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر،  
وترابهما  
الكافور، وحماتهما المسك الأذفر، وحافتاهما الزعفران. وقال عطية: إحداهما من ماء  
غير  
آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين. وقيل: تجريان من جبل من مسك. وقال أبو  
بكر  
الوراق: فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز  
وجل.

قوله تعالى: فيهما من كل فاكهة زوجان (٥٢) فبأي آلاء ربكما  
تكذبان (٥٣) متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين  
دان (٥٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٥)  
قوله تعالى: (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي صنفان وكلاهما حلو يستلذ به.  
قال ابن عباس: ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه  
حلو.

وقيل: ضربان رطب ويابس لا يقصر هذا عن ذلك في الفضل والطيب. وقيل: أراد  
تفضيل هاتين الجنتين على الجنتين اللتين دونهما، فإنه ذكر هاهنا عينين جاريتين، وذكر  
ثم عينين تنضخان بالماء والنضخ دون الجري، فكأنه قال: في تينك الجنتين من كل  
فاكهة

نوع، وفي هذه الجنة من كل فاكهة نوعان.  
قوله تعالى: (متكئين على فرش) هو نصب على الحال. والفرش جمع فراش. وقرأ  
أبو حياة (فرش) بإسكان الراء. (بطائنها) جمع بطانة وهي التي تحت الظهر.  
والاستبرق

ما غلظ من الديباج وخشن، أي إذا كانت البطانة التي تلي الأرض هكذا فما ظنك  
بالظهارة،

قاله ابن مسعود وأبو هريرة. وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من استبرق فما الظواهر؟  
قال: هذا مما قال الله: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة (١) أعين). وقال ابن  
عباس:

إنما وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم، فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله. وفي  
الخبر

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ظواهرها نور يتلألأ). وعن الحسن: بطائنها  
من استبرق، وظواهرها من نور جامد. وعن الحسن أيضا: البطائن هي الظواهر،

-----

(١) راجع ج ١٤ ص ١٠٣

(١٧٩)

وهو قول الفراء، وروي عن قتادة. والعرب تقول للظهر بطناً، فيقولون: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء، لظاهرها الذي نراه. وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا، وقالوا: لا يكون هذا إلا في الوجهين المتساويين إذا ولي كل واحد منهما قوماً، كالحائط بينك وبين قوم، وعلى ذلك أمر السماء. (وجنى الجنتين دان) الجنى ما يجتنى من الشجر، يقال: أتانا بجناة طيبة لكل ما يجتنى. وثمر جنى على فعيل حين جنى، وقال (١): هذا جناي وخياره فيه \* إذ كل جان يده إلى فيه وقرئ (جنى) بكسر الجيم. (دان) قريب. قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنىها ولي الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعا، لا يرد يده بعد ولا شوك. قوله تعالى: فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (٥٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٧) فيه ثلاث مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (فيهن قاصرات الطرف) قيل: في الجنتين المذكورتين. قال الزجاج: وانما قال: (فيهن) ولم يقل فيهما، لأنه عنى الجنتين وما أعد لصاحبهما من النعيم. وقيل: (فيهن) يعود على الفرش التي بطائنها من إستبرق، أي في هذه الفرش (قاصرات الطرف) أي نساء قاصرات الطرف، قصرن أعينهن على أزواجهن فلا يرين غيرهم.

وقد مضى في (والصافات (٢)) ووحد الطرف مع الإضافة إلى الجمع لأنه في معنى المصدر، من طرفت عينه تطرف طرفاً، ثم سميت العين بذلك فأدى عن الواحد والجمع، كقولهم: قوم عدل وصوم.

(١) هو عمرو بن عدي اللخمي ابن أخت جذيمة الأبرش، وهو مثل يضرب للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده.

(٢) راجع ج ١٥ ص ٨٠

الثانية - قوله تعالى: (لم يطمثهن) أي لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن هؤلاء أحد. الفراء: والطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية، طمثها يطمثها ويطمئها طمئا إذا افتضها. ومنه قيل: امرأة طامث أي حائض. وغير الفراء يخالفه في هذا ويقول: طمئها بمعنى وطئها على أي الوجوه كان. إلا أن قول الفراء أعرف وأشهر. وقرأ الكسائي

(لم يطمئهن) بضم الميم، يقال: طمئت المرأة تطمئ بالضم حاضت. وطمئت بالكسر لغة فهي طامث، وقال الفرزدق:

وقعن (١) إلي لم يطمئن قبلي \* وهن أصح من بيض النعام  
وقيل: (لم يطمئن) لم يمسهن، قال أبو عمرو: والطمث المس وذلك في كل شيء يمس. ويقال للمرتع: ما طمئ ذلك المرتع قبلنا أحد، وما طمئ هذه الناقة حبل، أي ما مسها عقال. وقال المبرد: أي لم يذللهن إنس قبلهم ولا جان، والطمث التذليل. وقرأ الحسن (جان) بالهمزة.

الثالثة - في هذه الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس، وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات. قال ضمرة: للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين، فالإنسيات للإنس، والجنيات

للجن. وقيل: أي لم يطمئ ما وهب الله للمؤمنين من الجن في الجنة من الحور العين من الجنيات

جن، ولم يطمئ ما وهب الله للمؤمنين من الإنس في الجنة من الحور العين من الإنسيات

إنس، وذلك لأن الجن لا تطأ بنات آدم في الدنيا. ذكره القشيري. قلت: قد مضى في (النمل (٢)) القول في هذا وفي (سبحان (٣)) أيضا، وأنه جائز أن تطأ بنات آدم. وقد قال مجاهد: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع

معه فذلك قوله تعالى: (لم يطمئهن إنس قبلهم ولا جان) وذلك بأن الله تبارك وتعالى وصف الحور العين بأنه لم يطمئهن إنس قبلهم ولا جان. يعلمك أن نساء الآدميات قد يطمئهن الجان، وأن الحور العين قد برئن من هذا العيب ونزهن، والطمث الجماع. ذكره بكماله الترمذي الحكيم، وذكره المهدي أيضا والثعلبي وغيرهما والله أعلم.

(١) في ب: (دفعن).

(٢) راجع ج ١٣ ص ٢١١

(٣) راجع ج ١٠ ص ٢٨٩



قوله تعالى: كأنهن الياقوت والمرجان (٥٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٩) هل جزاء الاحسان الا الاحسان (٦٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦١)

قوله تعالى: (كأنهن الياقوت والمرجان) روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من

وراء سبعين حلة حتى يرى منحها) وذلك بأن الله تعالى يقول: (كأنهن الياقوت والمرجان)

فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لأريته [من ورائه (١)] ويروى موقوفا.

وقال عمرو بن ميمون: إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء

ذلك، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء. وقال الحسن: هن في صفاء الياقوت،

وبياض (٢) المرجان.

قوله تعالى: (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) (هل) في الكلام على أربعة أوجه: تكون بمعنى قد كقوله تعالى: (هل أتى على الاحسان حين من الدهر (٣))، وبمعنى الاستفهام

كقوله تعالى: (فهل وجدتم ما وعد ربكم (٤) حقا)، وبمعنى الامر كقوله تعالى: (فهل أنتم منتهون (٥))، وبمعنى ما في الجحد كقوله تعالى: (فهل على الرسل إلا البلاغ (٦))،

و (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان). قال عكرمة: أي هل جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة. ابن عباس: ما جزاء من قال لا إله إلا اله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم إلا الجنة. وقيل: هل جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة، قاله ابن زيد. وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان)

ثم قال: (هل تدرون ماذا قال ربكم) قالوا الله ورسوله أعلم، قال: (يقول ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة). وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ

(١) الزيادة من صحيح الترمذي.

(٢) كذا في الأصول، والعهود أن المرجان أحمر.

(٣) راجع ج ١٩ ص ٣٠٦

(٤) راجع ج ٧ ص ٢٠٩  
(٥) راجع ج ٦ ص ٢٩٢  
(٦) راجع ج ١٠ ص ١٠٣

هذه الآية فقال: (يقول الله هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي) وقال الصادق: هل جزاء من أحسنت عليه في الأزل إلا حفظ

الاحسان عليه في الأبد. وقال محمد ابن الحنفية والحسن: هي مسجلة للبر والفاجر، أي مرسله على الفاجر في الدنيا والبر في الآخرة. قوله تعالى: ومن دونهما جنتان (٦٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٣) مدهامتان (٦٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٥) قوله تعالى: (ومن دونهما جنتان) أي وله من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان. قال ابن عباس: ومن دونهما في الدرج. ابن زيد: ومن دونهما في الفضل. ابن عباس: والجنات لمن خاف مقام ربه، فيكون في الأوليين النخل والشجر، وفي الأخيرين الزرع والنبات وما انبسط. الماوردي: ويحتمل أن يكون (ومن دونهما جنتان) لاتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته، إحداهما للحوار العين، والأخرى للولدان المخلدن، لتمييز بهما الذكور عن الإناث.

وقال ابن جريج: هي أربع: جنتان منها للسابقين المقربين (فيهما من كل فاكهة زوجان)

و (عينان تجريان)، وجنتان لأصحاب اليمين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) و (فيهما عينان نضاختان). وقال ابن زيد: إن الأوليين من ذهب للمقربين، والأخريين من ورق لأصحاب اليمين.

قلت: إلى هذا ذهب الحلبي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب (منهاج الدين له)،

واحتج بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولمن خاف مقام ربه جنتان) إلى قوله: (مدهامتان) قال: تانك للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين. وعن أبي موسى الأشعري نحوه. ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما فقال في الأوليين: (فيهما عينان تجريان)، وفي الأخيرين: (فيهما عينان نضاختان) أي فوارتان ولكنهما ليستا كالجاريين

لان النضخ دون الجري. وقال في الأوليين: (فيهما من كل فاكهة زوجان) فعم ولم يخص. وفي الأخيرين: (فيهما فاكهة ونخل ورمان) ولم يقل كل فاكهة، وقال

في الأوليين: (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) وهو الديقاج، وفي الآخرين (متكئين على رفر ف خضر وعبقري حسان) والعبقري الوشي، ولا شك أن الديقاج أعلى من الوشي، والرفر ف كسر الخباء، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخباء. وقال

في الأوليين في صفة الحور: (كأنهن الياقوت والمرجان)، وفي الآخرين (فيهن خيرات حسان) وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان. وقال في الأوليين: (ذواتا أفنان) وفي الآخرين (مدهامتان) أي خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان، ووصف الأوليين بكثرة الأغصان، والآخرين بالخضرة وحدها، وفي هذا كله تحقيق للمعنى الذي قصدنا

بقوله (ومن دونهما جنتان) ولعل ما لم يذكر من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر. فإن قيل: كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأوليين؟ قيل: الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه إلا أن الخائفين لهم مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة

في الخوف من الله تعالى، والجنتان الاخريان لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى.

ومذهب الضحاك أن الجنتين الأوليين من ذهب وفضة، والآخرين من ياقوت وزمرد وهما أفضل من الأوليين، وقوله: (ومن دونهما جنتان) أي ومن أمامهما ومن قبلهما. وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذي الحكيم في (نوادير الأصول) فقال: ومعنى (ومن دونهما جنتان) أي دون هذا إلى العرش، أي أقرب وأدنى إلى العرش، وأخذ يفضلهما على الأوليين بما سذكروه عنه. وقال مقاتل: الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم، والآخران جنة الفردوس وجنة المأوى.

قوله تعالى: (مدهامتان) أي خضروان من الري، قاله ابن عباس وغيره. وقال مجاهد: مسودتان. والدهمة في اللغة السواد، يقال: فرس أدهم وبعير أدهم وناقاة دهماء أي اشتدت زرقته حتى ذهب البياض الذي فيه، فإن زاد على ذلك حتى اشتد السواد فهو جون. وادهم الفرس ادهماما أي صار أدهم. وادهام الشيء ادهيما ما أي اسواد، قال الله

تعالى: (مدهامتان) أي سوداوان من شدة الخضرة من الري، والعرب تقول لكل أخضر أسود. وقال لييد يرثي قتلى هوازن:

وجاءوا (١) به في هودج ووراءه\* كتائب خضر في نسيج السنور السنور لبوس من قد كالدرع. وسميت قرى العراق سوادا لكثرة خضرتها. ويقال لليل المظلم: أخضر. ويقال: أباد الله خضراءهم أي سوادهم.

قوله تعالى: فيهما عينان نضاختان (٦٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٧) فيهما فاكهة ونخل ورمان (٦٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٩)

قوله تعالى: (فيهما عينان نضاختان) أي فوارتان بالماء، عن ابن عباس. والنضخ بالخاء أكثر من النضح بالحاء. وعنه أن المعنى نضاختان بالخير والبركة، وقاله الحسن ومجاهد.

ابن مسعود وابن عباس أيضا وأنس: تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور أهل

الجنة كما ينضخ رش المطر. وقال سعيد بن جبيرة: بأنواع الفواكه والماء. الترمذي: قالوا بأنواع الفواكه والنعم (٢) والجواري المزينات والدواب المسرجات والثياب الملونات. قال

الترمذي: وهذا يدل على أن النضخ أكثر من الجري. وقيل: تنبعان ثم تجريان. قوله تعالى: (فيهما فاكهة ونخل ورمان) فيه مسألتان.

الأولى - قال بعض العلماء: ليس الرمان والنخل من الفاكهة، لان الشيء لا يعطف على نفسه إنما يعطف على غيره. وهذا ظاهر الكلام. وقال الجمهور: هما من الفاكهة وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما وحسن موقعهما على الفاكهة، كقوله تعالى:

(١) وجاءوا به: يعنى قتادة بن مسلمة الحنفي.

(٢) في ب. (النعم).

(حافظوا على الصلوات (١) والصلوة الوسطى) وقوله: (من كان عدوا لله وملائكته  
ورسله  
وجبريل وميكال (٢)) وقد تقدم. وقيل: إنما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهم  
في ذلك  
الوقت بمنزلة البر عندنا، لان النخل عامة قوتهم، والرمان كالثمرات (٣)، فكان يكثر  
غرسهما  
عندهم لحاجتهم إليهما، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها، فإنما  
ذكر  
الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما  
والاها  
من أرض اليمن، فأخرجهما في الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حديثها. وقيل:  
أفردا بالذكر لان النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكه،  
ومنه  
قال أبو حنيفة رحمه الله، وهي المسألة:  
الثانية - إذا حلف أن لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث. وخالفه صاحبه  
والناس. قال ابن عباس: الرمان في الجنة مثل البعير المقتب. وذكر ابن المبارك قال:  
أخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها  
زمرد  
أخضر، وكرانيفها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم،  
وثمرها أمثال  
القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيه عجم  
(٤). قال:  
وحدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة، قال: نخل الجنة نضيد من أصلها  
إلى فرعها، وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى، وإن ماءها  
ليجري  
في غير أخدود، والعنقود اثنا عشر ذراعا.  
قوله تعالى: فيهن خيرات حسان (٧٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧١)  
قوله تعالى: (فيهن خيرات حسان) فيه مسألتان:  
الأولى - قوله تعالى: (فيهن خيرات حسان) يعني النساء الواحدة خيرة على معنى  
ذوات خير. وقيل: (خيرات) بمعنى خيرات فخفف، كهين ولين. ابن المبارك: حدثنا

(١) راجع ج ٣ ص ٢٠٨

(٢) راجع ج ٢ ص ٣٦

(٣) في حاشية الجمل نقلا عن القرطبي: والرمان كالشراب الخ.  
(٤) العجم - بالتحريك - : النوى

الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن عامر قال: لو أن خيرة من (خيرات حسان) اطلعت من السماء لأضاءت لها، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنصيف (١) تكساه

خيرة خير من الدنيا وما فيها. (حسان) أي حسان الخلق، وإذا قال الله تعالى: (حسان) فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنها! وقال الزهري وقتادة: (خيرات) الأخلاق (حسان) الوجوه. وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أم سلمة. وقال أبو صالح: لأنهن عذارى أبكار.

وقرأ قتادة وابن السميعة وأبو رجاء العطاردي وبكر بن حبيب السهمي (خيرات) بالتحديد على الأصل. وقد قيل: أن خيرات جمع خير والمعنى ذوات خير. وقيل: مختارات. قال الترمذي: فالخيرات ما أختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره، فاختيار الله لا يشبه اختيار آدميين. ثم قال: (حسان) فوصفهن بالحسن فإذا وصف خالق الحسن شيئاً بالحسن فانظر ما هناك. وفي الأوليين ذكر بأنهن (قاصرات الطرف) و (كأنهن الياقوت والمرجان) فانظر كم بين الخيرة وهي مختارة الله، وبين قاصرات الطرف. وفي الحديث: (إن الحور العين يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم تسمع

الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا

ونحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدا ونحن خيرات حسان حبيبات

لأزواج كرام). خرجه الترمذي بمعناه من حديث علي رضي الله عنه. وقالت عائشة رضي

الله عنها: إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن،

ونحن المتصدقات وما تصدقتن. فقالت عائشة رضي الله عنها: فغلبنهن والله. الثانية - وأختلف أيهما أكثر حسنا وأبهر جمالا الحور أو الآدميات؟ فقيل: الحور لما ذكر من وصفهن في القرآن والسنة، ولقوله عليه الصلاة والسلام في دعائه على الميت

(١) هو الخمار وقيل المعجر النهاية.



في الجنازة: (وأبدله زوجا خيرا من زوجه). وقيل: الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف، وروي مرفوعا. وذكر ابن المبارك: وأخبرنا رشدين عن ابن أنعم (١) عن حيان ابن أبي جبلة، قال: إن نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا. وقد قيل: إن الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين يخلقن في الآخرة على أحسن صورة، قاله الحسن البصري. والمشهور أن الحور العين لسن، من نساء أهل الدنيا وإنما هن مخلوقات في الجنة، لان الله تعالى قال: (لم يطمثن إنس قبلهم ولا جان) وأكثر نساء أهل الدنيا مطموثات، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أقل ساكني الجنة النساء) فلا يصيب كل واحد منهم امرأة، ووعد الحور العين لجماعتهم، فثبت أنهن من غير نساء الدنيا.

قوله تعالى: حور مقصورات في الخيام (٧٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٣) لم يطمثن انس قبلهم ولا جان (٧٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٥)

قوله تعالى: (حور مقصورات في الخيام) (حور) جمع حوراء، وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وقد تقدم (٢). (مقصورات) محبوسات مستورات (في الخيام) في الحجال

لسن بالطوافات في الطرق، قاله ابن عباس. وقال عمر رضي الله عنه: الخيمة درة مجوفة.

وقاله ابن عباس. وقال: هي فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. وقال الترمذي الحكيم أبو عبد الله في قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام): بلغنا في الرواية أن سحابة أمطرت من العرش فخلقت الحور من قطرات الرحمة، ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب، حتى إذا دخل (٣) ولي الله الجنة

(١) هو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (بفتح أوله وسكون النون وضم المهملة).

(٢) راجع ج ١٥ ص ٨٠

(٣) في ب: (حتى إذا أحل ولي الله بالخيمة).

انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها،

فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين. والله أعلم. وقال في الأوليين: (فيهن قاصرات الطرف) قصرن طرفهن على الأزواج ولم يذكر أنهن مقصورات، فدل على أن المقصورات أعلى وأفضل. وقال مجاهد: (مقصورات) قد قصرن على أزواجهن فلا يردن

بذلا منهم. وفي الصحاح: وقصرت الشيء أقصره قصرا حبسته، ومنه مقصورة الجامع، وقصرت الشيء على كذا إذا لم تجاوز إلى غيره، وامرأة قصيرة وقصورة أي مقصورة في البيت لا تترك أن تخرج، قال كثير:

وأنت التي حبيت كل قصيرة \* إلي وما تدري بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد \* قصار الخطا شر النساء البحاتر (١)

وأنشده الفراء قصورة، ذكره ابن السكيت. وروى أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(مررت ليلة أسري بي في الجنة بنهر حافتاه قباب المرجان فنوديت منه السلام عليك يا رسول

الله فقلت: يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء جوار من الحور العين استأذن ربهن في أن يسلمن

عليك فأذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبؤس أبدا ونحن

الراضيات فلا نسخط أبدا أزواج رجال كرام) ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (حور مقصورات في الخيام) أي محبوسات حبس صيانة وتكرمة. وروى عن أسماء بنت يزيد

(٢)

الأشهلية أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! إنا معشر النساء محصورات

مقصورات، قواعد بيوتكم وحوامل أولادكم، فهل نشارككم في الاجر؟ فقال النبي صلى الله

عليه وسلم: (نعم إذا أحسنتن (٣) تبعل أزواجكن وطلبتن مرضاتهم).

قوله تعالى: (لم يطمثهن) أي لم يمسهن على ما تقدم قبل. وقراءة العامة (يطمثن) بكسر الميم. وقرأ أبو حياة الشامي وطلحة بن مصرف والأعرج والشيرازي عن الكسائي

(١) البحاتر: جمع بحترة بضم الباء القصيرة المجتمعة الخلق.

(٢) في نسخ الأصل بنت عبيد والتصحيح من التهذيب.

(٣) مصابحتهم في الزوجية والعشرة

(١٨٩)

بضم الميم في الحرفين. وكان الكسائي يكسر إحداهما ويضم الأخرى ويخير في ذلك، فإذا رفع الأولى كسر الثانية وإذا كسر الأولى رفع الثانية. وهي قراءة أبي إسحاق السبيعي. قال

أبو إسحاق: كنت أصلي خلف أصحاب علي فيرفعون الميم، وكنت أصلي خلف أصحاب

عبد الله فيكسرونها، فاستعمل الكسائي الاثرين. وهما لغتان طمّث وطمّث مثل يعرشون

ويعكفون، فمن ضم فللجمع بين اللغتين، ومن كسر فلأنها اللغة السائرة. وإنما أعاد قوله:

(لم يطمّثهن، ليبين أن صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة الحور القاصرات الطرف.

يقول: إذا [قصرن (١)] كانت لهن الخيام في تلك الحال.

قوله تعالى: متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان (٧٦) فبأي

آلاء ربكما تكذبان (٧٧) تبارك اسم ربك ذي الجلال والاکرام (٧٨)

قوله تعالى: (متكئين على رفرف خضر) الرفرف المحابس (٢). وقال ابن عباس: الرفرف

فضول الفرش والبسط. وعنه أيضا: الرفرف المحابس يتكئون على فضولها، وقاله قتادة.

وقال الحسن والقرظي: هي البسط. وقال ابن عيينة: هي الزرابي. وقال ابن كيسان:

هي المرافق، وقاله الحسن أيضا. وقال أبو عبيدة: هي حاشية الثوب. وقال الليث:

ضرب من الثياب الخضرة تبسط. وقيل: الفرش المرتفعة. وقيل: كل ثوب عريض

عند العرب فهو رفرف. قال ابن مقبل:

وإننا لنزالون تغشى نعالنا \* سواقط من أصناف ريط ورفرف

وهذه أقوال متقاربة. وفي الصحاح: والرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس، الواحدة

رفرفة. وقال سعيد بن جبير وابن عباس أيضا: الرفرف رياض الجنة، واشتقاق الرفرف

(١) في الأصول كلها: إذا ضجرت الخ والضجر لا يجوز في الجنة ولذا أثبتنا بدل ضجرت قصرن.

(٢) المحابس: جمع محبس كمقعد ثوب يطرح على ظهر الفراش النوم عليه. وفي ل: المجالس وكلا

المعنيين صحيح  
كما في اللغة.

من رف يرف إذا ارتفع، ومنه رفرفة الطائر لتحريكه جناحيه في الهواء. وربما سموا  
الظليم  
ررفافا بذلك، لأنه يرفرف بجناحيه ثم يعدو. ورفرف الطائر أيضا إذا حرك جناحيه حول  
الشيء  
يريد أن يقع عليه. والرفرف أيضا كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها، الواحدة  
رفرفة.

وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة  
[تخشخش (١)]  
أي رفع طرف الفسطاط. وقيل: أصل الرفرف من رف النبات يرف إذا صار غضا نضيرا،  
حكاه الثعلبي. وقال القتيبي: يقال للشيء إذا كثر ماؤه من النعمة والغضاضة حتى كاد  
يهتز:

رف يرف رفيفا، حكاه الهروي. وقد قيل: إن الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه  
رفرف به  
وأهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع أنيسته، قاله الترمذي  
الحكيم

في (نوادير الأصول) وقد ذكرناه في (التذكرة). قال الترمذي: فالرفرف أعظم خطرا من  
الفرش فذكره في الأوليين (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) وقال هنا: (متكئين  
على رفر فحضر) فالرفرف هو شيء إذا استوى عليه الولي رفر به، أي طار به هكذا  
وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح، وأصله من رفر بين يدي الله عز وجل، روي لنا  
في حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدره المنتهى جاءه  
الرفرف

فتناوله من جبريل وطار به إلى مسند العرش، فذكر أنه قال: (طار بي يخفضني ويرفعني  
حتى وقف بي بين يدي ربي) ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي  
به

حتى أداه إلى جبريل صلوات الله وسلامه عليه وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد،  
فالرفرف

خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الأمور في محل الدنو والقرب، كما أن  
البراق

دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك في أرضه، فهذا الرفرف الذي سخره الله لأهل  
الجننتين

الدانيتين هو متكأهما وفرشهما، يرفرف بالولي على حافات تلك الأنهار وشطوطها  
حيث

شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان. ثم قال: (وعبقري حسان) فالعبقري ثياب

منقوشة تبسط، فإذا قال خالق النقوش إنها حسان فما ظنك بتلك العباقر!. وقرأ عثمان  
رضي الله عنه والجحدري والحسن وغيرهم (متكئين على رفارف) بالجمع غير  
مصروف كذلك

-----  
(١) زيادة من كتب اللغة.

(وعباقرى حسان) جمع رفرى وعبقرى. و (رفرف) اسم للجمع و (عبقرى) واحد يدل على الجمع المنسوب إلى عبقر. وقد قيل: إن واحد رفرى وعبقرى رفرفة وعبقرية،

والرفارف والعباقر جمع الجمع. والعبقرى الطنافس الثخان منها، قاله الفراء. وقيل: الزرابى،

عن ابن عباس وغيره. الحسن: هى البسط. مجاهد: الدياج. القتبى: كل ثوب وشىء عند العرب عبقرى. قال أبو عبید: هو منسوب إلى أرض يعمل فيها الوشى فينسب إليها كل وشى حبك. قال ذو الرمة:

حتى كأن رياض القف ألبسها\* من وشى عبقر تحليل وتنجيد

ويقال: عبقر قرية بناحية اليمن تنسج فيها بسط منقوشة. وقال ابن الأنبارى: إن الأصل فيه أن عبقر قرية يسكنها الجن ينسب إليها كل فائق جليل. وقال الخليل: كل جليل نانس

فاضل وفاخر من الرجال والنساء وغيرهم عند العرب عبقرى. ومنه قول النبى صلى الله عليه

وسلم فى عمر رضى الله عنه: فلم أر عبقرىا من الناس يفري فريه) وقال أبو عمرو بن العلاء

وقد سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم (فلم أر عبقرىا يفري فريه) فقال: رئيس قوم وجليلهم. وقال زهير:

بخيل عليها جنة عبقرية\* جديرون يوما أن ينالوا فيستعلوا

وقال الجوهري: العبقرى موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن. قال ليبيد:

\* كهول وشبان كجنة عبقر (١) \*

ثم نسبوا إليه كل شىء يعجبون من حدقه وجودة صنعته وقوته فقالوا: عبقرى وهو واحد وجمع. وفى الحديث: (إنه كان يسجد على عبقرى) وهو هذه البسط التى فيها الاصباغ

والنقوش حتى قالوا: ظلم عبقرى وهذا عبقرى قوم للرجل القوي. وفى الحديث: (فلم أر عبقرىا يفري فريه) ثم خاطبهم الله بما تعارفوه فقال: (وعبقرى حسان) وقرأه بعضهم

(١) صدر البيت: \* ومن فاد من إخوانهم وبنينهم \*



(عباقري) وهو خطأ لان المنسوب لا يجمع على نسبته، وقال قطرب: ليس بمنسوب وهو مثل كرسى وكراسى وبختى وبختاتي. وروى أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قرأ (متكئين على رفارف خضر وعباقر حسان) ذكره الثعلبي. وضم الضاد من (خضر) قليل.

قوله تعالى: (تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) (تبارك) تفاعل من البركة وقد تقدم (١). (ذي الجلال) أي العظمة. وقد تقدم (والاكرام (٢)). وقرأ عامر (ذو الجلال)

بالواو وجعله وصفا للاسم، وذلك تقوية لكون الاسم هو المسمى. الباقون (ذي الجلال)

جعلوا (ذي) صفة ل (ربك). وكأنه يريد الاسم الذي افتتح به السورة، فقال: (الرحمن) فافتتح بهذا الاسم، فوصف خلق الانسان والجن (٣)، وخلق السماوات والأرض

وصنعه، وأنه (كل يوم هو في شأن) ووصف تديره فيهم، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها،

وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان. ثم قال في آخر السورة: (تبارك اسم ربك ذي الجلال

والاكرام) (أي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة، كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم

من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم وخلقتم لكم السماء والأرض والخلق والخليقة والجنة والنار،

فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه ثم قال: (ذي الجلال والاكرام) جليل في ذاته،

كريم في أفعاله. ولم يختلف القراء في إجراء النعت على الوجه بالرفع في أول السورة، وهو

يدل على أن المراد به وجه الله الذي يلقي المؤمنون عندما ينظرون إليه، فيستبشرون بحسن

الجزاء، وجميل اللقاء، وحسن العطاء. والله أعلم.

(١) راجع ج ١٣ ص ١

(٢) راجع ص ١٦٥ من هذا الجزء.

(٣) في ب: (والشياطين).



## سورة الواقعة

مكية، وهي سبع وتسعون آية

مكية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها  
نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون). وقال الكلبي: مكية  
إلا

أربع آيات، منها آيتان (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون. وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)  
نزلتا في سفره إلى مكة، وقوله تعالى: (ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين) نزلتا في سفره  
إلى المدينة. وقال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة،  
ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة. وذكر أبو عمر  
ابن عبد البر في (التمهيد) و (التعليق) والثعلبي أيضا: أن عثمان دخل على ابن مسعود  
يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟  
قال: رحمة ربي. قال: أفلا ندعو لك طبيبا؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا  
نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، حبسته عني في حياتي، وتدفعه لي عند  
مماتي؟

قال: يكون لبناتك من بعدك. قال: أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي؟ إنني أمرتهن أن  
يقرأن سورة (الواقعة) كل ليلة، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:  
(من)

قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا.

بسم الله الرحمن رحيم

إذا وقعت الواقعة (١) ليس لوقعتها كاذبة (٢) خافضة رافعة (٣)

إذا رجت الأرض رجا (٤) وبست الجبال بسا (٥) فكانت

هباء منبثا (٦)

قوله تعالى: (إذا وقعت الواقعة) أي قامت القيامة، والمراد النفخة الأخيرة. وسميت

واقعة لأنها تقع عن قرب. وقيل: لكثرة ما يقع فيها من الشدائد. وفيه إضمار، أي

اذكروا

إذا وقعت الواقعة. وقال الجرجاني: (إذا) صلة، أي وقعت الواقعة، كقوله: (اقتربت الساعة (١)) و (أتى أمر الله (٢)) وهو كما يقال: قد جاء الصوم أي دنا واقترب. وعلى الأول

(إذا) للوقت، والجواب قوله: (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة). (ليس لوقعتها كاذبة)

الكاذبة مصدر بمعنى الكذب، والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر، كقوله تعالى: (لا تسمع فيها لاغية) (٣) أي لغو، والمعنى لا يسمع (٤) لها كذب، قاله الكسائي.

ومنه قول العامة: عائذا بالله أي معاذ الله، وقم قائما أي قم قياما. ولبعض نساء العرب ترقص ابنها:

قم قائما قم قائما \* أصبت عبدا نائما

وقيل: الكاذبة صفة والموصوف محذوف، أي ليس لوقعتها حال كاذبة، أو نفس كاذبة،

أي كل من يخبر عن وقعته صادق.

وقال الزجاج: (ليس لوقعتها كاذبة) أي لا يردھا

شئ. ونحوه قول الحسن وقتادة. وقال الثوري: ليس لوقعتها أحد يكذب بها. وقال الكسائي (٥) أيضا: ليس لها تكذيب، أي ينبغي ألا يكذب بها أحد. وقيل: إن قيامها جد

لا هزل فيه.

قوله تعالى: (خافضة رافعة) قال عكرمة ومقاتل والسدي: خفضت الصوت فأسمعت من دنا ورفعت من نأى، يعني أسمعت القريب والبعيد. وقال السدي: خفضت المتكبرين

ورفعت المستضعفين. وقال قتادة: خفضت أقواما في عذاب الله، ورفعت أقواما إلى طاعة الله.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خفضت أعداء الله في النار، ورفعت أولياء الله في الجنة.

وقال محمد بن كعب: خفضت أقواما كانوا في الدنيا مرفوعين، ورفعت أقواما كانوا في الدنيا

مخفوضين. وقال ابن عطاء: خفضت أقواما بالعدل، ورفعت آخرين بالفضل. والخفض والرفع

يستعملان عند العرب في المكان والمكانة، والعز والمهانة. ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة

- 
- (١) راجع ج ١٠ ص ٦٥  
(٢) راجع ص ١٢٥ من هذا الجزء.  
(٣) راجع ج ٢٠ ص ٣٣  
(٤) في ب: (ليس لها كذب).  
(٥) في ب: (الحسن).

توسعا ومجازا على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل،

يقولون: ليل نائم ونهار صائم. وفي التنزيل: (بل مكر الليل والنهار (١)) والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله وحده، فرفع أوليائه في أعلى الدرجات، وخفض أعداءه في أسفل الدرجات.

وقرأ الحسن وعيسى الثقفي (خافضة رافعة) بالنصب. الباقون بالرفع على إضمار مبتدأ، ومن نصب فعلى الحال. وهو عند الفراء على إضمار فعل، والمعنى: إذا وقعت الواقعة. ليس لوقعتها كاذبة - وقعت: خافضة رافعة. والقيامة لا شك في وقوعها، وأنها ترفع أقواما وتضع آخرين على ما بيناه.

قوله تعالى: (إذا رجت الأرض رجاً) أي زلزلت وحركت عن مجاهد وغيره، يقال: رجه

يرجه رجاً أي حركه وزلزه. وناقرة رجاء أي عظيمة السنام. وفي ب الحديث: (من ركب البحر حين

يرتج فلا ذمة له) يعنى إذا اضطربت أمواجه. قال الكلبي: وذلك أن الله تعالى إذا أوحى إليها

اضطربت فرقا من الله تعالى. قال المفسرون: ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل

ما عليها، وينكسر كل شئ عليها من الجبال وغيرها. وعن ابن عباس الرجة الحركة الشديدة

يسمع لها صوت. وموضع (إذا) نصب على البدل من (إذا وقعت). ويجوز أن ينتصب ب (خافضة رافعة) أي تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال، لأن عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع، ويرتفع ما هو منخفض. وقيل: أي وقعت الواقعة إذا رجت الأرض، قاله الزجاج والجرجاني. وقيل: أي أذكر (إذا رجت الأرض رجاً) مصدر وهو دليل على تكرير الزلزلة.

قوله تعالى: (وبست الجبال بسا) أي فتتت، عن ابن عباس. مجاهد: كما يبس الدقيق أي يلت. والبسيصة السويق أو الدقيق يلت بالسمن أو بالزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا. قال الراجز:

لا تخبزاً خبزاً وبسابسا\* ولا تطيلاً بمناخ حبسا



وذكر أبو عبيدة: أنه لص من غطفان أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن ذلك فأكله عجيناً.

والمعنى أنها خلطت فصارت كالدقيق الملتوت بشئ من الماء. أي تصير الجبال تراباً فيختلط

البعض ببعض. وقال الحسن: وبست قلعت من أصلها فذهبت، نظيره: (ينسفها ربي نسفا (١)). وقال عطية: بسطت كالرمل والتراب. وقيل: البس السوق أي سبقت الجبال.

قال أبو زيد: البس السوق، وقد بسست الإبل أبسها بالضم بسا. وقال أبو عبيد: بسست

الإبل وأبسست لغتان إذا زجرتها وقلت لها بس بس. وفي الحديث: (يخرج قوم من المدينة

إلى اليمن والشام والعراق ييسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) ومنه الحديث الآخر:

(جاءكم أهل اليمن ييسون عيالهم (٢)) والعرب تقول: جئ به من حسك وبسك. ورواهما

أبو زيد بالكسر، فمعنى من حسك من حيث أحسسته، وبسك من حيث بلغه مسيرك. وقال

مجاهد: سألت سيلاً. عكرمة: هدت هدا. محمد بن كعب: سيرت سيرا، ومنه قول الأغلب العجلي (٣):

وقال الحسن: قطعت قطعاً. والمعنى متقارب.

قوله تعالى: (فكانت هباء منبثاً) قال علي رضي الله عنه: الهباء المنبث الريح الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب، فجعل الله أعمالهم كذلك. وقال مجاهد: الهباء هو الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار. وروي نحوه عن ابن عباس. وعنه أيضاً: هو ما تطاير من النار إذا اضطربت يطير منها شرر فإذا وقع لم يكن شيئاً. وقال عطية. وقد

مضى في (الفرقان) عند قوله تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً (٥))

وقراءة العامة (منبثاً) بالثاء المثناة أي متفرقا من قوله تعالى: (وبث فيها من كل دابة (٦))

أي فرق ونشر. وقرأ مسروق والنخعي وأبو حياة (منبثاً) بالثاء المثناة أي منقطعاً من قولهم:

بته الله أي قطعه، ومنه البتات.



- 
- (١) راجع ج ١١ ص ٢٤٥  
(٢) أي يسوقون عيالهم.  
(٣) بياض بالأصول في موضع الشاهد من قول الأغب العجلي الراجز ولم نعثر عليه.  
(٤) الرهج بالفتح وبالاسكان الغبار.  
(٥) راجع ١٣ ص ٢٢  
(٦) راجع ج ٢ ص ١٩٦

قوله تعالى: وكنتم أزواجا ثلاثة (٧) فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة (٨) وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة (٩) والسابقون السابقون (١٠) أولئك المقربون (١١) في جنات النعيم (١٢) قوله تعالى: (وكنتم أزواجا ثلاثة) أي أصنافا ثلاثة كل، صنف يشاكل ما هو منه، كما يشاكل

الزوج الزوجة، ثم بين من هم فقال: (فأصحاب الميمنة) (وأصحاب المشأمة) و (السابقون)،

فأصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب المشأمة هم الذين يؤخذ

بهم ذات الشمال إلى النار، قاله السدي. والمشأمة الميسرة وكذلك الشأمة. يقال: قعد فلان شأمة. ويقال: يا فلان شائم بأصحابك، أي خذ بهم شأمة أي ذات الشمال.

والعرب

تقول لزيد الشمال الشؤمي، وللجانب الشمال الأشأم. وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن،

ولما جاء عن الشمال الشؤم. وقال ابن عباس والسدي: أصحاب الميمنة هم الذين كانوا

عن يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه فقال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي. وقال

زيد بن أسلم: أصحاب الميمنة هم الذين أخذوا من شق آدم الأيمن يومئذ، وأصحاب المشأمة

الذين أخذوا من شق آدم الأيسر. وقال عطاء ومحمد بن كعب: أصحاب الميمنة من أوتي

كتابه بيمينه، وأصحاب المشأمة من أوتي كتابه بشماله. وقال ابن جريج: أصحاب الميمنة هم

أهل الحسنات، وأصحاب المشأمة هم أهل السيئات. وقال الحسن والربيع: أصحاب الميمنة

الميامين على أنفسهم بالاعمال الصالحة، وأصحاب المشأمة المشائيم على أنفسهم بالاعمال

السيئة القبيحة. وفي صحيح مسلم من حديث الاسراء عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: (فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة - قال - فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى - قال - فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح - قال - قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم عليه السلام وهذه الأسودة

التي عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله  
أهل  
النار) وذكر الحديث. وقال المبرد: وأصحاب الميمنة أصحاب التقدم، وأصحاب  
المشأمة

أصحاب التأخر. والعرب تقول: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك، أي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلنا من المتأخرين. والتكرير في (ما أصحاب الميمنة). و (ما أصحاب المشأمة)

للتفخيم والتعجيب، كقوله: (الحاقة ما الحاقة) و (القارعة ما القارعة) كما يقال: زيد ما زيد! وفي حديث أم زرع رضي الله (١) عنها: مالك وما مالك! والمقصود تكثير ما لأصحاب

الميمنة من الثواب ولأصحاب المشأمة من العقاب. وقيل: (أصحاب) رفع بالابتداء والخبر

(ما أصحاب الميمنة) كأنه قال: (فأصحاب الميمنة) ما هم، المعنى: أي شيء هم. وقيل:

يجوز أن تكون (ما) تأكيداً، والمعنى فالذين يعطون (٢) كتابهم بأيمانهم هم أصحاب التقدم وعلو المنزلة.

قوله تعالى: (والسابقون السابقون) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (السابقون الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم)

ذكره المهدوي. وقال محمد بن كعب القرظي: إنهم الأنبياء. الحسن وقتادة: السابقون إلى

الايمان من كل أمة. ونحوه عن عكرمة. محمد بن سيرين: هم الذين صلوا إلى القبليتين، دليله قوله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار (٣)). وقال مجاهد وغيره:

هم السابقون إلى الجهاد، وأول الناس رواحا إلى الصلاة. وقال علي رضي الله عنه: هم السابقون إلى الصلوات الخمس. الضحاك: إلى الجهاد. سعيد بن جبير: إلى التوبة وأعمال

البر، قال الله تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من (٤) ربكم) ثم أثنى عليهم فقال: (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها (٥) سابقون). وقيل: إنهم أربعة، منهم سابق أمة موسى وهو

حزقيل مؤمن آل فرعون، وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية، وسابقان

في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قاله ابن عباس، حكاة

الماوردي. وقال شميظ بن العجلان: الناس ثلاثة، فرجل ابتكر للخير في حداثة سنه

-----

(١) حديث أم زرع رواه مسلم في فضائل الصحابة عن عائشة رضي الله عنها أنه: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً، فقالت إحداهن: زوجي مالك وما مالك! مالك خير من ذلك..... الخ. الحديث.

(٢) في ب، ز، ح، س، ل، هـ: (يؤتون كتابهم).

(٣) راجع ج ٨ ص ٢٣٥

(٤) راجع ج ٤ ص ٢٠٣

(٥) راجع ج ١٢ ص ١٣٣

داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب  
ثم طول  
الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر عمره  
بالذنوب  
ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من أصحاب الشمال. وقيل: هم كل من سبق  
إلى شئ

من أشياء الصلاح. ثم قيل: (السابقون) رفع بالابتداء والثاني توكيد له والخبر  
(أولئك المقربون). وقال الزجاج: (السابقون) رفع بالابتداء والثاني خبره، والمعنى  
السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله (أولئك المقربون) من صفتهم.  
وقيل:

إذا خرج رجل من السابقين المقربين من منزله في الجنة كان له ضوء يعرفه به من دونه.  
قوله تعالى: ثلة من الأولين (١٣) وقليل من الآخرين (١٤)  
على سرر موضونة (١٥) متكئين عليها متقابلين (١٦)  
قوله تعالى: (ثلة من الأولين) أي جماعة من الأمم الماضية. (وقليل من الآخرين)  
أي ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم. قال الحسن: ثلة ممن قد مضى قبل هذه  
الامة،

وقليل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم اجعلنا منهم بكرمك. وسموا  
قليلا بالإضافة

إلى من كان قبلهم، لان الأنبياء المتقدمين كثروا فكثرت السابقون إلى الايمان منهم،  
فزادوا

على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا. وقيل: لما نزل هذا شق على أصحاب رسول  
الله

صلى الله عليه وسلم فنزلت: (ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين) فقال النبي صلى الله  
عليه

وسلم: (إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة بل ثلث أهل الجنة بل نصف أهل الجنة  
وتقاسمونهم في النصف الثاني) رواه أبو هريرة، ذكره الماوردي وغيره. ومعناه ثابت  
في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود. وكأنه أراد أنها منسوخة والأشبه أنها  
محكمة

لأنها خبر، ولأن ذلك في جماعتين مختلفتين. قال الحسن: سابقو من مضى أكثر من  
سابقينا، فلذلك قال: (وقليل من الآخرين) وقال في أصحاب اليمين وهم سوى  
السابقين:

(ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين) ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأرجو

(۲۰۰)

أن تكون أمتي شطر أهل الجنة) ثم تلا قوله تعالى: (ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين) [قال مجاهد: كل من هذه الأمة. وروى سفيان عن أبان عن سعيد بن جبير عن ابن

عباس

عن النبي صلى الله عليه وسلم: (الثلاثان جميعا من أمتي) يعني (ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين). وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال أبو بكر رضي الله [١]

عنه: كلا الثنتين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فمنهم من هو في أول أمته، ومنهم من

هو في آخرها، وهو مثل قوله تعالى: (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات

بإذن الله (٢)). وقيل: (ثلة من الأولين) أي من أول هذه الأمة. (وقليل من الآخرين) يسارع في الطاعات حتى يلحق درجة الأولين، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (خيركم

قرني) ثم سوى في أصحاب اليمين بين الأولين والآخرين. والثلة من ثلث الشئ أي قطعته،

فمعنى ثلة كمعنى فرقة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: (على سرر موضونة) أي السابقون في الجنة (على سرر)، أي مجالسهم على سرر جمع سرير. (موضونة) قال ابن عباس: منسوجة بالذهب. وقال عكرمة: مشبكة

بالدر والياقوت. وعن ابن عباس أيضا: (موضونة) مصفوفة، كما قال في موضع آخر: (على سرر مصفوفة (٢)). وعنه أيضا وعن مجاهد: مرمولة (٣) بالذهب. وفي التفاسير: (موضونة

أي منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد. والوضن النسج المضاعف

والنضد، يقال: وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض فهو موضون، ودرع موضونة

أي محكمة في النسج مثل مصفوفة، قال الأعشى:

ومن نسج داود موضونة\* تساق مع الحي عيرا فعيرا  
وقال أيضا:

وبيضاء كالنهي موضونة\* لها قونس فوق جيب البدن

(١) ما بين المربعين ساقط من ح، ز، س، ل، هـ.

(٢) راجع ج ١٤ آية ٣٢



(٢) راجع ص ٦٥ من هذا الجزء.  
(٣) مرمولة: منسوجة.

(٢٠١)

والسرير الموضون: الذي سطحه بمنزلة المنسوج، ومنه الوضين: بطن من سيور ينسج  
فيدخل بعضه في بعض، ومنه قوله:  
\* إليك تعدو قلقا وضيئها (١) \*

(متكئين عليها) أي على السرر (متقابلين) أي لا يرى بعضهم قفا بعض، بل تدور بهم  
الأسرة، وهذا في المؤمن وزوجته وأهله، أي يتكئون متقابلين. قاله مجاهد وغيره. وقال  
الكلبي: طول كل سرير ثلاثمائة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت فإذا  
جلس  
عليها ارتفعت.

قوله تعالى: يطوف عليهم ولدان مخلدون (١٧) بأكواب وأباريق  
وكأس من معين (١٨) لا يصدعون عنها ولا ينزفون (١٩) وفاكهة  
مما يتخيرون (٢٠) ولحم طير مما يشتهون (٢١) وحوار عين (٢٢)  
كأمثال اللؤلؤ المكنون (٢٣) جزاء بما كانوا يعملون (٢٤) لا يسمعون  
فيها لغوا ولا تأثيما (٢٥) الا قبيلا سلاما سلاما (٢٦)  
قوله تعالى: (يطوف عليهم ولدان مخلدون) أي غلمان لا يموتون، قاله مجاهد.  
الحسن والكلبي: لا يهرمون ولا يتغيرون، ومنه قول امرئ القيس:  
وهل ينعمن إلا سعيد مخلد \* قليل الهموم ما يبيت بأوجال  
وقال سعيد بن جبير: مخلدون مقرطون، يقال للمقرط الخلد والجماعة الحلي الخلد.  
وقيل: مسورون ونحوه عن الفراء، قال الشاعر:  
ومخلدات باللجين كأنما \* أعجازهن أقاوز (٢) الكثبان

(١) الضمير يعود على الناقة، أراد أنها قد هزلت ودقت للسير عليها.  
(٢) الأقاوز جمع قوز وهو كتيب من الرمل صغير، شبه به أرداف النساء، فالإضافة البيان.

وقيل: مقرطون يعني ممنطقون من المناطق. وقال عكرمة: (مخلدون) منعمون. وقيل: على سن واحدة أنشأهم الله لأهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة. وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري: الولدان ها هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة. وقال سلمان الفارسي: أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة. قال الحسن: لم يكن لهم حسنات يجزون بها، ولا سيئات يعاقبون عليها، فوضعوا في هذا الموضع. والمقصود: أن أهل الجنة على أتم السرور والنعمة، والنعمة إنما تتم باحتفاف الخدم والولدان بالإنسان. (بأكواب وأباريق) أكواب جمع كوب وقد مضى في (الزخرف (١)) وهي الآنية التي لا عرى لها ولا خراطيم، والأباريق التي لها عرى وخراطيم واحدها إبريق، سمي بذلك لأنه يبرق لونه من صفائه. (وكأس من معين) مضى في (والصافات (٢)) القول فيه. والمعين الجاري من ماء أو خمر، غير أن المراد في هذا الموضع الخمر الجارية من العيون. وقيل: الظاهرة للعيون فيكون (معين) مفعولاً من المعاينة. وقيل: هو فاعيل من المعن وهو الكثرة. وبين أنها ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر وتكلف ومعالجة. قوله تعالى: (لا يصدعون عنها) أي لا تنصدع رؤوسهم من شربها، أي إنها لذة بلا أذى بخلاف شراب الدنيا. (ولا ينزفون) تقدم في (والصافات) أي لا يسكرون فتذهب عقولهم. وقرأ مجاهد: (لا يصدعون) بمعنى لا يتصدعون أي لا يتفرقون، كقوله تعالى: (يومئذ (٣) يصدعون). وقرأ أهل الكوفة (ينزفون) بكسر الزاي، أي لا ينفذ شرابهم ولا تقنى خمرهم، ومنه قول الشاعر (٤):  
لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم \* لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

(١) راجع ج ١٦ ص ١١٢

(٢) راجع ج ١٥ ص ٧٧

(٣) راجع ج ١٤ ص ٤٢

(٤) هو الحطيئة وقد تقدم البيت في ج ١٥ ص ٧٩

(٢٠٣)

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقئ والبول، وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال. قوله تعالى: (وفاكهة مما يتخيرون) أي يتخيرون ما شاءوا لكثرتها. وقيل: وفاكهة متخيرة مرضية، والتخير الاختيار. (ولحم طير مما يشتهون) روى الترمذي عن أنس بن مالك

قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر؟ قال: (ذاك نهر أعطانيه الله تعالى - يعني

في الجنة - أشد بياضا من اللبن أحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر) قال عمر:

إن هذه لناعمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكلتها أحسن منها (١)) قال: حديث

حسن. وخرجه الثعلبي من حديث أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يد ولي الله فيقول أحدها يا ولي الله رعيت

في مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل مني فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى

يخطر على قلبه أكل أحدها فتخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد فإذا شبع

تجمع عظام الطائر فطار يرعى في الجنة حيث شاء) فقال عمر: يا نبي الله إنها لناعمة. فقال: (أكلها أنعم منها). وروى عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة لطيرا في الطائر منها سبعون ألف ريشة فيقع على صحيفة الرجل

من أهل الجنة ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون طعام أبيض من الثلج وأبرد وألين من الزبد وأعذب من الشهد ليس فيه لون يشبه صاحبه فيأكل منه ما أراد ثم يذهب فيطير).

قوله تعالى: (وحوور عين) قرئ بالرفع والنصب والجر، فمن جر وهو حمزة والكسائي وغيرهما جاز أن يكون معطوفا على (بأكواب) وهو محمول على المعنى، لأن المعنى يتنعمون

بأكواب وفاكهة ولحم وحوور، قاله الزجاج. وجاز أن يكون معطوفا على (جنات) أي هم في (جنات النعيم) وفي حور على تقدير حذف المضاف، كأنه قال: وفي معاشرة

-----

(١) في نسخ الأصل: أكلتها أنعم منها. وما أثبتناه هو في صحيح الترمذي.

(٢٠٤)

حور. الفراء: الجر على الاتباع في اللفظ وإن اختلفا في المعنى، لان الحور لا يطاف بهن،  
قال الشاعر:

إذا ما الغايات برزن يوما \* وزججن الحواجب والعيونا  
والعين لا تزجج وإنما تكحل. وقال آخر:

ورأيت زوجك في الوغى \* متقلدا سيفا ورمحا

وقال قطرب: هو معطوف على الأكواب والأباريق من غير حمل على المعنى. قال:  
ولا ينكر أن يطاف عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذة. ومن نصب وهو الأشهب  
العقيلي

والنخعي وعيسى بن عمر الثقفي وكذلك هو في مصحف أبي، فهو على تقدير إضمار  
فعل، كأنه

قال: ويزوجون حورا عينا. والحمل في النصب على المعنى أيضا حسن، لان معنى  
يطاف

عليهم به يعطونه. ومن رفع وهم الجمهور - وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم - فعلى  
معنى

وعندهم حور عين، لأنه لا يطاف عليهم بالحور. وقال الكسائي: ومن قال: (وحور  
عين)

بالرفع وعلل بأنه لا يطاف بهن يلزمه ذلك في فاكهة ولحم، لان ذلك لا يطاف به  
وليس يطاف

إلا بالخمير وحدها. وقال الأخفش: يجوز أن يكون محمولا على المعنى، لان المعنى  
لهم أكواب

ولهم حور عين. وجاز أن يكون معطوفا على (ثلة) و (ثلة) ابتداء وخبره (على سرر  
موضونة) وكذلك (وحور عين) وابتداء بالنكرة لتخصيصها بالصفة. (كأمثال) أي مثل  
أمثال (اللؤلؤ المكنون) أي الذي لم تمسه الأيدي ولم يقع عليه الغبار فهو أشد ما يكون  
صفاء وتألؤا، أي هن في تشاكل أجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن كما قال  
الشاعر:

كأنما خلقت في قشر لؤلؤة \* فكل أكنافها وجه لمرصاد

(جزاء بما كانوا يعملون) أي ثوابا ونصبه على المفعول له. ويجوز أن يكون على  
المصدر،

لان معنى (يطوف عليهم ولدان مخلدون) يجازون. وقد مضى الكلام في الحور العين  
في (الطور (١)) وغيرها. وقال أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خلق الله الحور  
العين

-----  
(١) راجع ص ٦٥ من هذا الجزء و ج ١٦ ص ١٥٢

(٢٠٥)



من الزعفران) وقال خالد بن الوليد: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرجل من أهل الجنة ليمسك التفاحة من تفاح الجنة فتفلق في يده فتخرج منها حوراء لو نظرت للشمس لأخجلت الشمس من حسنها من غير أن ينقص من التفاحة) فقال له رجل: يا أبا سليمان إن هذا لعجب ولا ينقص من التفاحة؟ قال: نعم كالسراج الذي يوقد منه سراج آخر وسرج ولا ينقص، والله على ما يشاء قدير. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

خلق الله الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض، عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق (١) النعمان، إذا أقبلت يتلأأ وجهها نورا ساطعا كما تتلأأ الشمس لأهل الدنيا، وإذا أدبرت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها، في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر، لكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادي: هذا ثواب الأولياء (جزء بما كانوا يعملون).

قوله تعالى: (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما) قال ابن عباس: باطلا ولا كذبا. واللغو ما يلغى من الكلام، والتأثيم مصدر أثمته أي قلت له أثمت. محمد بن كعب: (ولا تأثيما) أي لا يؤثم بعضهم بعضا. مجاهد: (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما) شتما ولا ماثما. (الاقبال)

سلاما سلاما) (قيلا) منصوب ب (يسمعون) أو استثناء منقطع أي لكن يقولون قيلا أو يسمعون. و (سلاما سلاما) منصوبان بالقول، أي إلا أنهم يقولون الخير. أو على المصدر

أي إلا أن يقول بعضهم لبعض سلاما. أو يكون وصفا ل (قيلا)، والسلام الثاني بدل من الأول، والمعنى إلا قيلا يسلم فيه من اللغو. ويجوز الرفع على تقدير سلام عليكم. قال ابن عباس: أي يحيي بعضهم بعضا. وقيل: تحييهم الملائكة أو يحييهم ربهم عز وجل.

-----  
(١) شقائق النعمان: نبات أحمر الزهر. الواحدة شقيقة النعمان.

(٢٠٦)

قوله تعالى: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين (٢٨) في سدر  
مخضود (٢٨) وطلح منضود (٢٩) وظل ممدود (٣٠) وماء مسكوب (٣١)  
وفاكهة كثيرة (٣٢) لا مقطوعة ولا ممنوعة (٣٣) وفرش مرفوعة (٣٤)  
انا أنشأناهن انشاء (٣٥) فجعلناهن أبكارا (٣٦) عربا أترابا (٣٧)  
لأصحاب اليمين (٣٨) ثلثة من الأولين (٣٩) وثلثة من الآخرين (٤٠)  
قوله تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) رجع إلى ذكر منازل أصحاب  
الميمنة وهم السابقون على ما تقدم، والتكرير لتعظيم شأن النعيم الذي هم فيه. (في  
سدر

مخضود) أي في نبق قد خضد شوكة أي قطع، قاله ابن عباس وغيره. وذكر ابن  
المبارك:

حدثنا صفوان عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون:  
إنه

لينفعنا الاعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوما، فقال: يا رسول الله! لقد ذكر  
الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها؟ قال  
رسول الله

صلى الله عليه وسلم: (وما هي) قال: السدر فإن له شوكة مؤذيا، فقال صلى الله عليه  
وسلم:

(أو ليس يقول (في سدر مخضود) خضد الله شوكة فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها  
تنبت

ثمرا يفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الآخر). وقال  
أبو العالية والضحاك: نظر المسلمون إلى و ج (وهو (١) واد بالطائف مخصب)  
فأعجبهم سدره،

فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا، فنزلت. قال أمية بن أبي الصلت يصف الجنة:

إن الحدائق في الجنان ظليلة\* فيها الكواعب سدرها مخضود

وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان: (في سدر مخضود) وهو الموقر حملا. وهو  
قريب مما ذكرنا في الخبر. سعيد بن جبير: ثمرها أعظم من القلال. وقد مضى هذا في  
سورة

(١) الذي في اللسان: و ج موضع بالبادية. وقيل: بلد بالطائف، وقيل هي الطائف.

(النجم (١)) عند قوله تعالى: (عند سدرة المنتهى) وأن ثمرها مثل قلال هجر من حديث

أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى: (وطلع منضود) الطلح شجر الموز واحده طلحة. قاله أكثر المفسرين علي وابن عباس وغيرهم. وقال الحسن: ليس هو موز ولكنه شجر له ظل بارد رطب. وقال الفراء وأبو عبيدة: شجر عظام له شوك، قال بعض الحداءة (٢) وهو الجعدي: بشرها دليلها وقالاً\* غدا ترين الطلح والأحبالا (٣) فالطلح كل شجر عظيم كثير الشوك. الزجاج: يجوز أن يكون في الجنة وقد أزيل شوكة.

وقال الزجاج أيضا: كشجر أم غيلان [له (٤)] نور طيب جدا فخطبوا ووعدوا بما يحبون مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا. وقال السدي: طلع الجنة يشبه طلع الدنيا لكن له ثمر أحلى من العسل. وقرأ علي بن أبي طالب رضي عنه الله:

(وطلع منضود) بالعين وتلا هذه الآية (ونخل طلعتها هضيم (٥)) وهو خلاف المصحف.

في رواية أنه قرئ بين يديه (وطلع منضود) فقال: ما شأن الطلح؟ إنما هو (وطلع منضود) ثم قال: (لها طلع نضيد) فقيل له: أفلا نحولها؟ فقال: لا ينبغي أن يهاج القرآن ولا يحول. فقد اختار هذه القراءة ولم ير إثباتها في المصحف لمخالفة ما رسمه مجمع عليه.

قاله القشيري. وأسند أبو بكر الأنباري قال: حدثني أبي قال حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا

عيسى بن يونس عن مجالد عن الحسن بن سعد عن قيس بن عباد قال: قرأت عند علي أو قرئت عند علي - شك مجالد - (وطلع منضود) فقال علي رضي الله عنه: ما بال الطلح؟

أما تقرأ (وطلع) ثم قال: (لها طلع نضيد) فقال له: يا أمير المؤمنين أنحكها من المصحف؟

(١) راجع ص ٩٤ وص ٥ من هذا الجزء.

(٢) كذا في الأصول (الحداءة) بالحاء المهملة والذي في تفسير الطبري (الجداة) بالجيم.

(٣) الاحبال جمع حبل بالضم: ثمر السلم والبال والسمر أو ثمر العضاه عامة.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) راجع ج ١٣ ص ١٢٧

(٢٠٨)

فقال: [لا (١)] لا يهاج القرآن اليوم. قال أبو بكر: ومعنى هذا أنه رجع إلى ما في المصحف وعلم أنه هو الصواب، وأبطل الذي كان فرط من قوله. والمنضود المتراكب الذي [قد (١) نضد

أوله وآخره بالحمل، ليست له سوق بارزة بل هو مرصوص، والنضد هو الرص والمنضد

المرصوص، قال النابغة:

خلت سبيل أتى كان يحبسه \* ورفعته إلى السجفين فالنضد  
وقال مسروق: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها نضيدة ثمر كله، كلما أكل ثمرة عاد مكانها أحسن منها.

قوله تعالى: (وظل ممدود) أي دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس، كقوله تعالى: (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً) وذلك بالغداة وهي ما بين الاسفار إلى طلوع الشمس حسب ما تقدم بيانه هناك (٢). والجنة كلها ظل لا شمس معه.

قال الربيع بن أنس: يعني ظل العرش. وقال عمرو بن ميمون: مسيرة سبعين ألف سنة. وقال أبو عبيدة: تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشئ الذي لا ينقطع ممدود،

وقال لبيد:

غلب العزاء وكنت غير مغلب \* دهر طويل دائم ممدود  
وفي صحيح الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (وفي الجنة

شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وأقرؤوا إن شئتم (وظل ممدود).  
(وماء

مسكوب) أي جار لا ينقطع وأصل السكب الصب، يقال: سكب سكباً، والسكوب انصبابه،

يقال: سكب سكوباً، وانسكب انسكاباً، أي وماء مصبوب يجرى الليل والنهار في غير أخذود

لا ينقطع عنهم. وكانت العرب أصحاب بادية وبلاد حارة، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة

لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدوا في الجنة خلاف ذلك، ووصف لهم أسباب

النزهة المعروفة في الدنيا، وهي الأشجار وظلالها، والمياه والأنهار واطرادها.

-----  
(١) زيادة من ب.  
(٢) راجع ج ١٣ ص ٣٧.

قوله تعالى: (وفاكهة كثيرة) أي ليست بالقليلة العزيزة كما كانت في بلادهم (لا مقطوعة) أي في وقت من الأوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء (ولا ممنوعة) أي لا يحظر عليها كثمار الدنيا. وقيل: (ولا ممنوعة) أي لا يمنع من أراها بشوك ولا بعد

[ولا (١)] حائط، بل إذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها، قال الله تعالى: (وذلت قطوفها

تذليلا (٢)). وقيل: ليست مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان. والله أعلم. قوله تعالى: (وفرش مرفوعة) روى الترمذي [عن أبي سعيد (١)] عن النبي صلى الله وسلم

في قوله تعالى: (وفرش مرفوعة) قال: (ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة

سنة) قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد. وقال بعض أهل العلم

في تفسير هذا الحديث: الفرش في الدرجات، وما بين الدرجات كما بين السماء والأرض.

وقيل: إن الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة ولم يتقدم لهن ذكر، ولكن قوله عز وجل: (وفرش مرفوعة) دال، لأنها محل النساء، فالمعنى ونساء مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن، دليله قوله تعالى: (إنا أنشأناهن أنشأ) أي خلقناهن خلقا وأبدعناهن

إبداعا. والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا وإزارا، وقد قال تعالى: (هن لباس لكم ((٣)).

ثم قيل: على هذا هن الحور العين، أي خلقناهن من غير ولادة. وقيل: المراد نساء بني آدم، أي خلقناهن خلقا جديدا وهو الإعادة، أي أعدناهن إلى حال الشباب وكمال الجمال.

والمعنى أنشأنا العجوز والصبية إنشاء واحدا، وأضمرن ولم يتقدم ذكرهن، لأنهن قد دخلن

في أصحاب اليمين، ولأن الفرش كناية عن النساء كما تقدم. وروي عن النبي صلى الله عليه

وسلم في قوله تعالى: (إنا أنشأناهن إنشاء) قال: (منهن البكر والثيب). وقالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: (إنا أنشأناهن إنشاء

فجعلناهن أبكارا. عربا أترابا) فقال: (يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمضا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء) أسنده



النحاس  
عن أنس قال: حدثنا أحمد بن عمرو قال: حدثنا عمرو بن علي قال: حدثنا أبو عاصم  
عن

- 
- (١) زيادة من ب.  
(٢) راجع ج ١٩ ص ١٣٧.  
(٣) راجع ج ٢ ص ٣١٦.

موسى بن عبيدة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رفعه (إنا أنشأناهن إنشاء) قال: (هن العجائز العمش الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا). وقال المسيب بن شريك: قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (إنا أنشأناهن إنشاء) [الآية (١)] قال: (هن عجائز الدنيا أنشأهن الله خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا) فلما سمعت عائشة ذلك

قالت: وا وجعاه! فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس هناك وجع). (عربا) جمع عروب. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: العرب العواشق لأزواجهن. وعن ابن عباس أيضا: إنها العروب الملقبة. عكرمة: الغنجة. ابن زيد: بلغة أهل المدينة. ومنه قول لبيد:

وفي الخباء (٢) عروب غير فاحشة \* ريا الروادف يعشى دونها البصر وهي الشكلة (٣) بلغة أهل مكة. وعن زيد بن أسلم أيضا: الحسنة الكلام. وعن عكرمة أيضا وقتادة: العرب المتحبات إلى أزواجهن، واشتقاقه من أعرب إذا بين، فالعروب تبين

محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن كلام. وقيل: إنها الحسنة التبعل (٤) لتكون ألد استمتاعا.

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عربا)

قال: (كلامهن عربي). وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم (عربا) بإسكان الراء. وضم الباقون وهما جائزان في جمع فعول. (أترابا) على ميلاد واحد في الاستواء وسن واحدة ثلاث وثلاثين سنة. يقال في النساء أتراب وفي الرجال أقران. وكانت العرب تميل إلى من

جاوزت حد الصبا من النساء وانحطت عن الكبر. وقيل: (أترابا) أمثالا وأشكالاً، قاله مجاهد. السدي: أتراب في الأخلاق لا تباغض بينهم ولا تحاسد. قيل: الحور العين للسابقين، والأتراب العرب لأصحاب اليمين.

قوله تعالى: (ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين) رجع الكلام إلى قوله تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) أي هم (ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين) وقد مضى الكلام في معناه. وقال أبو العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك:

(١) زيادة من ب.

(٢) في الديوان: (وفي الحروج) جمع الحرج، وهو اليهودج.

(٣) الشكلة (بفتح الشين وكسر الكاف): ذات الدل.

(٤) أي مطاوعة لزوجها محبة له.



(۲۱)

(ثلة من الأولين) يعني من سابقى هذه الأمة (وثة من الآخرين) من هذه الأمة من آخرها، يدل عليه ما روى عن ابن عباس فى هذه الآية (ثة من الأولين. وثة من الآخرين)

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: (هم جميعا من أمتي). وقال الواحدى: أصحاب الجنة نصفان نصف من الأمم الماضىة ونصف من هذه الأمة. وهذا يرده ما رواه ابن ماجة فى سننه والترمذى فى جامععه عن بريدة بن خصيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: (أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. و (ثة) رفع على الابتداء، أو على حذف خبر حرف الصفة، ومجازه: لأصحاب اليمين ثلثان: ثلة من هؤلاء وثة من هؤلاء.

والأولون الأمم الماضىة، والآخرون هذه الأمة على القول الثانى. قوله تعالى: وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال (٤١) فى سموم وحميم (٤٢) وظل من يحموم (٤٣) لا بارد ولا كريم (٤٤) انهم كانوا قبل ذلك مترفين (٤٥) وكانوا يصرون على الحنث العظيم (٤٦) وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون (٤٧) أو آباؤنا الأولون (٤٨) قل ان الأولين والآخرين (٤٩) لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم (٥٠) ثم انكم أيها الضالون المكذبون (٥١) لاكلون من شجر من زقوم (٥٢) فمالتون منها البطون (٥٣) فشاربون عليه من الحميم (٥٤) فشاربون شرب الهيم (٥٥) هذا نزلهم يوم الدين (٥٦)

قوله تعالى: (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) ذكر منازل أهل النار وسماهم أصحاب الشمال، لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، ثم عظم ذكرهم في البلاد والعذاب فقال: (ما أصحاب الشمال. في سموم) والسموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن. والمراد هنا حر النار ولفحها. (وحميم) أي ماء حار قد انتهى حره، إذا أحرقت النار أكبادهم وأجسادهم فزعوا إلى الحميم، كالذي يفرغ من النار إلى الماء ليطفئ به الحر فيجده حميما حارا في نهاية الحرارة والغليان. وقد مضى في (القتال (١)) (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم). (وظل من يحموم) أي يفرعون من السموم إلى الظل كما يفرغ أهل الدنيا فيجدونه ظلا من يحموم، أي من دخان جهنم أسود شديد السواد. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. وكذلك اليحموم في اللغة: الشديد السواد وهو يفعل من اللحم وهو الشحم المسود باحتراق النار. وقيل: هو مأخوذ من الحمم وهو الفحم. وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود وكل ما فيها أسود. وعن ابن عباس أيضا: النار سوداء. وقال ابن زيد: اليحموم جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار. (لا بارد) بل حار لأنه من دخان شفير جهنم. (ولا كريم) عذب، عن الضحاك. وقال سعيد بن المسيب: ولا حسن منظره، وكل ما لا خير فيه فليس بكريم. وقيل: (وظل من يحموم) أي من النار يعذبون بها، كقوله تعالى: (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم (٢) ظلل). (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) أي إنما استحقوا هذه العقوبة لأنهم كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام. والمترف المنعم، عن ابن عباس وغيره. وقال السدي: (مترفين) أي مشركين. (وكانوا يصرون على الخنث العظيم) أي يقيمون على الشرك، عن الحسن والضحاك وابن زيد. وقال قتادة ومجاهد: الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه. الشعبي: هو اليمين الغموس وهي من الكبائر، يقال: حنث في يمينه أي لم يبرها ورجح فيها. وكانوا يقسمون أن لا بعث، وأن الأصنام أنداد الله فذلك حنثهم، قال

الله تعالى مخبرا عنهم: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (٣)). وفي الخبر:

- 
- (١) راجع ج ١٦ ص ٢٣٧.  
(٢) راجع ج ١٥ ص ٢٤٣.  
(٣) راجع ج ١٠ ص ١٥.

كان يتحنث في حراء، أي يفعل ما يسقط عن نفسه الحنث وهو الذنب. (وكانوا يقولون

أئذا متنا) هذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له، فقال الله تعالى: (قل) لهم يا محمد

(ان الأولين) من آبائكم (والآخرين) منكم (لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) يريد يوم القيامة. ومعنى الكلام القسم ودخول اللام في قول تعالى: (لمجموعون) هو دليل القسم في المعنى، أي إنكم لمجموعون قسما حقا خلافا قسمكم الباطل (ثم انكم أيها الضالون)

عن الهدى (المكذبون) بالبعث (لأكلون من شجر من زقوم) وهو شجر كرية المنظر، كرية الطعم، وهي التي ذكرت في سورة (والصافات (١)). (فمالتون منها البطون) أي من

الشجرة، لان المقصود من الشجر شجرة. ويجوز أن تكون (من) الأولى زائدة، ويجوز أن يكون المفعول محذوفا كأنه قال: (لأكلون من شجر من زقوم) طعاما. وقوله: (من زقوم) صفة لشجر، والصفة إذا قدرت الجار زائدا نصبت على المعنى، أو جررت على اللفظ، فإن قدرت المفعول محذوفا لم تكن الصفة إلا في موضع جر. قوله تعالى: (فشاربون عليه) أي على الزقوم أو على الاكل أو على الشجر، لأنه يذكر ومؤنث. (من الحميم) وهو الماء المغلي الذي قد اشتد غليانه وهو صديد أهل النار.

أي يورثهم حرما يأكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشا فيشربون ماء يظنون أنه يزيل العطش فيجدونه حميما مغلى.

قوله تعالى: (فشاربون شرب الهيم) قراءة نافع وعاصم وحمزة (شرب) بضم الشين. الباقون بفتحها لغتان جيدتان، تقول العرب: شربت شربا وشربا وشربا بضميتين. قال أبو زيد: سمعت العرب تقول بضم الشين وفتحها وكسرهما، والفتح هو المصدر الصحيح،

لان كل مصدر من ذوات الثلاثة فأصله فعل، ألا ترى أنك ترده إلى المرة الواحدة، فتقول:

فعلة نحو شربة وبالضم الاسم. وقيل: إن المفتوح والاسم مصدران، فالشرب كالأكل، والشرب كالذكر، والشرب بالكسر المشروب كالطحن المطحون. والهيم الإبل العطاش التي

(۲۱۴)



لا تروى لداء يصيبها، عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم، وقال عكرمة أيضا:

هي الإبل المراض. الضحاك: الهيم الإبل يصيبها داء تعطش منه عطشا شديدا، واحدها أهيم والأنثى هيماء. ويقال لذلك الداء الهيام، قال قيس بن الملوح: يقال به داء الهيام أصابه\* وقد علمت نفسي مكان شفائها وقوم هيم أيضا أي عطاش، وقد هاموا هياما. ومن العرب من يقول في الإبل: هائم وهائمة

والجمع هيم، قال لبيد:

أجزت إلى معارفها بشعث (١)\* وأطلاح من العيدي هيم (٢)  
وقال الضحاك والأخفش وابن عيينة وابن كيسان: الهيم الأرض السهلة ذات الرمل. وروي أيضا عن ابن عباس: فيشربون شرب الرمال التي لا تروى بالماء. المهدوي: ويقال

لكل ما لا يروى من الإبل والرمل أهيم وهيماء. وفي الصحاح: والهيام بالضم أشد العطش.

والهيام كالجنون من العشق. والهيام داء يأخذ الإبل فتهم في الأرض لا ترعى. يقال: ناقة

هيماء. والهيماء أيضا المفازة لا ماء بها. والهيام بالفتح: الرمل الذي لا يتماسك أن يسيل من اليد

للينه والجمع هيم مثل قذال وقذل. والهيام بالكسر الإبل العطاش الواحد هيمان، وناقة هيماء

مثل عطشان وعطشى.

قوله تعالى: (هذا نزلهم يوم الدين) أي رزقهم الذي يعد لهم، كالنزل الذي يعد للأضياف تكرمة لهم، وفيه تهكم، كما في قوله تعالى: (فبشرهم بعذاب (٣) أليم) وكقول

أبي السعد الضبي:

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا\* جعلنا القنا والمرهفات له نزلا  
وقرأ يونس بن حبيب وعباس عن أبي عمرو (هذا نزلهم) بإسكان الزاي، وقد مضى في آخر

(آل عمران (٣)) القول فيه. (يوم الدين) يوم الجزاء، يعني في جهنم

---

(١) شعث: رجال ساءت حالهم من الجهد والسفر. وأطلاح: إبل مهازيل والواحد طليح. والعيدي: إبل منسوبة إلى فحل، ويقال منسوبة إلى قوم يقال لهم العيد.  
(٢) أي خففت وكسرت الهاء لأجل الياء.

(٣) راجع ج ٨ ص ١٢٨  
(٤) راجع ج ٤ ص ٣٢١

قوله تعالى: نحن خلقناكم فلولا تصدقون (٥٧) أفرءيتم ما تمنون (٥٨) أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون (٥٩) نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين (٦٠) على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون (٦١) ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون (٦٢) قوله تعالى: (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) أي فهلا تصدقون بالبعث؟ لان الإعادة كالاتداء. وقيل: المعنى نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون أن هذا طعامكم إن لم تؤمنوا؟

قوله تعالى: (أفرءيتم ما تمنون) أي ما تصبونه من المنى في أرحام النساء. (أنتم تخلقونه) أي تصورون منه الانسان (أم نحن الخالقون) المقدرون المصورون. وهذا احتجاج عليهم وبيان للآية الأولى، أي إذا أقررتم بأنا خالقوه لا غيرنا فاعترفوا بالبعث. وقرأ أبو السمال ومحمد بن السميع وأشهب العقيلي: (تمنون) بفتح التاء وهما لغتان أمني ومنى، وأمذى ومذى، يمني ويمني ويمذي ويمذي. الماوردي: ويحتمل أن يختلف معناها

عندي، فيكون أمني إذا أنزل عن جماع، ومنى إذا أنزل عن الاحتلام. وفي تسمية المنى منيا وجهان: أحدهما لأمنائه وهو إراقته. الثاني لتقديره، ومنه المنى الذي يوزن به لأنه مقدار لذلك، كذلك المنى مقدار صحيح لتصوير الخلقة. قوله تعالى: (نحن قدرنا بينكم الموت) احتجاج أيضا، أي الذي يقدر على الإماتة يقدر على الخلق، وإذا قدر على الخلق قدر على البعث. وقرأ مجاهد وحميد وابن محيصن

وابن كثير (قدرنا) بتخفيف الدال. الباقون بالتشديد، قال الضحاك: أي سوينا بين أهل السماء وأهل الأرض. وقيل: قضينا. وقيل: كتبنا، والمعنى متقارب، فلا أحد يبقى غيره عز وجل. (وما نحن بمسبوقين. على أن نبدل أمثالكم) أي إن أردنا أن نبدل أمثالكم لم يسبقنا أحد، أي لم يغلبنا. (وما نحن بمسبوقين) معناه بمغلوبين. وقال الطبري: المعنى

نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم، وما نحن بمسبوقين

في آجالكم، أي لا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم. (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الصور والهيئات. قال الحسن: أي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بأقوام قبلكم. وقيل: المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا، فيجمل المؤمن ببياض وجهه، ويقبح الكافر بسواد وجهه. سعيد بن جبير (١): قوله تعالى: (فيما لا تعلمون) يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف، وبرهوت واد في اليمن. وقال مجاهد: (فيما لا تعلمون) في أي خلق شئنا. وقيل: المعنى ننشئكم في عالم لا تعلمون، وفي مكان لا تعلمون. قوله تعالى: (ولقد علمتم النشأة الأولى) أي إذ خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئاً، عن مجاهد وغيره. قتادة والضحاك: يعني خلق آدم عليه السلام. (فلولا تذكرون) أي فهلا تذكرون. وفي الخبر: عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجباً للمصدق بالنشأة الآخرة وهو لا يسعى لدار القرار. وقراءة العامة (النشأة) بالقصر. وقرأ مجاهد والحسن وابن كثير وأبو عمرو: (النشأة) بالمد، وقد مضى في (العنكبوت (٢)) بيانه.

قوله تعالى: أفرءيتم ما تحرثون (٦٣) أنتم تزرعون أم نحن الزارعون (٦٤) لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمت تفكهن (٦٥) انا لمغرمون (٦٦) بل نحن محرومون (٦٧)

قوله تعالى: (أفرأيتم ما تحرثون) هذه حجة أخرى، أي أخبروني عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البذر، أنتم تبتونونه وتحصلونه زرعاً فيكون فيه السنبيل والحب أم نحن نفعل ذلك؟ وإنما منكم البذر وشق الأرض، فإذا أقررتهم بأن إخراج السنبيل من الحب ليس إليكم، فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم؟! وأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى، لان الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم، والزرع من فعل الله تعالى

-----  
(١) في ب: (سعيد بن المسيب).

(٢) راجع ج ١٣ ص ٣٣٧

وينبت على اختياره لا على اختيارهم. وكذلك ما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال: (لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت فإن الزارع هو الله) قال أبو هريرة:

ألم تسمعوا قول الله تعالى: (أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون). والمستحب لكل من يلقي

البذر في الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة (أفرايتم ما تحرثون) الآية، ثم يقول: بل الله الزارع

والمنتب والمبلغ، اللهم صلي على محمد، وارزقنا ثمره، وجنبنا ضرره، واجعلنا لأنعمك من

الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وبارك لنا فيه يا رب العالمين. ويقال: إن هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات: الدود والجراد وغير ذلك، سمعناه من ثقة وجرب فوجد

كذلك. ومعنى (أنتم تزرعونه) أي تجعلونه [زرعا (١)]. وقد يقال: فلان زراع كما يقال حراث،

أي يفعل ما يؤول إلى أن يكون زرعاً يعجب الزارع. وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الأرض وتكريبها تجوزاً.

قلت: فهو نهى إرشاد [وأدب (٢)] لا نهى حظر وإيجاب، ومنه قوله عليه السلام: (لا يقولن

أحدكم عبدي وأمتي وليقل غلامي وجاريتي وفتاتي وفتاتي) وقد مضى في (يوسف القول (٣))

فيه. وقد بالغ بعض العلماء فقال: لا يقل حرثت فأصبت، بل يقل: أعانني الله فحرثت، وأعطاني بفضلته ما أصبت. قال الماوردي: وتتضمن هذه الآية أمرين، أحدهما -

الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم. الثاني - البرهان

الموجب للاعتبار، لأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذره، وانتقاله إلى استواء حاله من العفن والتريب حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قويا مشتداً أضعاف ما كان عليه، فهو

بإعادة من أمات أخف عليه وأقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة. ثم قال (لو نشاء لجعلناه حطاماً) أي متكسراً يعني الزرع. والحطام الهشيم الهالك الذي لا

ينتفع

به في مطعم ولا غذاء، فنبه بذلك أيضاً على أمرين: أحدهما - ما أولاهم به من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكروه. الثاني - ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنه

يجعل

- 
- (١) زيادة يقتضيها السياق.  
(٢) الزيادة: من ب، ز، ح، س، ل، هـ.  
(٣) راجع ج ٩ ص ١٩٤

الزرع حطاما إذا شاء، وكذلك يهلكهم إذا شاء ليتعضوا فينزعجوا. (فظلتم تفكهون) أي تعجبون بذهابها وتندمون مما حل بكم، قاله الحسن وقتادة وغيرهما. وفي الصحاح: وتفكه أي تعجب، ويقال: تندم، قال الله تعالى: (فظلتم تفكهون) أي تندمون. وتفكته بالشئ تمتعت به. وقال يمان: تندمون على نفقاتكم، دليله: (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق (١) فيها).

وقال عكرمة: تلاومون وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم. ابن كيسان: تحزنون، والمعنى متقارب. وفيه لغتان: تفكهون وتفكنون: قال الفراء: والنون لغة عكل. وفي الصحاح: التفكن التندم على ما فات. وقيل: التفكه التكلم فيما لا يعينك، ومنه قيل للمزاج فكاهة بالضم، فأما الفكاهة بالفتح فمصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان طيب النفس مزاحا. وقراءة العامة (فظلتم) بفتح الظاء. وقرأ عبد الله (فظلتم) بكسر الظاء ورواها هارون عن حسين عن أبي بكر. فمن فتح فعلى الأصل، والأصل ظللتم فحذف اللام الأولى تخفيفا، ومن كسر نقل كسرة اللام الأولى إلى الظاء ثم حذفها. (إنا لمغرمون) وقرأ أبو بكر والمفضل (أئنا) بهمزتين على الاستفهام، ورواه عاصم عن زربن حبيش. الباقيون بهمزة واحدة على الخبر، أي يقولون (إنا لمغرمون) أي معذبون، عن ابن عباس وقتادة قالوا: والغرام العذاب، ومنه قول ابن المحلم: وثقت بأن الحفظ مني سجية\* وأن فؤادي متبل بك مغرم وقال مجاهد وعكرمة: لمولع بنا، ومنه قول النمر بن تولب: سلا عن تذكره تكتما (٢)\* وكان رهينا بها مغرما يقال: أغرم فلان بفلانة، أي أولع بها ومنه الغرام وهو الشر اللازم. وقال مجاهد أيضا: لملقون شرا. وقال مقاتل بن حيان: مهلكون. النحاس: (إنا لمغرمون) مأخوذ من الغرام وهو الهلاك، كما قال (٣):

يوم النसार ويوم الجفا\* ركانا عذابا و كانا غراما

(١) راجع ج ١٠ ص ٤٠٩  
(٢) تكتم: اسم من يشيب بها.



(٣) قائله بشر بن أبي خازم. النصار موضع  
وقيل: هو ماء لبني عامر. والجفار: موضع وقيل: هو ماء لبني تميم. ويوم النصار ويوم الجفار: يومان من أيام  
العرب مشهوران.

الضحاك وابن كيسان: هو من الغرم، والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض، أي غرمتنا الحب الذي بذرناه. وقال مرة الهمداني: محاسبون. (بل نحن محرومون) أي حرمتنا ما طلبنا

من الريع. والمحروم الممنوع من الرزق. والمحروم ضد المرزوق وهو المحارف في قول قتادة.

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأرض الأنصار فقال: (ما يمنعكم من الحرث)

قالوا: الجدوبة، فقال: (لا تفعلوا فإن الله تعالى يقول أنا الزارع إن شئت زرعت بالماء وإن شئت زرعت بالريح وإن شئت زرعت بالبذر) ثم تلا (أفأيتم ما تحرثون أفأنتم تزرعونه

أم نحن الزارعون).

قلت: وفي هذا الخبر والحديث الذي قبله ما يصحح قول من أدخل الزارع في أسماء الله

سبحانه، وأباه الجمهور من العلماء، وقد ذكرنا ذلك في (الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى).

قوله تعالى: أفأيتم الماء الذي تشربون (٦٨) أفأنتم أنزلتموه

من المزن أم نحن المنزلون (٦٩) لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون (٧٠)

أفأيتم النار التي تورون (٧١) أفأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون (٧٢)

نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين (٧٣) فسبح باسم ربك العظيم (٧٤)

قوله تعالى: (أفأيتم الماء الذي تشربون) لتحياوا به أنفسكم، وتسكنوا به عطشكم، لأن الشراب إنما يكون تبعا للمطعم، ولهذا جاء الطعام مقدما في الآية قبل، ألا ترى أنك

تسقي ضيفك بعد أن تطعمه. الزمخشري: ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء:

إذا سقيت ضيوف الناس محضا \* سقوا أضيافهم شيما زلالا (١)

وسقي بعض العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثميلة. (أأنتم أنزلتموه من المزن)

أي السحاب، الواحدة مزنة، فقال الشاعر:

فنحن كماء المزن ما في نصابنا \* كهام ولا فينا يعد بنخيل (٢)

(١) المحض: اللبن الخالص: والماء الشبم: البارد.

(٢) نصاب كل شيء: أصله. ورجل كهام

وكهيم: ثقيل، لا غناء عنده.

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما أن المزن السحاب. وعن ابن عباس أيضا والثوري:  
المزن السماء والسحاب. وفي الصحاح: أبو زيد: المزنة السحابة البيضاء والجمع مزن،  
والمزنة  
المطرة، قال:

ألم تر أن الله أنزل مزنة\* وعفر الظباء في الكناس تقمع (١)  
(أم نحن المنزلون) أي فإذا عرفتم بأني أنزلته فلم لا تشكرونني بإخلاص العبادة لي؟  
ولم تنكرون قدرتي على الإعادة؟. (لو نشاء جعلناه أجاجا) أي ملحا شديد الملوحة،  
قاله

ابن عباس. الحسن: مرا قعاعا (٢) لا تنتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما.  
(فلولا)

أي فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم.  
قوله تعالى: (أفرأيتم النار التي تورون) أي أخبروني عن النار التي تظهرونها بالقدح  
من الشجر الرطب (أنتم أنشأتم شجرتها) يعني التي تكون منها الزناد وهي المرخ  
والعفار،

ومنه قولهم: في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، أي استكثر منها، كأنهما  
أخذا من

النار ما هو حسبهما. ويقال: لأنهما يسرعان الوري. يقال: أوريت النار إذا قدحتها.  
ووري الزند يري إذا انقدح منه النار. وفيه لغة أخرى: ووري الزند يري بالكسر فيهما.  
(أم نحن المنشئون) أي المخترعون الخالقون، أي فإذا عرفتم قدرتي فاشكروني ولا  
تنكروا  
قدرتي على البعث.

قوله تعالى: (نحن جعلناها تذكرة) يعني نار الدنيا موعظة للنار الكبرى، قال قتادة.  
ومجاهد: تبصرة للناس من الظلام. وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن  
ناركم

هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم) فقالوا يا رسول الله: أن  
كانت

لكافية، قال: (فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها). (ومتاعا  
للمقوين)

قال الضحاك: أي منفعة للمسافرين، سموا بذلك لنزولهم القوى وهو القفر. الفراء: إنما  
يقال

(١) البيت لأوس بن حجر. وتقمع: تحرك رؤوسها لتطرد القمعة وهي ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب.  
(٢) في ل: (زعاقا) ومعنا هما واحد، وهو الماء الشديد المرارة والملوحة.

للمسافرين: مقوين إذا نزلوا القي وهي الأرض القفر التي لا شئ فيها. وكذلك القوى والقواء  
بالمد والقصر، ومنزل قواء لا أنيس به، يقال: أقوت الدار وقويت أيضا أي خلت من سكانها، قال النابغة:  
يا دار مية بالعلياء فالسند \* أقوت وطال عليها سالف الأمد  
وقال عنتره:

حييت من طلل تقادم عهده \* أقوى وأقفر بعد أم الهيثم  
ويقال: أقوى أي قوي وقوي أصحابه، وأقوى إذا سافر أي نزل القواء والقي. وقال مجاهد:

(للمقوين) المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء والاستضاءة، ويتذكر  
بها نار جهنم فيستجار بالله منها. وقال ابن زيد: للجائعين في، إصلاح طعامهم. يقال:  
أقويت  
منذ كذا وكذا، أي ما أكلت شيئا، وبات فلان القواء وبات القفر إذا بات جائعا على غير طعام،  
قال الشاعر (١):

وإني لاختار القوى طاوي الحشي \* محافظة من أن يقال لثيم  
وقال الربيع والسدي: (المقوين) المنزلين [الذين (٢)] لا زناد معهم، يعني نارا يوقدون فيختبزون بها؟

ورواه العوفي عن ابن عباس. وقال قطرب: المقوي من الأضداد يكون بمعنى الفقير ويكون

بمعنى الغني، يقال: أقوى الرجل إذا لم يكن معه زاد، وأقوى إذا قويت دوابه وكثر ماله. المهدي: والآية تصلح للجميع، لان النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغني والفقير. وحكى الثعلبي

أن أكثر المفسرين على القول الأول. القشيري: وخص المسافر بالانتفاع بها لان انتفاعه

بها أكثر من منفعة المقيم، لان أهل البادية لا بد لهم من النار يوقدون لها ليلا لتهرب منهم السباع، وفي كثير من حوائجهم.

قوله تعالى: (فسبح باسم ربك العظيم) أي فنزه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد، والعجز عن البعث.

(١) هو حاتم طي.

(٢) زيادة من ب.



(۲۲۲)

قوله تعالى: فلا أقسم بمواقع النجوم (٧٥) وانه لقسم لو تعلمون  
عظيم (٧٦) انه لقرآن كريم (٧٧) في كتاب مكنون (٧٨) لا يمسه  
الا المطهرون (٨٩) تنزيل من العالمين (٨٠)  
فيه سبع مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (فلا أقسم) (لا) صلة في قول أكثر المفسرين، والمعنى  
فأقسم، بدليل قوله: (وانه لقسم). وقال الفراء: هي نفي، والمعنى ليس الامر كما  
تقولون،  
ثم أستأنف (أقسم). وقد يقول الرجل: لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفي اليمين، بل  
يريد  
به نفي كلام تقدم. أي ليس الامر كما ذكرت، بل هو كذا. وقيل: (لا) بمعنى إلا  
للتنبية

كما قال (١):

\* ألا عم صباحا أيها الطلل البالي \*  
ونبه بهذا على فضيلة القرآن ليتدبروه، وأنه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا.  
وقرأ

الحسن وحميد وعيسى بن عمر (فلا أقسم) بغير ألف بعد اللام على التحقيق وهو فعل  
حال

ويقدر مبتدأ محذوف، التقدير: فلانا أقسم بذلك. ولو أريد به الاستقبال للزمت النون،  
وقد جاء حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال وهو شاذ.

الثانية - قوله تعالى: (بمواقع النجوم) مواقع النجوم مساقطها ومغاربها في قول  
قتادة وغيره. عطاء بن أبي رباح: منازلها. الحسن: انكدارها وانتثارها يوم القيامة.  
الضحاك: هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية يقولون إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا.  
الماوردي: ويكون قوله تعالى: (فلا أقسم) مستعملا على حقيقته من نفي القسم.  
القشيري:

هو قسم، ولله تعالى أن يقسم بما يريد، وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى وصفاته  
القديمة.

(١) قائله امرؤ القيس، وتامة:

\* وهل ينهمن من كان في العصر الخالي \*

قلت: يدل على هذا قراءة الحسن (فلا أقسم) وما أقسم به سبحانه من مخلوقاته في غير موضع من كتابه. وقال ابن عباس: المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوماً، أنزله الله تعالى

من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكاتبتين، فنجمه السفرة على جبريل عشرين

ليلة، ونجمه جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام عشرين سنة، فهو ينزله على الأحداث من

أمته، حكاها الماوردي عن ابن عباس والسدي. وقال أبو بكر الأنباري: حدثنا إسماعيل ابن إسحاق القاضي حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا همام عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس

قال: نزل القرآن إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل إلى الأرضي نجوماً، وفرق بعد ذلك

خمس آيات خمس آيات وأقل وأكثر، فذلك قول الله تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم. انه لقرآن كريم). وحكى الفراء عن ابن مسعود أن مواقع النجوم هو محكم القرآن. وقرأ حمزة والكسائي (بموقع) على التوحيد، وهي قراءة عبد الله

ابن مسعود والنخعي والأعمش وابن محيصن ورويس عن يعقوب. الباقر على الجمع، فمن أفرد فلانه اسم جنس يؤدي الواحد فيه عن الجمع، ومن جمع فلاختلاف أنواعه.

الثالثة - قوله تعالى: (انه لقرآن كريم) قيل: إن الهاء تعود على القرآن، أي إن القرآن لقسّم عظيم، قال ابن عباس وغيره. وقيل: ما أقسم الله به عظيم (إنه لقرآن كريم)

ذكر المقسم عليه، أي أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن قرآن كريم، ليس بسحر ولا كهانة،

وليس بمفترى، بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزةً لنبيه صلى الله عليه وسلم،

وهو كريم على المؤمنين، لأنه كلام ربهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء، لأنه

تنزيل ربهم ووحيه. وقيل: (كريم) أي غير مخلوق. وقيل: (كريم) لما فيه من كريم الأخلاق ومعاني الأمور. وقيل: لأنه يكرم حافظه، ويعظم قارئه.

الرابعة - قوله تعالى: (في كتاب مكنون) مصون عند الله تعالى. وقيل:

مكنون محفوظ عن الباطل. والكتاب هنا كتاب في السماء، قاله ابن عباس. وقال جابر بن زيد وابن عباس أيضاً: هو اللوح المحفوظ. عكرمة: التوراة والإنجيل فيهما ذكر





(۲۲۴)

القرآن ومن ينزل عليه. السدي: الزبور. مجاهد وقتادة: هو المصحف الذي في أيدينا.

الخامسة - قوله تعالى: (لا يمسه الا المطهرون) اختلف في معنى (لا يمسه) هل هو حقيقة في المس بالجراحة أو معنى؟ وكذلك اختلف في (المطهرون) من هم؟ فقال أنس

وسعيد بن جبير: لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة. وكذا قال

أبو العالية وابن زيد: إنهم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني آدم،

فجبريل النازل به مطهر، والرسل الذين يجيئهم بذلك مطهرون. الكلبي: هم السفارة الكرام

البررة. وهذا كله قول واحد، وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال: أحسن ما سمعت في قوله

(لا يمسه إلا المطهرون) أنها بمنزلة الآية التي في (عبس وتولى) (فمن شاء ذكره. في صحف

مكرمة. مرفوعة مطهرة. بأيدي سفرة. كرام بررة (١)) يريد أن المطهرين هم الملائكة الذين

وصفوا بالطهارة في سورة (عبس). وقيل: معنى (لا يمسه) لا ينزل به (إلا المطهرون) أي الرسل من الملائكة على الرسل من الأنبياء. وقيل: لا يمس اللوح المحفوظ الذي هو

الكتاب المكنون إلا الملائكة المطهرون. وقيل: إن إسرئيل هو الموكل بذلك، حكاه القشيري. ابن العربي: وهذا باطل لان الملائكة لا تناله في وقت ولا تصل إليه بحال، ولو كان المراد به ذلك لما كان للاستثناء فيه مجال. وأما من قال: إنه الذي بأيدي الملائكة

في الصحف فهو قول محتمل، وهو اختيار مالك. وقيل: المراد بالكتاب المصحف الذي

بأيدينا، وهو الأظهر. وقد روى مالك وغيره أن كتاب عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول

الله صلى الله عليه وسلم ونسخته: (من محمد النبي إلى شرحبيل بن عبد كلال والحارث بن عبد

كلال ونعيم بن عبد كلال قيل ذي رعين ومعاfer وهمدان أما بعد) وكان في كتابه: ألا يمس القرآن

إلا طاهر. وقال ابن عمر: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تمس القرآن إلا وأنت

طاهر). وقالت أخت عمر لعمر عند إسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة: (لا يمسه

-----  
(١) راجع ج ١٩ ص ٢١٣

إلا المطهرون) فقام واغتسل وأسلم. وقد مضى في أول سورة (طه (١)). وعلى هذا المعنى قال

قتادة وغيره: (لا يمسه إلا المطهرون) من الاحداث والأنجاس. الكلبي: من الشرك. الربيع بن أنس: من الذنوب والخطايا. وقيل: معنى (لا يمسه) لا يقرؤه (إلا المطهرون) إلا الموحدون، قاله محمد بن فضيل وعبد. قال عكرمة: كان ابن عباس ينهي أن يمكن

أحد من اليهود والنصارى من قراءة القرآن. وقال الفراء: لا يجد طعمه ونفعه وبركته إلا المطهرون، أي المؤمنون بالقرآن. ابن العربي: وهو اختيار البخاري، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالا سلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم

نبياً). وقال الحسين بن الفضل: لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهره الله من الشرك والنفاق. وقال أبو بكر الوراق: لا يوفق للعمل به إلا السعداء. وقيل: المعنى لا يمس ثوابه إلا المؤمنون. ورواه معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قيل: ظاهر الآية خبر عن الشرع، أي لا يمسه إلا المطهرون شرعاً، فإن وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع، وهذا

اختيار القاضي أبي بكر بن العربي. وأبطل أن يكون لفظه الخبر ومعناه الامر. وقد مضى هذا المعنى في سورة (البقرة (٢)). المهدي: يجوز أن يكون أمراً وتكون ضمة السين

ضممة إعراب. ويجوز أن يكون نهياً وتكون ضمة السين بناء والفعل مجزوم. السادسة - واختلف العلماء في مس المصحف على غير وضوء، فالجمهور على المنع من مسه لحديث عمرو بن حزم. وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد

ابن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد، وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي.

واختلفت الرواية عن أبي حنيفة، فروي عنه أنه يمسه المحدث، وقد روي هذا عن جماعة

من السلف منهم ابن عباس والشعبي وغيرهما. وروي عنه أنه يمس ظاهره وحواشيه وما لا مكتوب فيه، وأما الكتاب فلا يمسه إلا طاهر. ابن العربي: وهذا إن سلمه مما يقوي الحجة عليه، لان حريم الممنوع ممنوع. وفيما كتبه النبي صلى الله عليه وسلم لعمر

(١) راجع ج ١١ ص ١٦٣

(٢) راجع ج ٣ ص ٩١



(۲۲۶)

ابن حزم أقوى دليل عليه. وقال مالك: لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة. وقال أبو حنيفة: لا بأس بذلك. ولم يمنع من حمله بعلاقة أو مسه بحائل. وقد روي عن الحكم وحماد وداود بن علي أنه لا بأس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا أو محدثا، إلا أن داود قال: لا يجوز للمشرك حمله. واحتجوا في إباحة ذلك بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر، وهو موضع ضرورة فلا حجة فيه. وفي مس الصبيان إياه على وجهين: أحدهما المنع اعتبارا بالبالغ. والثاني الجواز، لأنه لو منع لم يحفظ القرآن، لان تعلمه (١) حال الصغر، ولأن الصبي وإن كانت له طهارة إلا أنها ليست بكاملة، لان النية لا تصح منه، فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة جاز أن يحمله محدثا.

السابعة - قوله تعالى: (تنزيل من رب العالمين) أي منزل، كقولهم: ضرب الأمير ونسج اليمن. وقيل: (تنزيل) صفة لقوله تعالى: (إنه لقرآن كريم). وقيل: أي هو تنزيل.

قوله تعالى: أفبهذا الحديث أنتم مدهنون (٨١) وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون (٨٢) فلولا إذا بلغت الحلقوم (٨٣) وأنتم حينئذ تنظرون (٨٤) ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون (٨٥) فلو لا ان كنتم غير مدينين (٨٦) ترجعونها ان كنتم صادقين (٨٧)

قوله تعالى: (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أنتم مدهنون) أي مكذبون، قاله ابن عباس وعطاء وغيرهما. والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه، كأنه شبه بالدهن في سهولة ظاهره. وقال مقاتل بن سليمان وقتادة: مدهنون كافرون، نظيره: (ودوا لو تدهن فيدهنون (٢)). وقال المؤرج: المدهن المنافق أو الكافر الذي يلين جانبه ليخفي كفره،

(١) في ب، ح، ز، س، هـ: (لان حال تعلمه حال الصغر).

(٢) راجع ج ١٨ ص ٢٣٠

والادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق، وأصله اللين، وأن يسر خلاف ما يظهر،  
وقال أبو قيس بن الأسلت:

الحزم والقوة خير من \* الادهان والفهة والهاع (١)

وأدهن وداهن واحد. وقال قوم: داهنت بمعنى وارىت وأدهنت بمعنى غششت. وقال  
الضحاك: (مدهنون) معرضون. مجاهد: ممالئون الكفار على الكفر به. ابن كيسان:  
المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه ويدفعه بالعلل. وقال بعض اللغويين: مدهنون  
تاركون للحزم في قبول القرآن.

قوله تعالى: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال ابن عباس: تجعلون شكركم  
التكذيب. وذكر الهيثم بن عدي: أن من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان؟ أي ما شكره.  
وإنما صلح أن يوضع اسم الرزق مكان شكره، لأن شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه  
فيكون

الشكر رزقا على هذا المعنى. فقيل: (وتجعلون رزقكم) أي شكر رزقكم الذي  
لو وجد منكم لعاد رزقا لكم (أنكم تكذبون) بالرزق أن تضعون الكذب مكان  
الشكر، كقوله تعالى: (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية (٢))  
أي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة. ففيه بيان  
أن ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بأن  
تكن

أسبابا، بل ينبغي أن يروه من قبل الله تعالى، ثم يقابلونه بشكر إن كان نعمة، أو صبر  
إن كان مكروها تعبدا له وتذللا. وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي  
صلى

الله عليه وسلم قرأ (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) حقيقة. وعن ابن عباس أيضا:  
أن المراد به الاستسقاء بالانواء، وهو قول العرب: مطرنا بنوء كذا، رواه علي بن أبي  
طالب

عن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على  
عهد النبي

صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أصبح من الناس شاكر ومنهم  
كافر قالوا

(١) الفهة: العي. والهاع هنا: سوء الحرص مع ضعف.

(٢) راجع ج ٧ ص ٤٠٠

هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا، قال: فنزلت هذه الآية: (فلا أقسم بمواقع النجوم - حتى بلغ - (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)). وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أرأيتم أن دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم تقولون هذا المطر بنوء كذا) فقالوا: يا رسول الله ما هذا بحين الأنواء. فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا، فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من أصحابه برجل يغترف بقدر له وهو يقول سقينا بنوء كذا، ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت: (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أي شكركم لله على رزقه إياكم (أنكم تكذبون) بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا، كقولك: جعلت إحساني إليك إساءة منك إلي، وجعلت إنعامي لديك أن اتخذتني عدوا. وفي الموطأ عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر (١) سماء كانت من الليل، فلما أنصرف أقبل على الناس وقال: (أتدرون ماذا قال ربكم) قالوا: الله ورسول أعلم، قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكوكب فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك مؤمن بالكوكب كافر بي). قال الشافعي رحمه الله: لا أحب أحدا أن يقول مطرنا بنوء كذا وكذا، وإن كان النوء عندنا الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يمطر ولا يحبس شيئا من المطر، والذي أحب أن يقول: مطرنا وقت كذا كما تقول مطرنا شهر كذا، ومن قال: مطرنا بنوء كذا، وهو يريد أن النوء أنزل الماء، كما عني بعض أهل الشرك من الجاهلية بقوله فهو كافر، حلال دمه إن لم يتب. وقال أبو عمر بن عبد البر: وأما قوله عليه الصلاة والسلام حاكيا عن الله سبحانه: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) فمعناه عندي على وجهين: أما أحدهما فإن المعتقد



بأن النوء هو الموجب لنزول الماء، وهو المنشئ للسحاب دون الله عز وجل فذلك  
كافر كفرا  
صريحا (٢) يجب استتابته عليه وقتله [إن (٣) أبي] لنبذه الاسلام ورده القرآن. والوجه  
الآخر أن

-----  
(١) على اثر سماء: أي بعد مطر. وفي (اثر) لغتان: كسر الهمزة وسكون الثاء وفتحهما.

(٢) في ب: (صراحا).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

يعتقد أن النوء ينزل الله به الماء، وأنه سبب الماء على ما قدره الله وسبق في علمه، وهذا وإن كان وجهها مباحا، فإن فيه أيضا كفرا بنعمة الله عز وجل، وجهلا بلطيف حكمته في أنه ينزل الماء متى شاء، مرة بنوء كذا، ومرة بنوء كذا، وكثيرا ما ينوء النوء فلا ينزل معه شئ من الماء، وذلك من الله تعالى لا من النوء. وكذلك كان أبو هريرة يقول إذا أصبح وقد مطر: مطرنا بنوء الفتح، ثم يتلو: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها (١)) قال أبو عمر: وهذا عندي نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مطرنا بفضل الله ورحمته). ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب حين استسقى به: يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعا بعد سقوطها. فما مضت سابعة حتى مطروا، فقال عمر: الحمد لله هذا بفضل الله ورحمته. وكان عمر رحمه الله قد علم أن نوء الثريا وقت يرجى فيه المطر ويؤمل فسأله عنه أخرج أم بقيت منه بقية؟. وروى سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا في بعض أسفاره يقول: مطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذبت بل هو سقيا الله عز وجل) قال سفيان: عثانين الأسد الذراع والجبهة. وقراءة العامة (تكذبون) من التكذيب. وقرأ المفضل عن عاصم ويحيى بن وثاب (تكذبون) بفتح التاء مخففا. ومعناه ما قدمناه من قول من قال: مطرنا بنوء كذا. وثبت من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث لن يزلن في أمتي التفاخر في الأحساب والنياحة والأنواء) ولفظ مسلم في هذا (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة). قوله تعالى: (فلولا إذا بلغت الحلقوم) أي فهلا إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم. ولم يتقدم لها ذكر، لان المعنى معروف، قال حاتم.

أماوي ما يغنى الشراء عن الفتى \* إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

-----  
(١) راجع ج ١٤ ص ٣٢١

وفي حديث: (إن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق يجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهي بها إلى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت). (وأنتم حينئذ تنظرون) أمري وسلطاني. وقيل: تنظرون إلى الميت لا تقدرين له على شيء. وقال ابن عباس: يريد من حضر من أهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه. ثم قيل: هو رد عليهم في قولهم لإخوانهم

(لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا (١)) أي فهل ردوا روح الواحد منهم إذا بلغت الحلقوم.

وقيل: المعنى فهلا إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزاع وأنتم حضور أمسكتم روحه

في جسده، مع حرصكم على امتداد عمره، وحبكم لبقائه. وهذا ردا لقولهم: (نموت ونحيا

وما يهلكنا إلا الدهر (٢)). وقيل: هو خطاب لمن هو في النزاع، أي إن لم يك ما بك من الله

فهلا حفظت على نفسك الروح. (ونحن أقرب إليه منكم) أي بالقدرة والعلم والرؤية. قال عامر بن عبد القيس: ما نظر إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إلى منه. وقيل: أراد ورسلنا الذين يتولون قبضه (أقرب إليه منكم) (ولكن لا تبصرون) أي لا ترونهم. قوله تعالى: (فلولا أن كنتم غير مدينين) أي فهلا إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين بأعمالكم، ومنه قوله تعالى: (إننا لمدينون) أي مجزيون محاسبون. وقد تقدم (٣). وقيل:

غير مملوكين ولا مقهورين. قال الفراء وغيره: دنته ملكته، وأنشد للحطيئة:

لقد دنيت أمر بنيك حتى \* تركتهم أدق من الطحين

يعنى ملكت. ودانه أي أذله واستعبده، يقال: دنته فدان. وقد مضى في (الفتحة (٥)) القول في هذا عند قوله تعالى: (يوم الدين). (ترجعونها) ترجعون الروح إلى الجسد. (ان كنتم صادقين) أي ولن ترجعوها فبطل زعمكم أنكم غير مملوكين ولا محاسبين. و (ترجعونها)

جواب لقوله تعالى: (فلولا إذا بلغت الحلقوم) ولقوله: (فلولا إن كنتم غير مدينين)

(١) راجع ج ٤ ص ٢٤٦

(٢) راجع ج ١٦ ص ١٧٠

(٣) راجع ج ١٥ ص ٨٢

(٤) ويروى سوست، يخاطب أمه.

(٥) راجع ج ١ ص ١٤٣.

(۲۳۱)

أجيباً بجواب واحد، قاله الفراء. وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد، ومنه قوله

تعالى: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١))  
أجيباً بجواب واحد وهما شرطان. وقيل: حذف أحدهما للدلالة الآخر عليه. وقيل: فيها تقديم وتأخير، مجازها: فلولا وهلا إن كنتم غير مدينين ترجعونها، تردون نفس هذا الميت

إلى جسده إذا بلغت الحلقوم.

قوله تعالى: فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم (٨٩) وأما ان كان من أصحاب اليمين (٩٠) فسلام لك من أصحاب اليمين (٩١) وأما ان كان من المكذبين الضالين (٩٢) فنزل من حميم (٩٣) وتصلية حجيم (٩٤) ان هذا لهو حق اليقين (٩٥) فسبح بالسم ربك العظيم (٩٦)

قوله تعالى: (فأما ان كان من المقربين) ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند البعث، وبين درجاتهم فقال: (فأما إن كان) هذا المتوفى (من المقربين) وهم السابقون. (فروح وريحان وجنة نعيم) وقراءة العامة (فروح) بفتح الراء ومعناه عند ابن عباس وغيره:

فراحة من الدنيا. وقال الحسن: الروح الرحمة. الضحاك: الروح الاستراحة. القتيبي: المعنى له في القبر طيب نسيم. وقال أبو العباس بن عطاء: الروح النظر إلى وجه الله، والريحان الاستماع لكلامه ووحيه، (وجنة نعيم) هو ألا يحجب فيها عن الله عز وجل. وقرأ الحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدري ورويس وزيد عن يعقوب (فروح) بضم

الراء، ورويت عن ابن عباس. قال الحسن: الروح الرحمة، لأنها كالحياة للمرحوم. وقالت

عائشة رضي الله عنها: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (فروح) بضم الراء ومعناه فبقاء له وحياة

(١) راجع ج ١ ص ٣٢٧

في الجنة وهذا هو الرحمة. (وريحان) قال مجاهد وسعيد بن جبير: أي رزق. قال مقاتل:

هو الرزق بلغة حمير، يقال: خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه، قال النمر بن توبل: سلام الاله وريحانه \* ورحمته وسماء درر وقال قتادة: إنه الجنة. الضحاك: الرحمة. وقيل هو الريحان المعروف الذي يشم. قاله الحسن وقتادة أيضا. الربيع بن خيثم: هذا عند الموت والجنة مخبوءة له إلى أن يبعث.

أبو الجوزاء: هذا عند قبض روحه يتلقى بضائر الريحان. أبو العالية: لا يفارق أحد روحه

من المقربين في الدنيا حتى يؤتى بغصنين من ريحان فيشمهما ثم يقبض روحه فيهما، وأصل

ريحان واشتقاقه تقدم في أول سورة (الرحمن (١)) فتأمله. وقد سرد الثعلبي في الروح والريحان

أقوالا كثيرة سوى ما ذكرنا من أرادها وجدها هناك.

قوله تعالى: (وأما ان كان من أصحاب اليمين) أي (إن كان) هذا المتوفى (من أصحاب اليمين) (فسلام لك من أصحاب اليمين) أي لست ترى منهم إلا ما تحب من السلامة

فلا تهتم لهم، فإنهم يسلمون من عذاب الله. وقيل: المعنى سلام لك منهم، أي أنت سالم

من الاغتمام لهم. والمعنى واحد. وقيل: أي إن أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بأن يصلي

الله عليك ويسلم. وقيل: المعنى إنهم يسلمون عليك يا محمد. وقيل: معناه سلمت أيها العبد

مما تكره فإنك من أصحاب اليمين، فحذف إنك. وقيل: إنه يحيا بالسلام إكراما، فعلى هذا

في محل السلام ثلاثة أقاويل: أحدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت،

قاله الضحاك. وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك

السلام. وقد مضى هذا في سورة (النحل (٢)) عند قوله تعالى: (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين).

الثاني عند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير. الثالث عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة

قبل وصوله إليها.

-----  
(١) راجع ص ١٥٧ من هذا الجزء.

(٢) راجع ج ١٠ ص ١٠١



قلت: وقد يحتمل أن تسلم عليه في المواطن الثلاثة ويكون ذلك إكراما بعد إكرام.  
والله أعلم. وجواب (إن) عند المبرد محذوف التقدير مهما يكن من شيء (فسلام لك  
من  
أصحاب اليمين) إن كان من أصحاب اليمين (فسلام لك من أصحاب اليمين) فحذف  
جواب  
الشرط للدلالة ما تقدم عليه، كما حذف الجواب في نحو قولك أنت ظالم إن فعلت،  
لدلالة  
ما تقدم عليه. ومذهب الأخفش أن الفاء جواب (أما) و (إن)، ومعنى ذلك أن الفاء  
جواب (أما) وقد سدت مسد جواب (إن) على التقدير المتقدم، والفاء جواب لهما على  
هذا  
الحد. ومعنى (أما) عند الزجاج: الخروج من شيء إلى شيء، أي دع ما كنا فيه وخذ في  
غيره.  
قوله تعالى: (وأما إن كان من المكذبين) بالبعث (الضالين) عن الهدى وطريق  
الحق (فنزل من حميم) أي فلهم رزق من حميم، كما قال: (ثم إنكم أيها الضالون  
المكذبون.  
لآكلون) وكما قال: (ثم إن لهم عليها لشوبا من (١) حميم) (وتصلية جحيم) إدخال  
في النار.  
وقيل: إقامة في الجحيم ومقاساة لأنواع عذابها، يقال: أصلاه النار وصلاه، أي جعله  
يصلها  
والمصدر ههنا أضيف إلى المفعول، كما يقال: لفلان إعطاء مال أي يعطى المال.  
وقرى (وتصلية)  
بكسر التاء أي ونزل من تصلية جحيم. ثم أدغم أبو عمرو التاء في الجحيم وهو بعيد. (إن  
هذا  
لهو حق اليقين) أي هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه. وجاز إضافة الحق إلى  
اليقين  
وهما واحد لاختلاف لفظهما. قال المبرد: هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين، فهو  
من  
باب إضافة الشيء إلى نفسه عند الكوفيين. وعند البصريين حق الامر اليقين أو الخبر  
اليقين.  
وقيل: هو توكيد. وقيل: أصل اليقين أن يكون نعتا للحق فأضيف المنعوت إلى النعت  
على  
الاتساع والمجاز، كقوله: (ولدار الآخرة (٢)) وقال قتادة في هذه الآية: إن الله ليس  
بتارك

أحدا من الناس حتى يقفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك  
يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين. (فسبح باسم ربك  
العظيم)  
أي نزه الله تعالى عن السوء. والباء زائدة أي سبح اسم ربك، والاسم المسمى. وقيل:

-----  
(١) راجع ج ١٥ ص ٨٧

(٢) راجع ج ٩ ص ٢٧٥

(فسبح) أي فصل بذكر ربك وبأمره. وقيل: فاذا ذكر اسم ربك العظيم وسبحه. وعن عقبة بن عامر قال: لما نزلت (فسبح بأسم ربك العظيم) قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في ركوعكم) ولما نزلت (سبح اسم ربك الاعلى) قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في سجودكم) خرجه أبو داود. والله أعلم.  
سورة الحديد

مدنية في قول الجميع، وهي تسع وعشرون آية  
عن العرياض بن سارية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد ويقول: (إن فيهن آية أفضل من ألف آية) يعني بالمسبحات (الحديد) و (الحشر) و (الصف) و (الجمعة) و (التغابن).

بسم الله الرحمن الرحيم  
سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (١)  
له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (٢)  
هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم (٣)  
قوله تعالى: (سبح لله ما في السماوات والأرض) أي مجد الله ونزهه عن السوء. وقال ابن عباس: صلى لله (ما في السماوات) ممن خلق من الملائكة (والأرض) من شيء فيه روح أولاً روح فيه. وقيل: هو تسبيح الدلالة. وأنكر الزجاج هذا وقال: لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور آثار الصنعة لكانت مفهومة، فلم قال: (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ((١))

وإنما هو تسبيح مقال. وأستدل بقوله تعالى: (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) ((٢))  
فلو كان

هذا تسبيح دلالة فأني تخصيص لداود؟!

(١) راجع ج ١٠ ص ٢٦٦

(٢) راجع ج ١١ ص ٣٠٧

قلت: وما ذكره هو الصحيح، وقد مضى بيانه والقول فيه في (سبحان (١)) عند قوله تعالى:

(وإن من شيء إلا يسبح بحمده) (وهو العزيز الحكيم).

قوله تعالى: أي أنفرد بذلك. والملك عبارة عن الملك ونفوذ الامر فهو سبحانه الملك القادر القاهر. وقيل: أراد خزائن المطر والنبات وسائر

الرزق. (يحيى ويميت) يميت الاحياء في الدنيا ويحيى الأموات للبعث. وقيل: يحيى النطف وهي موات ويميت الاحياء. وموضع (يحيى ويميت) رفع على معنى وهو يحيى ويميت. ويجوز أن يكون نصبا بمعنى (له ملك السماوات والأرض) محييا ومميتا على الحال

من المجرور في (له) والجار عاملا فيها. (وهو على كل شيء قدير) أي الله لا يعجزه شيء.

قوله تعالى: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) اختلف في معاني هذه الأسماء وقد بينها في الكتاب الأسنى. وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني عن

قول كل قائل، فقال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: (اللهم أنت الأول فليس قبلك

شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك

شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر) عنى بالظاهر الغالب، وبالباطن العالم، والله أعلم. (وهو كل شيء عليم) بما كان أو يكون فلا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى: هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير (٤) له ملك السماوات والأرض والى الله ترجع الأمور (٥) يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور (٦)

(١) راجع ج ١٠ ص ٢٦٦ فما بعد.

قوله تعالى: (هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم على العرش) تقدم في (الأعراف (١)) مستوفى.

قوله تعالى: (يعلم ما يلج في الأرض) أي يدخل فيها من مطر وغيره (وما يخرج منها) من نبات وغيره (وما ينزل من السماء) من رزق ومطر وملك (وما يعرج فيها) يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد (وهو معكم) يعني بقدرته وسلطانه وعلمه (أينما كنتم

والله بما تعملون بصير) يبصر أعمالكم ويراهم ولا يخفى عليه شيء منها. وقد جمع في هذه الآية

بين (استوى على العرش) وبين (وهو معكم) والخذ بالظاهرين تناقض فدل على أنه لا بد من التأويل، والاعراض عن التأويل اعتراف بالتناقض. وقد قال الإمام أبو المعالي: إن محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى

حين كان في بطن الحوت. وقد تقدم.

قوله تعالى: (له ملك السماوات والأرض) هذا التكرير للتأكيد أي هو المعبود على الحقيقة (والى الله ترجع الأمور) أي أمور الخلائق في الآخرة. وقرأ الحسن والأعرج ويعقوب وابن عامر وأبو حياة وابن محيصن وحميد والأعمش وحمزة والكسائي وخلف

(ترجع) بفتح التاء وكسر الجيم. الباكون (ترجع).

قوله تعالى: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) تقدم في (آل عمران (٢)). (وهو عليم بذات الصدور) أي لا تخفى عليه الضمائر، ومن كان بهذه الصفة فلا يجوز أن

يعبد من سواه.

(١) راجع ج ٧ ص ٢١٨.

(٢) راجع ج ٤ ص ٥٦.

قوله تعالى: آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير (٧) وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين (٨) هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وان الله بكم لرءوف رحيم (٩)  
قوله تعالى: (آمنوا بالله ورسوله) أي صدقوا أن الله واحد وأن محمدا رسوله (وأنفقوا) تصدقوا. وقيل أنفقوا في سبيل الله. وقيل: المراد الزكاة المفروضة. وقيل: المراد غيرها من وجوه الطاعات وما يقرب منه (مما جعلكم مستخلفين فيه) دليل على أن أصل الملك

لله سبحانه، وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك بالجنة. فمن أنفق منها في حقوق الله وهان عليه الانفاق منها، كما يهون على الرجل، النفقة من مال غيره

إذا أذن له فيه، كان له الثواب الجزيل والاجر العظيم. وقال الحسن: (مستخلفين فيه) بوراثتكم إياه عن كان قبلكم. وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فاغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق قبل أن تزال عنكم إلى من بعدكم. (فالذين آمنوا) وعملوا الصالحات (منكم وأنفقوا) في سبيل الله (لهم أجر كبير) وهو الجنة.

قوله تعالى: (وما لكم لا تؤمنون بالله) استفهام يراد به التوبيخ. أي أي عذر لكم في ألا تؤمنوا وقد أزيحت العلل؟! (والرسول يدعوكم) بين بهذا أنه لا حكم قبل ورود الشرائع. وقرأ أبو عمرو: (وقد أخذ ميثاقكم) على غير مسمى الفاعل. والباقون على مسمى

الفاعل، أي أخذ الله ميثاقكم. قال مجاهد: هو الميثاق الأول الذي كان وهم في ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه. وقيل: أخذ ميثاقكم بأن ركب فيكم العقول، وأقام عليكم

الدلائل والحجج التي تدعو إلى متابعة الرسول (ان كنتم مؤمنين) أي إذ كنتم. وقيل:

أي إن كنتم مؤمنين بالحجج والدلائل. وقيل: أي إن كنتم مؤمنين بحق يوما من الأيام، فالآن

أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فقد صحت

براهينه. وقيل: إن كنتم مؤمنين بالله خالقكم. وكانوا يعترفون بهذا. وقيل: هو خطاب لقوم آمنوا وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم ميثاقهم فارتدوا. وقوله: (إن كنتم مؤمنين) أي إن كنتم تقرون بشرائط الايمان.

قوله تعالى: (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات) يريد القرآن. وقيل: المعجزات، أي لزمكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، لما معه من المعجزات، والقرآن أكبرها

وأعظمها. (ليخرجكم) أي بالقرآن. وقيل: بالرسول. وقيل: بالدعوة. (من الظلمات) وهو الشرك والكفر (إلى النور) وهو الايمان. (وان الله بكم لرءوف رحيم).

قوله تعالى: وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير (١٠)

فيه خمس مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله) أي شئ يمنعكم من الانفاق في سبيل الله، وفيما يقربكم من ربكم وأنتم تموتون وتخلفون أموالكم وهي صائرة

إلى الله تعالى. فمعنى الكلام التوبيخ على عدم الانفاق. (ولله ميراث السماوات والأرض)

أي إنهما راجعتان إليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق له.

الثانية - قوله تعالى: (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أكثر المفسرين على أن المراد بالفتح فتح مكة. وقال الشعبي والزهري: فتح الحديبية. قال قتادة:

كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر، ونفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك. وفي الكلام حذف، أي (لا يستوي

منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل، فحذف للدلالة الكلام

عليه. وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم، لان حاجة الناس كانت أكثر لضعف الاسلام،

وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ أشق والاجر على قدر النصب. والله أعلم. الثالثة - روى أشهب عن مالك قال: ينبغي أن يقدم أهل الفضل والعزم، وقد قال الله تعالى: (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) وقال الكلبي: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، ففيها دليل واضح على تفضيل أبي بكر رضي الله عنه وتقديمه، لأنه أول من

أسلم. وعن ابن مسعود: أول من أظهر الاسلام بسيفه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر،

ولأنه أول من أنفق على نبي الله صلى الله عليه وسلم. وعن ابن عمر قال: كنت عند النبي

صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عبادة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال:

يا نبي الله! ما لي أرى أبا بكر عليه عبادة قد خللها في صدره بخلال؟ فقال: (قد أنفق علي ماله

قبل الفتح) قال: فإن الله يقول لك اقرأ على أبي بكر السلام وقل له أراض أنت في ففرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أراض أنت في ففرك هذا أم ساخط)؟ فقال أبو بكر: أأسخط على ربي؟

إنني عن ربي لراض! إنني عن ربي لراض! إنني عن ربي لراض! قال: (فإن الله يقول لك قد رضيت عنك كما أنت عني راض) فبكى أبو بكر فقال جبريل عليه السلام: والذي بعثك

يا محمد بالحق، لقد تخللت حملة العرش بالعبي منذ تخلل صاحبك هذا بالعبادة، ولهذا قدمته

الصحابة على أنفسهم، وأقروا له بالتقدم والسبق. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

سبق النبي صلى الله عليه وسلم وصلى (١) أبو بكر وثلاث عمر، فلا أوتى برجل فضلني على أبي بكر



إلا جلده حء المفءري ءمانين ءلءة وءرح الشهءة. فنال المءءمون من المشءة أكءر  
مما نال  
من بعءهم، وءانء بصاءرهم أيضا أنفذ.

-----  
(١) السابق: الأول. والمصلى: الثاني.

الرابعة - التقدم والتأخر قد يكون في أحكام الدنيا، فأما في أحكام الدين فقد قالت عائشة رضي الله عنها: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم. وأعظم

المنازل مرتبة الصلاة. وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرضه: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) الحديث. وقال: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) وقال: (وليؤمكما أكبركما) من حديث مالك بن الحويرث وقد تقدم. وفهم منه البخاري وغيره من العلماء أنه أراد كبر

المنزلة، كما قال صلى الله عليه وسلم: (الولاء للكبير) ولم يعن كبر السن. وقد قال مالك

وغيره: إن للسن حقا. وراعاه الشافعي وأبو حنيفة وهو أحق بالمراعاة، لأنه إذا اجتمع العلم والسن في خيرين قدم العلم، وأما أحكام الدنيا فهي مرتبة على أحكام الدين، فمن قدم

في الدين قدم في الدنيا. وفي الآثار: (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف

لعالمنا حقه). ومن الحديث الثابت في الافراد: (ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له

عند سنه من يكرمه). وأنشدوا (١):

يا عائبا للشيوخ من أشر \* داخله في الصبا ومن بدخ  
أذكر إذا شئت أن تعيرهم \* جدك واذكر أباك يا بن أخ  
واعلم بأن الشباب منسلخ \* عنك وما وزره بمنسلخ  
من لا يعز الشيوخ لا بلغت \* يوما به سنه إلى الشيخ

الخامسة - قوله تعالى: (وكلا وعد الله الحسنى) أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات. وقرأ ابن عامر (وكل)

بالرفع، وكذلك هو بالرفع في مصاحف أهل الشام. الباقون (وكلا) بالنصب على ما في مصافحهم، فمن نصب فعلى إيقاع الفعل عليه أي وعد الله كلا الحسنى. ومن رفع

فلان المفعول إذا تقدم ضعف عمل الفعل، والهاء محذوفة من وعده.

(١) هو لابن عبد الصمد السرقسطي كما في (أحكام القرآن) لابن العربي.

قوله تعالى: من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له  
وله أجر كريم (١١) يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم  
بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار  
خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم (١٢)  
قوله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) ندب إلى الانفاق في سبيل الله.  
وقد مضى في (البقرة (١)) القول فيه. والعرب تقول لكل من فعل فعلاً حسناً: قد  
أقرض،

كما قال (٢):

وإذا جوزيت قرضاً فاجزه \* إنما يجزي الفتى ليس الجمل  
وسمي قرضاً، لأن القرض أخرج لاسترداد البدل. أي من ذا الذي ينفق في سبيل الله  
حتى يبده الله بالأضعاف الكثيرة. قال الكلبي: (قرضاً) أي صدقة (حسناً) أي  
محتسباً من قلبه بلا من ولا أذى. (فيضاعفه له) ما بين السبع إلى سبعمائة إلى ما شاء  
الله  
من الأضعاف. وقيل: القرض الحسن هو أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا  
الله

والله أكبر، رواه سفيان عن أبي (٣) حيان. وقال زيد بن أسلم: هو النفقة على الأهل.  
الحسن: التطوع بالعبادات. وقيل: إنه عمل الخير، والعرب تقول: لي عند فلان قرض  
صدق وقرض سوء. القشيري: والقرض الحسن أن يكون المتصدق صادق النية طيب  
النفس، يتغي به وجه الله دون الرياء والسمعة، وأن يكون من الحلال. ومن القرض  
الحسن ألا يقصد إلى الردئ فيخرجه، لقوله تعالى: (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون  
(٤))

(١) راجع ج ٣ ص ٢٣٧

(٢) قائله لبيد، ومعنى البيت: إذا أسدى إليك معروف فكافى عليه.

(٣) كل نسخ الأصل بلفظ أبي حيان والظاهر أن صوابه: ابن حيان.

(٤) راجع ج ٣ ص ٣٢٥

وأن يتصدق في حال يأمل الحياة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الصدقة

فقال: (أن تعطيه وأنت صحيح صحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى إذا بلغت التراقي قلت

لفلان كذا ولفلان كذا) وأن يخفي صدقته، لقوله تعالى: (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم (١)) وألا يمن، لقوله تعالى: (ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى (١)) وأن

يستحقر كثير ما يعطي، لأن الدنيا كلها قليلة، وأن يكون من أحب أمواله، لقوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما (٢) تحبون) وأن يكون كثيرا، لقوله صلى الله عليه وسلم:

(أفضل الرقاب أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها). (فيضاعفه له) وقرأ ابن كثير وابن عامر (فيضعفه) بإسقاط الألف إلا ابن عامر ويعقوب نصبوا الفاء. وقرأ نافع وأهل الكوفة والبصرة (فيضاعفه) بالألف وتخفيف العين إلا أن عاصما نصب الفاء. ورفع الباقون عطفا على (يقرض). وبالنصب جوابا على الاستفهام. وقد مضى في (البقرة (١)) القول في هذا مستوفى. (وله أجر كريم) يعني الجنة.

قوله تعالى: (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) العامل في (يوم) (وله أجر كريم)، وفي الكلام حذف أي (وله أجر كريم) في (يوم ترى) فيه (المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم) أي يمضى على الصراط في قول الحسن، وهو الضياء الذي يمرون فيه (بين أيديهم)

أي قدامهم. (وبأيمانهم) قال الفراء: الباء بمعنى في، أي في أيمانهم. أو بمعنى عن أي

عن أيمانهم. وقال الضحاك: (نورهم) هداهم (وبأيمانهم) كتبهم، واختاره الطبري. أي يسعى

إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم، وفي أيمانهم كتب أعمالهم. فالباء على هذا بمعنى في.

ويجوز على هذا أن يوقف على (بين أيديهم) ولا يوقف إذا كانت بمعنى عن. وقرأ سهل

ابن سعد الساعدي وأبو حياة (وبأيمانهم) بكسر الألف، أراد الايمان الذي هو ضد الكفر.

(١) راجع ج ٣ ص ٣٣٢ وص ٣١١

(٢) راجع ج ٤ ص ١٣٢



وعطف ما ليس بظرف على الظرف، لان معنى الظرف الحال وهو متعلق بمحذوف.  
والمعنى

يسعى كائنا (بين أيديهم) وكائنا (بأيمانهم)، وليس قوله: (بين أيديهم) متعلقا بنفس (يسعى). وقيل: أراد بالنور القرآن. وعن ابن مسعود: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورا

من نوره على إبهام رجله فيطفأ مرة ويوقد أخرى. وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من المؤمنين من يضئ نوره كما بين المدينة وعدن أو ما بين

المدينة وصنعاء ودون ذلك حتى يكون منهم من لا يضئ نوره إلا موضع قدميه) قال الحسن: ليستضيئوا به على الصراط كما تقدم. وقال مقاتل: ليكون دليلا لهم إلى الجنة. والله أعلم.

قوله تعالى: (بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) التقدير يقال لهم: (بشراكم اليوم) دخول جنات. ولا بد من تقدير حذف المضاف، لان البشرى حدث، والجنة

عين فلا تكون هي هي. (تجري من تحتها الأنهار) أي من تحتهم أنهار اللبن والماء والخمر

والعسل من تحت مساكنها. (خالدين فيها) حال من الدخول المحذوف، التقدير (بشراكم

اليوم) دخول جنات (تجري من تحتها الأنهار) مقدرين الخلود فيها ولا تكون الحال من

بشراكم، لان فيه فصلا بين الصلة والموصول. ويجوز أن يكون مما دل عليه البشرى، كأنه

قال: تبشرون خالدين. ويجوز أن يكون الظرف الذي هو (اليوم) خبرا عن (بشراكم) و (جنات) بدلا من البشرى على تقدير حذف المضاف كما تقدم. و (خالدين) حال حسب ما تقدم. وأجاز الفراء نصب (جنات) على الحال على أن يكون (اليوم) خبرا عن (بشراكم) وهو بعيد، إذ ليس في (جنات) معنى الفعل. وأجاز أن يكون (بشراكم) نصبا على معنى يبشرونهم بشرى وينصب (جنات) بالبشرى وفيه تفرقة بين الصلة والموصول.

قوله تعالى: يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين ء امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (١٣) ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور (١٤) فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير (١٥)

قوله تعالى: (يوم يقول المنافقون) العامل في (يوم) (ذلك هو الفوز العظيم). وقيل: هو بدل من اليوم الأول. (انظرونا نقتبس) قراءة العامة بوصل الألف مضمومة الظاء من نظر، والنظر الانتظار أي انتظرونا. وقرأ الأعمش وحمزة ويحيى بن وثاب (أنظرونا)

بقطع الألف وكسر الظاء من الانظار. أي أمهلونا وأخرونا، أنظرته أخرته، واستنظرته أي استمهلهته. وقال الفراء: تقول العرب: أنظرني انتظرني، وأنشد لعمر بن كلثوم: أبا هند فلا تعجل علينا \* وأنظرنا نخبرك اليقينا أي انتظرنا. (نقتبس من نوركم) أي نستضيء من نوركم. قال ابن عباس وأبو أمامة: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة - قال الماوردي: أظنها بعد فصل القضاء - ثم يعطون نورا يمشون فيه. قال المفسرون: يعطي الله المؤمنين نورا يوم القيامة على قدر أعمالهم يمشون

به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم، دليله قوله تعالى: (وهو خادعهم (١)).

وقيل: إنما يعطون النور، لان جميعهم أهل دعوة دون الكافر، ثم يسلب المنافق نوره لنفاقه، قاله ابن عباس. وقال أبو أمامة: يعطي المؤمن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور.

وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور، فبينما هم يمشون

(١) راجع ج ٥ ص ٤٢١.

إذ بعث الله فيهم ريحا وظلمة فأطفأ بذلك نور المنافقين، فذلك قوله تعالى: (ربنا أتمم لنا

نورنا (١)) يقوله المؤمنون، خشية أن يسلبوه كما سلبه المنافقون، فإذا بقي المنافقون في الظلمة

لا يبصرون مواضع أقدامهم قالوا للمؤمنين: (أنظرونا نقتبس من نوركم). (قيل ارجعوا وراءكم) أي قالت لهم الملائكة (ارجعوا). وقيل: بل هو قول المؤمنين لهم (أرجعوا وراءكم) إلى الموضع الذي أخذنا منه النور فاطلبوا هنالك لأنفسكم نورا فإنكم لا تقتبسون

من نورنا. فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور (ضرب بينهم بسور). وقيل: أي هلا طلبتم النور من الدنيا بأن تؤمنوا. (بسور) أي سور، والباء صلة. قال الكسائي. والسور حاجز بين الجنة والنار. وروي أن ذلك السور بيت المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم. (باطنه فيه الرحمة) يعني ما يلي منه المؤمنين (وظاهره من قبله العذاب) يعني ما يلي المنافقين. قال كعب الأحبار: هو الباب الذي بيت المقدس المعروف بباب

الرحمة. وقال عبد الله بن عمرو: إنه سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد (وظاهره

من قبله العذاب) يعني جهنم. ونحوه عن ابن عباس. وقال زياد بن أبي سواده: قام عبادة ابن الصامت على سور بيت المقدس الشرقي فبكى، وقال: من ها هنا أخبرنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم أنه رأى جهنم. وقال قتادة: هو حائط بين الجنة والنار (باطنه فيه الرحمة) يعني الجنة (وظاهره من قبله العذاب) يعني جهنم. وقال مجاهد: إنه حجاب كما في (الأعراف) وقد مضى القول فيه (١). وقد قل: إن الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين،

والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين.

قوله تعالى: (ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) في الدنيا يعني نصلي مثل ما تصلون، ونغزوا مثل ما تغزون، ونفعل مثل ما تفعلون (قالوا بلى) أي يقول المؤمنون

(بلى) قد كنتم معنا في الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي استعملتموها في الفتنة. وقال

مجاهد: أهلكتموها بالنفاق. وقيل: بالمعاصي، قاله أبو سنان. وقيل: بالشهوات والذات،

-----



(١) راجع ج ٧ ص ٢١١

(٢٤٦)

رواه أبو نمير الهمداني. (وتربصتم وارتبتم) أي (تربصتم) بالنبى صلى الله عليه وسلم الموت،

وبالمؤمنين الدوائر. وقيل: (تربصتم) بالتوبة (وارتبتم) أي شككتهم في التوحيد والنبوة (وغرركم الأمانى) أي الأباطيل. وقيل: طول الأمل. وقيل: هو ما كانوا يتمنونونه من ضعف المؤمنين ونزول الدوائر بهم. وقال قتادة: الأمانى هنا خدع الشيطان. وقيل: الدنيا،

قاله عبد الله بن عباس (١). وقال أبو سنان: هو قولهم سيغفر لنا. وقال بلال بن سعد: ذكرك

حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة. (حتى جاء أمر الله) يعني الموت. وقيل: نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم. وقال قتادة: إلقاءهم في النار. (وغرركم) أي خدعكم (بالله الغرور)

أي الشيطان، قاله عكرمة. وقيل: الدنيا، قاله الضحاك. وقال بعض العلماء: إن للباقي بالماضي معتبرا، وللآخر بالأول مزدجرا، والسعيد من لا يغتر بالطمع، ولا يركن إلى الخدع،

ومن ذكر المنية نسي الأمنية، ومن أطال الأمل نسي العمل، وغفل عن الأجل. وجاء (الغرور) على لفظ المبالغة للكثرة. وقرأ أبو حياة ومحمد بن السميعة وسماك بن حرب (الغرور) بضم الغين يعني الأباطيل وهو مصدر. وعن ابن عباس: أن نبي الله صلى الله عليه

وسلم خط لنا خطوطا، وخط منها خطا ناحية فقال: (أتدرون ما هذا هذا مثل ابن آدم ومثل التمني وتلك الخطوط الآمال بينما هو يتمنى إذ جاءه الموت). وعن ابن مسعود قال:

خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا، وخط وسطه خطا وجعله خارجا منه،

وخط عن يمينه ويساره خطوطا صغارا فقال: (هذا ابن آدم وهذا أجله محيط به وهذا أمله قد جاوز أجله وهذه الخطوط الصغار الاعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه

هذا نهشه هذا).

قوله تعالى: (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أيها المنافقون (ولا من الذين كفروا) أيأسهم من النجاة. وقراءة العامة (يؤخذ) بالياء، لأن التأنيث غير. حقيقي، ولأنه قد فصل بينها وبين الفعل. وقرأ ابن عامر ويعقوب (تؤخذ) بالتاء وأختره أبو حاتم لتأنيث الفدية. والأول

(١) في ب، ز، س، ل، ه: (عبد الله بن عياش).

(٢٤٧)

اختيار أبي عبيد، أي لا يقبل منكم بدل ولا عوض ولا نفس أخرى. (مأواكم النار) أي مقامكم ومنزلكم (هي مولاكم) أي أولى بكم، والمولى من يتولى مصالح الانسان، ثم استعمل

فيمن كان ملازما للشئ. وقيل: أي النار تملك أمرهم، بمعنى أن الله تبارك وتعالى يركب

فيها الحياة والعقل فهي تتميز غيظا على الكفار، ولهذا خوطبت في قوله تعالى: (يوم نقول

لجهنم هل امتلأت وتقول هل من (١) مزيد). (وبئس المصير) أي ساءت مرجعا ومصيرا.

قوله تعالى: ألم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله

وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل

فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون (١٦) اعلموا

أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١٧)

قوله تعالى: (ألم يأن للذين آمنوا) أي يقرب ويحين، قال الشاعر:

ألم يأن لي يا قلب أن أترك الجهلا\* وأن يحدث الشيب المبين لنا عقلا

وماضيه أنى بالقصر يأنى. ويقال: آن لك - بالمد - أن تفعل كذا يئن أي حان،

مثل أنى لك وهو مقلوب منه. وأنشد ابن السكيت:

ألما يئن لي أن تجلى عمايتي\* وأقصر عن ليلى بلى قد أنى ليا

فجمع بين اللغتين. وقرأ الحسن (ألما يأن) وأصلها (ألم) زيدت (ما) فهي نفي لقول

القائل: قد كان كذا، و (لم) نفي لقوله: كان كذا. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود

قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع

قلوبهم لذكر الله) إلا أربع سنين. قال الخليل: العتاب مخاطبة الادل ومذاكرة

الموجدة،

تقول عاتبته معاتبه (أن تخشع) أي تذلل وتلين (قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق)

(١) راجع ص ١٨ من هذا الجزء.

روي أن المزاح والضحك كثر في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما ترفهوا بالمدينة، فنزلت الآية، ولما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يستبطنكم بالخشوع) فقالوا

عند ذلك: خشعنا. وقال ابن عباس: إن الله استبطناً قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن. وقيل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة. وذلك أنهم

سألوا سلمان أن يحدثهم بعجائب التوراة فنزلت: (الر تلك آيات الكتاب (١) المبين) إلى قوله:

(نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية، فأخبرهم أن هذا القصص أحسن من غيره وأنفع لهم، فكفوا عن سلمان، ثم سألوه مثل الأول فنزلت: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فعلى هذا التأويل يكون الذين آمنوا في العلانية باللسان.

قال السدي وغيره: (ألم يأن للذين آمنوا) بالظاهر وأسروا الكفر (أن تخشع قلوبهم لذكر الله). وقيل: نزلت في المؤمنين. قال سعد: قيل يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل: (نحن نقص عليك) فقالوا بعد زمان: لو حدثتنا فنزل: (الله نزل أحسن (٢) الحديث)

فقالوا بعد مدة: لو ذكرتنا فأنزل الله تعالى: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) ونحوه عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية

إلا أربع سنين، فجعل ينظر بعضنا إلى بعض ويقول: ما أحدثنا؟ قال الحسن: استبطنهم وهم أحب خلقه إليه. وقيل: هذا الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام

لأنه قال عقيب هذا: (والذين آمنوا بالله ورسوله) أي ألم يأن للذين آمنوا بالتوراة والإنجيل

أن تلين قلوبهم للقران، وألا يكونوا كمتقدمي قوم موسى وعيسى، إذ طال عليهم الأمد بينهم وبين نبيهم فقصت قلوبهم.

قوله تعالى: (ولا يكونوا) أي وألا يكونوا فهو منصوب عطفا على (أن تخشع). وقيل: مجزوم على النهي، مجازه ولا يكونن، ودليل هذا التأويل رواية رويس عن يعقوب

(لا تكونوا) بالتاء، وهي قراءة عيسى وابن اسحق. يقول: لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى، أعطوا التوراة والإنجيل فطالت الأزمان بهم. قال ابن مسعود: إن بني إسرائيل

-----  
(١) راجع ج ٩ ص ١١٨.  
(٢) راجع ج ١٥ ص ٢٤٨.

لما طال عليهم الأمد قست قلوبهم، فاخترعوا كتابا من عند أنفسهم استحلته أنفسهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، ثم قالوا: اعرضوا هذا الكتاب على بني إسرائيل، فإن تابعوكم فاتركوهم وإلا فاقتلوهم. ثم اصطلحوا على أن يرسلوه إلى عالم من علمائهم، وقالوا: إن هو تابعنا لم يخالفنا أحد، وإن أبي قتلناه فلا يختلف علينا بعده أحد، فأرسلوا إليه، فكتب كتاب الله في ورقة وجعلها في [قرن وعلقه (١) في] عنقه ثم لبس عليه ثيابه، فأتاهم فعرضوا عليه كتابهم، وقالوا: أتؤمن بهذا؟ فضرب بيده على صدره، وقال: آمنت بهذا يعني المعلق على صدره. فافترقت بنو إسرائيل على بضع وسبعين ملة، وخير مللهم أصحاب ذي القرن. قال عبد الله: ومن يعيش منكم فسيرو منكرا، وبحسب أحدكم إذا رأى المنكر لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره. وقال مقاتل بن حيان (٢): يعني مؤمني أهل الكتاب طال عليهم الأمد واستبطئوا بعث النبي صلى الله عليه وسلم (فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) يعني الذين ابتدعوا الرهبانية أصحاب الصوامع. وقيل: من لا يعلم ما يتدين به من الفقه ويخالف من يعلم. وقيل: هم من لا يؤمن في علم الله تعالى. ثبتت طائفة منهم على دين عيسى حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به، وطائفة منهم رجعوا عن دين عيسى وهم الذين فسقهم الله. وقال محمد بن كعب: كانت الصحابة بمكة مجدبين، فلما هاجروا أصابوا الريف والنعمة، ففتروا عما كانوا فيه، فقست قلوبهم، فوعظهم الله فأفاقوا. وذكر ابن المبارك: أخبرنا مالك بن أنس، قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال لقومه: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون. ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فيها - أو قال في ذنوبكم - كأنكم عبيد، وإنما الناس رجالان معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية. وهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا

أن تخشع قلوبهم لذكر الله) كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما  
الله

-----  
(١) الزيادة من تفسير الطبري.  
(٢) في بعض التفاسير: مقاتل بن سليمان وهو المفسر.



تعالى. ذكر أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان القلاني قال: حدثنا أبو محمد الحسن ابن رشيق، قال حدثنا علي بن يعقوب الزيات، قال حدثنا إبراهيم بن هشام، قال حدثنا زكريا

ابن أبي أبان، قال حدثنا الليث بن الحرث قال حدثنا الحسن بن داهر، قال سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده قال: كنت يوما مع إخواني في بستان لنا، وذلك حين

حملت الثمار من ألوان الفواكه، فأكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا، وكنت مولعا بضرب العود

والطنبور، فقامت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين (١) السحر، وأراد سنان

يغني، وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة، والعود بيدي لا يجيني إلى ما أريد، وإذا به ينطق كما ينطق الانسان - يعني العود الذي بيده - ويقول: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) قلت: بلى والله! وكسرت العود، وصرفت من كان عندي، فكان هذا أول زهدي وتشميري. وبلغنا عن الشعر الذي أراد ابن المبارك

أن يضرب به العود:

ألم يأن لي منك أن ترحما \* وتعص العواذل واللوما  
وترثي لصب بكم مغرم \* أقام على هجركم مأتما  
بييت إذا جنه ليله \* يراعي الكواكب والأنجما  
وماذا على الطيبي لو أنه \* أحل من الوصل ما حرما

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جارية فواعدته ليلا، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)

فرجع القهقري وهو يقول: بلى والله قد آن فأواه الليل إلى خربة وفيها جماعه من السابلة،

وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلا يقطع الطريق. فقال الفضيل: أواه! أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني! اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام.

(١) هكذا في الأصول ولم نقف عليها بعد البحث.

قوله تعالى: (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها) أي (يحيى الأرض) الجذبة (بعد موتها) بالمطر. وقال صالح المري: المعنى يلين القلوب بعد قساوتها. وقال جعفر ابن محمد: يحييها بالعدل بعد الجور. وقيل: المعنى فكذلك يحيى الكافر بالهدى إلى الايمان

بعد موته بالكفر والضلالة. وقيل: كذلك يحيى الله الموتى من الأمم، ويميز بين الخاشع قلبه

وبين القاسي قلبه. (قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) أي إحياء الله الأرض بعد موتها دليل على قدرة الله، وأنه لمحيى الموتى.

قوله تعالى: قوله تعالى: ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم (١٨) والذين ء امنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٩)

قوله تعالى: (ان المصدقين والمصدقات) قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق، أي المصدقين بما أنزل الله تعالى. الباكون بالتشديد أي المتصدقين والمصدقات فأدغمت التاء في الصاد، وكذلك في مصحف أبي. وهو حث على الصدقات، ولهذا قال: (وأقرضوا الله قرضا حسنا) بالصدقة والنفقة في سبيل الله. قال الحسن: كل ما في القرآن من القرض الحسن فهو التطوع. وقيل: هو العمل الصالح من الصدقة وغيرها محتسبا صادقا. وإنما عطف بالفعل على الاسم، لان

ذلك الاسم في تقدير الفعل، أي إن الذين صدقوا وأقرضوا (يضاعف لهم) أمثالها. وقراءة العامة بفتح العين على ما لم يسم فاعله. وقرأ الأعمش (يضاعفه) بكسر العين وزيادة

هاء. وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (يضعف) بفتح العين وتشديدها. (ولهم أجر كريم) يعني الجنة.

قوله تعالى: (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) اختلف في (الشهداء) هل هو مقطوع مما قبل أو متصل به. فقال مجاهد

وزيد ابن أسلم: إن الشهداء والصديقين هم المؤمنون وأنه متصل، وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يوقف على هذا على قوله: (الصديقون) وهذا قول ابن مسعود في تأويل الآية.

قال القشيري قال الله تعالى: (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين (١)) فالصديقون هم الذين يتلون الأنبياء، والشهداء هم الذين يتلون الصديقين،

والصالحون يتلون الشهداء، فيجوز أن تكون هذه الآية في جملة من صدق بالرسول، أعني

(والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء). ويكون المعنى بالشهداء من شهد

لله بالوحدانية، فيكون صديق فوق صديق في الدرجات، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(إن أهل الجنات العلاليراهم من دونهم كما يرى أحدكم الكوكب الذي في أفق السماء وإن

أبا بكر وعمر منهم وأنما (٢)) وروي عن ابن عباس ومسروق أن الشهداء غير الصديقين.

فالشهداء على هذا منفصل مما قبله والوقف على قوله: (الصديقون) حسن. والمعنى والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) أي لهم أجر أنفسهم ونور أنفسهم. وفيهم قولان

أحدهما - أنهم الرسل يشهدون على أممهم بالتصديق والتكذيب، قاله الكلبي، ودليله قوله

تعالى: (وجئنا بك على هؤلاء (١) شهيدا). الثاني - أنهم أمم الرسل يشهدون يوم القيامة،

وفيما يشهدون به قولان: أحدهما - أنهم يشهدون على أنفسهم بما عملوا من طاعة ومعصية. وهذا معنى قول مجاهد. الثاني - يشهدون لأنبيائهم بتبليغهم الرسالة إلى أممهم،

قاله الكلبي. وقال مقاتل قولاً ثالثاً: إنهم القتلى في سبيل الله تعالى. ونحوه عن ابن عباس

أيضاً قال: أراد شهداء المؤمنين. والواو واو الابتداء. والصديقون على هذا القول  
مقطوع من الشهداء.

-----  
(١) راجع ج ٥ ص ٢٧١. وص ١٩٧.  
(٢) (أنعما) أي زادا وفضلا. وقيل معناه: صاروا إلى النعيم ودخلا فيه.

وقد اختلف في تعيينهم، فقال الضحاك: هم ثمانية نفر، أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة. وتابعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، ألحقه الله بهم

لما صدق نبيه صلى الله عليه وسلم. وقال مقاتل بن حيان: الصديقون هم الذين آمنوا بالرسول ولم يكذبوهم طرفة عين، مثل مؤمن آل فرعون، وصاحب آل ياسين، وأبي بكر الصديق، وأصحاب الأخدود.

قوله تعالى: (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي بالرسول والمعجزات (أولئك أصحاب الجحيم) فلا أجر لهم ولا نور.

قوله تعالى: اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور (٢٠) سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢١)

قوله تعالى: (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو) وجه الاتصال أن الانسان قد يترك الجهاد خوفا على نفسه من القتل، وخوفا من لزوم الموت، فبين أن الحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي أن يترك أمر الله محافظة على ما لا يبقى. و (ما) صلة تقديره: اعلموا أن الحياة الدنيا لعب باطل ولهو فرح ثم ينقضي. وقال قتادة: لعب ولهو: أكل وشرب. وقيل: إنه على المعهود من اسمه، قال مجاهد: كل لعب لهو. وقد مضى هذا المعنى

في (الانعام (١)) وقيل: اللعب ما رغب في الدنيا، واللهو ما ألهى عن الآخرة، أي شغل عنها. وقيل: اللعب الاقتناء، واللهو النساء. (وزينة) الزينة ما يتزين به، فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للآخرة، وكذلك من تزين في غير طاعة الله. (وتفاخر بينكم) أي

يفخر بعضكم على بعض بها. وقيل: بالخلقة والقوة. وقيل: بالأنساب على عادة العرب في المفاخرة بالآباء. وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله أوحى إلي

أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد) وصح عنه عليه الصلاة

والسلام أنه قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية الفخر في الأحساب) الحديث. وقد تقدم جميع هذا. (وتكاثر في الأموال والأولاد) لان عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأبناء والأموال، وتكاثر المؤمنون بالآيمان والطاعة. قال بعض المتأخرين: (لعب) كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الفتيان (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر) كتفاخر الاقران (وتكاثر) كتكاثر الدهقان (٢). وقيل: المعنى أن الدنيا كهذه الأشياء في الزوال والفناء. وعن

علي رضي الله عنه قال لعمار: لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء: مأكول ومشروب

وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء يستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة، وأفضل المشموم المسك وهو دم فأرة، وأفضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال، وأما المنكوح فالنساء وهو مبال في مبال والله إن المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها. ثم

ضرب الله تعالى لها مثلا بالزرع في غيث فقال: (كمثل غيث) أي مطر (أعجب الكفار نباته)

الكفار هنا: الزراع لأنهم يغطون البذر (٣). والمعنى أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه

لخضرته بكثرة الأمطار، ثم لا يلبث أن يصير هشيمًا كأن لم يكن، وإذا أعجب الزراع فهو

غاية ما يستحسن. وقد مضى معنى هذا المثل في (يونس (٤)) و (الكهف (٥)). وقيل:

(١) راجع ج ٦ ص ٤١٤

(٢) الدهقان - بكسر الدال وضمها - : التاجر، فارسي معرب.

(٣) مأخوذ من الكفر - بفتح الكاف - وهو التغطية.

(٤) راجع ج ٨ ص ٣٢٧  
(٥) راجع ج ١٠ ص ٤١٢

الكفار هنا الكافرون بالله عز وجل، لأنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا من المؤمنين. وهذا قول حسن، فإن أصل الاعجاب لهم وفيهم، ومنهم يظهر ذلك، وهو التعظيم للدنيا وما فيها.

وفي الموحيين من ذلك فروع تحدث من شهواتهم، وتتقلل عندهم وتدق إذا ذكروا الآخرة.

وموضع الكاف رفع على الصفة. (ثم يهيج) أي يحف بعد حضرته (فتراه مصفرا) أي متغيرا عما كان عليه من النضرة. (ثم يكون حطاما) أي فتاتا وتبنا فيذهب بعد حسنه، كذلك دنيا الكافر. (وفي الآخرة عذاب شديد) أي للكافرين. والوقف عليه حسن، ويبتدئ (ومغفرة من الله ورضوان) أي للمؤمنين. وقال الفراء: (وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة) تقديره إما عذاب شديد وإما مغفرة، فلا يوقف على (شديد). (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) هذا تأكيد ما سبق، أي تغر الكفار، فأما المؤمن فالدنيا له متاع بلاغ إلى الجنة. وقيل: العمل للحياة الدنيا متاع الغرور تزهيدا في العمل للدنيا، وترغيبا في العمل للآخرة.

قوله تعالى: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم) أي سارعوا بالاعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم. وقيل: سارعوا بالتوبة، لأنها تؤدي إلى المغفرة، قاله الكلبي. وقيل

التكبير الأولى مع الامام، قال مكحول. وقيل: الصف الأول. (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) لو وصل بعضها ببعض. قال الحسن: يعني جميع السماوات والأرضين مبسوطتان كل واحدة إلى صاحبتهما. وقيل: يريد لرجل واحد أي لكل واحد جنة بهذه السعة. وقال ابن كيسان: عني به جنة واحدة من الجنات. والعرض أقل من الطول، ومن عادة العرب أنها تعبر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله. قال: كأن بلاد الله وهي عريضة\* على الخائف المطلوب كفة حابل وقد مضى هذا كله في (آل عمران (١)). وقال طارق بن شهاب: قال قوم من أهل الحيرة

لعمري رضي الله عنه: رأيت قول الله عز وجل: (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض)

(١) راجع ج ٤ ص ٢٠٤



فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرأيتم الليل إذا ولى وجاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا: لقد نزعت بما في التوراة مثله. (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) شرط الايمان لا غير، وفيه تقوية الرجاء. وقد قيل: شرط الايمان هنا وزاد عليه في (آل عمران (١)) فقال: (أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس). (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) أي أن الجنة لا تنال ولا تدخل إلا برحمة الله تعالى وفضله. وقد

مضى هذا في (الأعراف (٢)) وغيرها. (والله ذو الفضل العظيم).  
قوله تعالى: ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم  
الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا  
تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال  
فخور (٢٣) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان  
الله هو الغني الحميد (٢٤)

قوله تعالى: (ما أصاب من مصيبة في الأرض) قال مقاتل: القحط وقلة النبات  
والثمار. وقيل: الجوائح في الزرع. (ولا في أنفسكم) بالأوصاب والأسقام، قاله قتادة.  
وقيل: إقامة الحدود، قاله ابن حيان. وقيل: ضيق المعاش، وهذا معنى رواه ابن جريج.  
(الا في كتاب) يعني في اللوح المحفوظ. (من قبل أن نبرأها) الضمير في (نبرأها)  
عائد على النفوس أو الأرض أو المصائب أو الجميع. وقال ابن عباس: من قبل أن يخلق  
المصيبة. وقال سعيد بن جبير: من قبل أن يخلق الأرض والنفوس. (ان ذلك على الله  
يسير)

أي خلق ذلك وحفظ جميعه (على الله يسير) هين. قال الربيع بن صالح: لما أخذ سعيد  
ابن جبير رضي الله عنه بكيت، فقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لما أرى بك ولما تذهب

(١) راجع ج ٤ ص ٢٠٦

(٢) راجع ج ٧ ص ٢٠٩

إليه. قال: فلا تبك فإنه كان في علم الله أن يكون، ألم تسمع قوله تعالى: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم) الآية. وقال ابن عباس: لما خلق الله القلم قال له اكتب، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. ولقد ترك لهذه الآية جماعة من الفضلاء الدواء في أمراضهم فلم يستعملوه ثقة بربهم وتوكلا عليه، وقالوا قد علم الله أيام المرض وأيام الصحة، فلو حرص الخلق على تقليل ذلك أو زيادته ما قدروا، قال الله تعالى: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها). وقد قيل: إن هذه الآية تتصل بما قبل، وهو أن الله سبحانه هون عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح، وبين أن ما يخلفهم عن الجهاد من المحافظة على الأموال وما يقع فيها من خسران، فالكل مكتوب مقدر لا مدفع له، وإنما على المرء امتثال الامر، ثم أدبهم فقال هذا: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) أي حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق، وذلك أنهم إذا علموا أن الرزق قد فرغ منه لم يأسوا على ما فاتهم منه. وعن ابن مسعود أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يجد أحدكم طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه) ثم قرأ (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) أي كي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا فإنه لم يقدر لكم ولو قدر لكم لم يفتكم (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي من الدنيا، قاله ابن عباس. وقال سعيد بن جبير: من العافية والخصب. وروى عكرمة عن ابن عباس: ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن المؤمن يجعل مصيبتة صبورا، وغنيمته شكرا. والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما إلى ما لا يجوز، قال الله تعالى: (والله لا يحب كل مختال (١) فخور) أي متكبر بما أوتي من الدنيا، فخور به على الناس. وقراءة العامة (آتاكم) بمد الألف أي أعطاكم من الدنيا. وأختاره أبو حاتم. وقرأ أبو العالية ونصر بن عاصم وأبو عمرو (آتاكم) بقصر

الألف واختاره أبو عبيد. أي جاءكم، وهو معادل ل (فاتكم) ولهذا لم يقل أفاتكم. قال  
جعفر بن محمد الصادق: يا بن آدم مالك تأسى على مفقود لا يردده عليك الفوت، أو  
تفرح  
بموجود لا يتركه في يدك الموت. وقيل لبرز جمهر: أيها الحكيم! مالك لا تحزن  
على ما فات،

-----  
(١) راجع ج ١٤ ص ٦٩.

ولا تفرح بما هو آت؟ قال: لان الفئت لا يتلافى بالعبرة، والآتي لا يستدام بالحبرة.  
وقال الفضيل بن عياض في هذا المعنى: الدنيا مبيد ومفيد، فما أباد فلا رجعة له، وما أفاد

أذن بالرحيل. وقيل: المختال الذي ينظر إلى نفسه بعين الافتخار، والفخور الذي ينظر إلى الناس بعين الاحتقار، وكلاهما شرك خفي. والفخور بمنزلة المصراة تشد أخلافها ليجتمع فيها اللبن، فيتوهم المشتري أن ذلك معتاد وليس كذلك، فكذلك الذي يرى من نفسه

حالا وزينة وهو مع ذلك مدع فهو الفخور.

قوله تعالى: (الذين ينجلون) أي لا يحب المختالين (الذين يبخلون) ف (الذين) في موضع خفض نعتا للمختال. وقيل: رفع بابتداء أي الذين يبخلون فإله غني عنهم. قيل:

أراد رؤساء اليهود الذين يبخلون ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في كتبهم، لئلا يؤمن

به الناس فتذهب ما كلتهم (١)، قاله السدي والكلبي. وقال سعيد بن جبير: (الذين يبخلون)

يعني بالعلم (ويأمرون الناس بالبخل) أي بألا يعلموا الناس شيئاً. زيد بن أسلم: إنه البخل بأداء حق الله عز وجل. وقيل: إنه البخل بالصدقة والحقوق، قاله عامر بن عبد الله الأشعري. وقال طاوس: إنه البخل بما في يديه. وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى. وفرق أصحاب الخواطر بين البخل والسخاء بفرقين: أحدهما أن البخل الذي يلتذ بالامساك.

والسخي الذي يلتذ بالاعطاء. الثاني - أن البخل الذي يعطي عند السؤال، والسخي الذي

يعطي بغير سؤال. (ومن يتول) أي عن الايمان (فان الله) غني عنه. ويجوز أن يكون لما حث على الصدقة أعلمهم أن الذين يبخلون بها ويأمرون الناس بالبخل بها فإن الله غني

عنهم. وقرأة العامة (بالبخل) بضم الباء وسكون الخاء. وقرأ أنس وعبيد بن عمير ويحيى

ابن يعمر ومجاهد وحميد وابن محيصن وحمزة والكسائي (بالبخل) بفتح الخاء وهي لغة الأنصار.

وقرأ أبو العالية وابن السميعة (بالبخل) بفتح الباء واسكان الخاء. وعن نصر بن عاصم (البخل) بضم الخاء وكلها لغات مشهورة. وقد تقدم الفرق بين البخل والشح في آخر (آل عمران (٢)).

-----  
(١) يريد ما يأكلونه من الناس باسم الدين من الأموال.  
(٢) راجع ج ٤ ص ٢٩٣

وقرأ نافع وابن عامر (فإن الله الغني الحميد) بغير (هو). والباقون (هو الغني) على أن يكون فصلاً. ويجوز أن يكون مبتدأ و (الغني) خبره والجملة خبر إن. ومن حذفها فالأحسن أن يكون فصلاً، لأن حذف الفصل أسهل من حذف المبتدأ. قوله تعالى: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢) ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (٢٦) قوله تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة. وقيل: الاخلاص لله تعالى في العبادة، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة، بذلك دعت الرسل: نوح فمن دونه إلى محمد صلى الله عليه وسلم. (وأنزلنا معهم الكتاب) أي الكتب، أي أوحينا إليهم خبر ما كان قبلهم (والميزان) قال ابن زيد: هو ما يوزن به ويتعامل (ليقوم الناس بالقسط) أي بالعدل في معاملاتهم. وقوله: (بالقسط) يدل على أنه أراد الميزان المعروف. وقال قوم: أراد به العدل. قال القشيري: وإذا حملناه على الميزان المعروف، فالمعنى أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان فهو من باب: \* علفتها تبناً وماء بارداً \*

ويدل على هذا قوله تعالى: (والسماء رفعها ووضع الميزان) ثم قال: (وأقيموا الوزن بالقسط) وقد مضى القول فيه (١). (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) روى عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد

(١) راجع ص ١٥٤ من هذا الجزء.

والنار والماء والملح). وروى عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام: الحجر الأسود وكان أشد بياضا من الثلج، وعصا موسى وكانت من آس الجنة، طولها

عشرة أذرع مع طول موسى، والحديد أنزل معه ثلاثة أشياء: السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة، ذكره الماوردي. وقال الثعلبي: قال ابن عباس نزل آدم من الجنة ومعه من الحديد

خمسة أشياء من آلة الحدادين: السندان، والكلبتان، والميقعة، والمطرقة، والإبرة. وحكاه

القشيري قال: والميقعة ما يحدد به، يقال وقعت الحديدة أقعها أي حددتها. وفي الصحاح:

والميقعة الموضع الذي يألفه البازي فيقع عليه، وخشبة القصار التي يدق عليها، والمطرقة والمسن

الطويل. وروي أن الحديد أنزل في يوم الثلاثاء. (فيه بأس شديد) أي لاهراق الدماء. ولذلك نهى عن الفصد والحجامة في يوم الثلاثاء، لأنه يوم جرى فيه الدم. وروي

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (في يوم الثلاثاء ساعة لا يرقأ فيها الدم). وقيل:

(أنزلنا الحديد) أي أنشأناه وخلقناه، كقوله تعالى: (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج (١))

وهذا قول الحسن. فيكون من الأرض غير منزل من السماء. وقال أهل المعاني: أي أخرج

الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه. (فيه بأس شديد) يعني السلاح والكراع والجنة.

وقيل: أي فيه من خشية القتل خوف شديد. (ومنافع للناس) قال مجاهد: يعني جنة. وقيل: يعني انتفاع الناس بالماعون من الحديد، مثل السكين والفأس والإبرة ونحوه

(وليعلم الله من ينصره) أي أنزل الحديد ليعلم من ينصره. وقيل: هو عطف على قوله تعالى: (ليقوم الناس بالقسط) أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم الكتاب، وهذه الأشياء،

ليتعامل الناس بالحق، (وليعلم الله من ينصره) وليرى الله من ينصر دينه (و) ينصر (رسله بالغيب) قال ابن عباس: ينصرونهم لا يكذبونهم، ويؤمنون بهم (بالغيب) أي

وهم لا يرونهم. (ان الله قوى عزيز) (قوى) في أخذه (عزيز) أي منيع غالب. وقد تقدم. وقيل: (بالغيب) بالاخلاص.

-----  
(١) راجع ج ١٥ ص ٢٣٥

(٢٦١)



قوله تعالى: (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم) فصل ما أجمل من إرسال الرسل بالكتب، وأخبر أنه أرسل نوحا وإبراهيم وجعل النبوة في نسلهما (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب)

أي جعلنا بعض ذريتهما الأنبياء، وبعضهم أمما يتلون الكتب المنزلة من السماء: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. وقال ابن عباس: الكتاب الخط بالقلم (فمنهم) أي من ائمة بإبراهيم ونوح (مهتد). وقيل: (فمنهم مهتد) أي من ذريتهما مهتدون. (وكثير منهم) فاسقون) كافرون خارجون عن الطاعة.

قوله تعالى: ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين ء امنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون (٢٧) فيه أربع مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (ثم قفينا) أي اتبعنا (على آثارهم) أي على آثار الذرية. وقيل: على آثار نوح وإبراهيم (برسلنا) موسى وإلياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم (وقفينا بعيسى ابن مريم) فهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه (وآتيناه الإنجيل) وهو الكتاب المنزل عليه. وتقدم اشتقاقه في أول سورة (آل عمران (١)).

الثانية - قوله تعالى: (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) على دينه يعني الحواريين وأتباعهم (رأفة ورحمة) أي مودة فكان يواد بعضهم بعضا. وقيل: هذا إشارة إلى أنهم أمروا في الإنجيل بالصلح وترك إيذاء الناس وألان الله قلوبهم لذلك، بخلاف اليهود الذين

قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه. والرأفة اللين، والرحمة الشفقة. وقيل: الرأفة تخفيف الكل، والرحمة تحمل الثقل. وقيل: الرأفة أشد الرحمة. وتم الكلام. ثم قال:

(١) راجع ج ٤ ص ٥

(ورهبانية ابتدعوها) أي من قبل أنفسهم. والأحسن أن تكون الرهبانية منصوبة بإضمار فعل، قال أبو علي: وابتدعوها رهبانية ابتدعوها. وقال الزجاج: أي ابتدعوها رهبانية، كما تقول رأيت زيدا وعمرا كلمت. وقيل: إنه معطوف على الرأفة والرحمة، والمعنى على هذا أن الله تعالى أعطاهم إياها فغيروا وابتدعوا فيها. قال الماوردي: وفيها قراءتان، إحداهما بفتح الراء وهي الخوف من الرهب. الثانية بضم الراء وهي منسوبة إلى الرهبان كالرضوانية من الرضوان، وذلك لأنهم حملوا أنفسهم على المشقات في الامتناع

من المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع، وذلك أن ملوكهم غيروا وبدلوا

وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا. قال الضحاك: إن ملوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم

ثلاثمائة سنة، فأنكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوه، فقال قوم بقوا بعدهم:

نحن إذا نهيناكم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم، فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع. وقال قتادة: الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع. وفي خبر مرفوع: (هي لحوقهم

بالبراري والجبال). (ما كتبناها عليهم) أي ما فرضناها عليهم ولا أمرناهم بها، قاله ابن زيد. وقوله تعالى: (الا ابتغاء رضوان الله) أي ما أمرناهم إلا بما يرضي الله، قاله ابن مسلم. وقال الزجاج: (ما كتبناها عليهم) معناه لم نكتب عليهم شيئا البتة. ويكون (ابتغاء رضوان الله) بدلا من الهاء والألف في (كتبناها) والمعنى: ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء

رضوان الله. وقيل: (إلا ابتغاء) الاستثناء منقطع، والتقدير ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها

ابتغاء رضوان الله. (فما رعوها حق رعايتها) أي فما قاموا بها حق القيام. وهذا خصوص،

لان الذين لم يرعوها بعض القوم، وإنما تسببوا بالترهب إلى طلب الرياسة على الناس وأكل

أموالهم، كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال

الناس بالباطل ويصدون عن سبيل (١) الله) وهذا في قوم أداهم الترهيب إلى طلب الرياسة

في آخر الامر. وروى سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

في قوله تعالى: (ورهبانية ابتدعوها) قال: كانت ملوك بعد عيسى بدلوا التوراة والإنجيل،

-----  
(١) راجع ج ٨ ص ١٢٢

وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ويدعون إلى دين الله تعالى، فقال أناس لملكهم:

لو قتلت هذه الطائفة. فقال المؤمنون: نحن نكفيكم أنفسنا. فطائفة قالت: ابنوا لنا أسطوانة ارفعونا فيها، وأعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم. وقالت طائفة:

دعونا نهيم في الأرض ونسيح، ونشرب كما تشرب الوحوش في البرية، فإذا قدرتم علينا فاقتلونا.

وطائفة قالت: ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا ترونا. وليس أحد

من هؤلاء إلا وله حميم منهم ففعلوا، فمضى أولئك على منهاج عيسى، وخلف قوم من بعدهم

ممن قد غير الكتاب فقالوا: نسيح ونتعبد كما تعبد أولئك، وهم على شركهم لا علم لهم

بإيمان من تقدم من الذين اقتدوا بهم، فذلك قوله تعالى: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) الآية. يقول: ابتدعها هؤلاء الصالحون (فما رعوها) المتأخرون (حق رعايتها) (فآتيننا الذين آمنوا منهم أجرهم) يعني الذين ابتدعوها أولاً ورعوها

(و كثير منهم فاسقون) يعني المتأخرين، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم

إلا قليل، جاءوا من الكهوف والصوامع والغيران فأمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. الثالثة - وهذه الآية دالة على أن كل محدثة بدعة، فينبغي لمن ابتدع خيراً أن يدوم عليه، ولا يعدل عنه إلى ضده فيدخل في الآية. وعن أبي أمامة الباهلي - واسمه صدى بن

عجلان - قال: أحدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم، إنما كتب عليكم الصيام، فدوموا

على القيام إذ فعلتموه ولا تتركوه، فإن ناساً من بني إسرائيل ابتدعوا بدعاً لم يكتبها الله عليهم

ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها، فعابهم الله بتركها فقال: (ورهبانية ابتدعوها

ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها).

الرابعة - وفي الآية دليل على العزلة عن الناس في الصوامع والبيوت، وذلك مندوب إليه عند فساد الزمان وتغير الأصدقاء والإخوان. وقد مضى بيان هذا في سورة (الكهف)

مستوفى والحمد لله. وفي مسند أحمد بن حنبل من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله  
عنه قال:

-----  
(١) راجع ج ١٠ ص ٣٦٠

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية من سراياه فقال: مر رجل بغار فيه  
شئ  
من ماء، فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار، فيقوته ما كان فيه من ماء ويصيب ما  
حوله من  
البقل ويتخلى عن الدنيا. قال: لو أنى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له  
فان  
أذن لي فعلت والا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبي الله! انى مرت بغار فيه ما يقوتني من  
الماء والبقل، فحدثني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا. قال: فقال النبي صلى الله  
عليه  
وسلم: (م أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس  
محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في  
الصف الأول  
خير من صلواته ستين سنة). وروى الكوفيون عن ابن مسعود، قال قال لي رسول الله  
صلى الله  
عليه وسلم: (هل تدرى أي الناس أعلم) قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (أعلم  
الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس فيه وان كان مقصرا في العمل وان كان يزحف  
على  
استه هل تدرى من أين اتخذ بنو إسرائيل الرهبانية ظهرت عليهم الجبابة بعد عيسى  
يعملون  
بمعاصي الله فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزم أهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم  
الا القليل فقالوا ان أفنونا فلم يبق للدين أحد يدعون إليه فتعالوا نفترق في الأرض إلى أن  
يبعث الله النبي الأمي الذي وعدنا عيسى - يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم -  
فتفرقوا  
في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر - وتلا  
(ورهبانية)  
الآية - أتدري ما رهبانية أمتي الهجرة والجهاد والصوم والصلاة والحج والعمرة  
والتكبير على  
التلاع يا بن مسعود اختلف من كان قبلكم من اليهود على إحدى وسبعين فرقة فنجا  
منهم فرقة  
وهلك سائرهما واختلف من كان من قبلكم من النصارى على اثنين وسبعين فرقة فنجا  
منهم ثلاثة  
وهلك سائرهما فرقة وازت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى - عليه السلام -  
حتى

قتلوا وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك أقاموا بين ظهراي قومهم فدعوهم إلى دين  
الله  
ودين عيسى بن مريم فأخذتهم الملوك وقتلتهم وقطعتهم بالمناشير وفرقة لم تكن لهم  
طاقة بموازاة  
الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهراي قومهم فيدعوهم إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم  
فساحوا  
في الجبال وترهبوا فيها وهي التي قال الله تعالى فيهم: (ورهبانية ابتدعوها) - الآية -  
فمن

آمن بي واتبعني وصدقني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم  
 (الفاسقون)  
 يعنى الذي تهودوا وتنصروا. وقيل: هؤلاء الذين أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم  
 فلم يؤمنوا به  
 فأولئك هم الفاسقون. وفى الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، أي ان الأولين أصروا  
 على  
 الكفر أيضا فلا تعجب من أهل عصرك ان أصروا على الكفر. والله أعلم.  
 قوله تعالى: يا أيها الذين ء امنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله  
 يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم  
 والله غفور رحيم (٢٨) لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرّون على شئ  
 من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتّيه من يشاء والله ذو الفضل  
 العظيم (٢٩)  
 قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا) أي آمنوا بموسى وعيسى (اتقوا الله وآمنوا برسوله)  
 بمحمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين من رحمته) أي مثلين من الاجر على  
 إيمانكم بعيسى  
 ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وهذا مثل قوله تعالى: (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما  
 صبروا)  
 وقد تقدم القول (١) فيه. والكفل الحظ والنصيب وقد مضى في (النساء (٢)) وهو في  
 الأصل  
 كساء يكتفل به الراكب فيحفظه من السقوط، قاله ابن جريح. ونحوه قال الأزهرى،  
 قال: اشتقاقه من الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه إذا ارتدّفه لئلا يسقط،  
 فتأويله  
 يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي كما يحفظ الكفل الراكب. وقال أبو  
 موسى  
 الأشعري: (كفلين) ضعفين بلسان الحبشة. وعن ابن زيد: (كفلين) أجر الدنيا  
 والآخرة. وقيل: لما نزلت (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) افتخر مؤمنو أهل

(١) راجع ج ١٣ ص ٢٩٧

(٢) راجع ج ٤ ص ٢٩٥



الكتاب على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية. وقد استدل بعض العلماء

بهذه الآية على أن الحسنه إنما لها من الاجر مثل واحد، فقال: الحسنه اسم عام ينطلق على كل نوع من الايمان، وينطلق على عمومه، فإذا انطلقت الحسنه على نوع واحد فليس

له عليها من الثواب إلا مثل واحد. وإن انطلقت على حسنة تشتمل على نوعين كان الثواب عليها مثلين، بدليل هذه الآلة فإنه قال: (كفيلين من رحمته) والكفل النصيب كالمثل، فجعل لمن اتقى الله وآمن برسوله نصيبين، نصيباً لتقوى الله ونصيباً لايمانه برسوله. فدل على أن الحسنه التي جعل لها عشر هي التي جمعت عشرة أنواع من الحسنات،

وهو الايمان الذي جمع الله تعالى في صفته عشرة أنواع، لقوله تعالى: (إن المسلمين والمسلمات) الآية بكمالها. فكانت هذه الأنواع العشرة التي هي ثوابها أمثالها فيكون لكل نوع منها مثل. وهذا تأويل فاسد، لخروجه عن عموم الظاهر، في قوله تعالى: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) بما لا يحتمله تخصيص العموم، لان ما جمع عشر حسنات فليس يجزى عن كل حسنة إلا بمثلها. وبطل أن يكون جزاء الحسنه عشر أمثالها

والاخبار دالة عليه. وقد تقدم ذكرها (٢). ولو كان كما ذكر لما كان بين الحسنه والسيئة فرق.

(ويجعل لكم نورا) أي بيانا وهدى، عن مجاهد. وقال ابن عباس: هو القرآن. وقيل: ضياء (تمشون به) في الآخرة على الصراط، وفي القيامة إلى الجنة. وقيل تمشون به في الناس تدعونهم إلى الاسلام فتكونون رؤساء في دين الاسلام لا تزول عنكم رياسة

كنتم فيها. وذلك أنهم خافوا أن تزول رياستهم لو آمنوا بمحمد عليه السلام. وإنما كان

يفوتهم أخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف أحكام الله، لا الرياسة الحقيقية في الدين.

(ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم).

قوله تعالى: (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي ليعلم، و (أن لا) صلة زائدة مؤكدة، قاله الأخفش. وقال الفراء: معناه لان يعلم و (لا) صلة زائدة في كل كلام دخل عليه

(١) راجع ج ١٤ ص ١٨٧

(٢) راجع ج ٧ ص ١٥٠ و ج ١٣ ص ٢٤٤

(۲۶۷)

جحد. قال قتادة: حسد أهل الكتاب المسلمين فنزلت: (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي لان يعلم أهل الكتاب أنهم (لا يقدرّون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله). وقال مجاهد: قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل. فلما خرج من العرب

كفروا فنزلت: (لئلا يعلم) أي ليعلم أهل الكتاب (أن لا يقدرّون) أي أنهم يقدرّون، كقوله تعالى: (أن لا يرجع إليهم (١) قولاً). وعن الحسن: (ليلا يعلم أهل الكتاب) وروي

ذلك عن ابن مجاهد. وروى قطرب بكسر اللام وإسكان (٢) الياء. وفتح لام الجر لغة معروفة.

ووجه إسكان الياء أن همزة (أن) حذفت فصارت (لن) فأدغمت النون في اللام فصار (للا) فلما اجتمعت اللامات أبدلت الوسطى منها ياء، كما قالوا في أما: أيما. وكذلك

القول في قراءة من قرأ (ليلا) بكسر اللام إلا أنه أبقى اللام على اللغة المشهورة فيها فهو أقوى من هذه الجهة. وعن ابن مسعود (لكيلا يعلم) وعن حطان بن عبد الله (لان يعلم).

وعن عكرمة (ليعلم) وهو خلاف المرسوم. (من فضل الله) قيل: الإسلام. وقيل: الثواب. وقال الكلبي: من رزق الله. وقيل: نعم الله التي لا تحصى. (وأن الفضل بيد الله) ليس بأيديهم فيصرفون النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم إلى من يحبون. وقيل:

(وأن الفضل بيد الله) أي هو له (يؤتيه من يشاء). وفي البخاري: حدثنا الحكم بن نافع، قال حدثنا شعيب عن الزهري، قال أخبرني سالم بن عبد الله، أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المنبر: (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم

من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أعطي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى أنتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أعطي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به

حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى الشمس

فأعطيتم قيراطين قيراطين قال أهل التوراة ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا قال هل

(١) راجع ج ١١ ص ٢٣٦.

(٢) روى قطرب عن الحسن أيضا كما في السمين وغيره، فتكون للحسن قراءتان فتح اللام وكسرها مع إسكان

الياء فيهما.

(٢٦٨)

ظلمتكم من أجركم من شئ قالوا لا فقال فذلك فضلي أوتيته من أشياء) في رواية:  
(فغضبت

اليهود والنصارى وقالوا ربنا) الحديث (والله ذو الفضل العظيم). [تم تفسير سورة  
(الحديد) والحمد لله (١)].

تفسير سورة المجادلة

وهي اثنتان وعشرون آية

مدنية في قول الجميع. إلا رواية عن عطاء: أن العشر الأول منها مدني وبقائها مكّي،  
وقال الكلبي: نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو

رابعهم)

نزلت بمكة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله

والله يسمع تحاور كما ان الله سميع بصير (١)

فيه مسألتان:

الأولى قوله تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله)

التي اشتكت إلى الله هي خولة بنت ثعلبة. وقيل بنت حكيم. وقيل اسمها جميلة.  
وخولة

أصح، وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وقد مر بها عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه في خلافته والناس معه على حمار فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت: يا

عمر

قد كنت تدعى عميرا، ثم قيل لك عمر، ثم قيل لك أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر،

فإنه

من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع

كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو

حبستني

من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي

خولة

(١) ما بين المربعين ساقط من ح، س، ط، هـ.

بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟

وقالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لاسمع كلام خولة بنت

ثعلبة ويخفي علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقول:

يا رسول الله! أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدى ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك! فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله) خرجه ابن ماجه في السنن. والذي في البخاري من هذا

عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها). وقال الماوردي: هي خولة بنت ثعلبة. وقيل: بنت خويلد. وليس هذا بمختلف، لان أحدهما أبوها والآخر جدها فنسبت إلى كل

واحد منهما. وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت. وقال الثعلبي قال ابن عباس:

هي خولة بنت خويلد الخزرجية، كانت تحت أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت،

وكانت حسنة الجسم، فرآها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فأعجبه أمرها، فلما انصرفت

أرادها فأبت فغضب عليها - قال عروة (١): وكان امرأ به لمم (٢) فأصابه بعض لممه فقال لها:

أنت علي كظهر أمي. وكان الايلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية، فسألت النبي صلى الله

عليه وسلم فقال لها: (حرمت عليه) فقالت: والله ما ذكر طلاقا، ثم قالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي وقد نفضت له بطني، فقال: (حرمت عليه) فما زالت تراجعته ومراجعها حتى نزلت عليه الآية. وروى الحسن: أنها قالت: يا رسول الله! قد نسخ الله سنن الجاهلية وإن زوجي ظاهر مني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أوحى إلي في هذا شيء) فقالت: يا رسول الله، أوحى إليك في كل

شيء وطوي عنك هذا؟! فقال: (هو ما قلت لك) فقالت: إلى الله أشكو لا إلى رسوله.

-----  
(١) عروة هو راوي حديث عائشة المتقدم.  
(٢) اللم: طرف من الجنون يلم بالانسان أي يعثر به.

فأنزل الله: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله) الآية. وروى الدارقطني من حديث قتادة أن أنس بن مالك حدثه قال: إن أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ظاهر حين كبرت سني ورق عظمي. فأنزل الله تعالى آية الظهر، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم لأوس: (أعتق رقبة) قال: مالي بذلك يدان. قال: (فصم شهرين متتابعين) قال: أما إنني إذا أخطأني أن آكل في يوم ثلاث مرات يكل بصري. قال: (فأطعم ستين مسكينا) قال: ما أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة. قال: فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له [والله غفور رحيم (١)]. (إن الله سميع بصير)

قال: فكانوا يرون أن عنده مثلها وذلك لستين مسكينا، وفي الترمذي وسنن ابن ماجه: أن

سلمة ابن صخر البياضي ظاهر من امرأته، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (أعتق رقبة)

قال: فضربت صفحة عنقي بيدي. فقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها.

قال: (فصم شهرين) فقلت: يا رسول الله! وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام. قال: (فأطعم ستين مسكينا) الحديث. وذكر ابن العربي في أحكامه: روي أن خولة بنت دليج ظاهر منها زوجها، فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك. فقال النبي

صلى الله عليه وسلم: (قد حرمت عليه) فقالت: أشكو إلى الله حاجتي. [ثم عادت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حرمت عليه) فقالت: إلى الله أشكو حاجتي إليه (٢)]

وعائشة تغسل شق رأسه الأيمن، ثم تحولت إلى الشق الآخر وقد نزل عليه الوحي، فذهبت

أن تعيد، فقالت عائشة: اسكتي فإنه قد نزل الوحي. فلما نزل القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها: (أعتق رقبة) قال: لا أجد. قال: (صم شهرين متتابعين) قال: إن لم آكل في اليوم ثلاث مرات خفت أن يعشو بصري. قال: (فأطعم ستين مسكينا). قال: فأعني. فأعانه بشيء. قال أبو جعفر النحاس: أهل التفسير على أنها خولة

(١) الزيادة من ح، ز، ل، هـ.

(٢) الزيادة من الاحكام لابن العربي.





(۲۷)

وزوجها أوس بن الصامت، واختلفوا في نسبها، قال بعضهم: هي أنصارية وهي بنت ثعلبة، وقال بعضهم: هي بنت دليج، وقيل: هي بنت خويلد، وقال بعضهم: هي بنت الصامت، وقال بعضهم: هي أمة كانت لعبد الله بن أبي، وهي التي أنزل الله فيها (ولا تكررهما

فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) لأنه كان يكرهها على الزنى. وقيل: هي بنت حكيم.

قال النحاس: وهذا ليس بمتناقض، يجوز أن تنسب مرة إلى أبيها، ومرة إلى أمها، ومرة إلى جدها، ويجوز أن تكون أمة كانت لعبد الله بن أبي فليلها أنصارية بالولاء، لأنه كان في عداد الأنصار وإن كان من المنافقين.

الثانية - قرئ (قد سمع الله) بالادغام و (قد سمع الله) بالاظهار. والأصل في السماع إدراك المسموعات، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن. وقال ابن فورك: الصحيح

أنه إدراك المسموع. قال الحاكم أبو عبد الله في معنى السميع: إنه المدرك للأصوات التي يدركها المخلقون بأذانهم من غير أن يكون له أذن، وذلك راجع إلى أن الأصوات لا تخفى عليه، وإن كان غير موصوف بالحس المركب في الأذن، كالأصم من الناس لما لم تكن له هذه الحاسة لم يكن أهلا لإدراك الصوت. والسمع والبصر صفتان كالعلم

والقدرة والحياة والإرادة، فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه وتعالى متصفا بهما. وشكى واشتكى بمعنى واحد. وقرئ (تحاورك) أي تراجعك الكلام و (تجادلك) أي تسائلك.

قوله تعالى: الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللاتي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور (٢)

فيه ثلاث وعشرون مسألة:

الأولى - قوله تعالى: (الذين يظهرون (١)) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف (يظاهرون) بفتح الياء وتشديد الظاء وألف. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (يظاهرون) بحذف الألف وتشديد الهاء والظاء وفتح الياء. وقرأ أبو العالية وعاصم وزر ابن حبيش (يظاهرون) بضم الياء وتخفيف الظاء والفاء وكسر الهاء. وقد تقدم هذا في (الأحزاب (٢)). وفي قراءة أبي (يتظاهرون) وهي معنى قراءة ابن عامر وحمزة. وذكر

الظهر كناية عن معنى الركوب، والآدمية إنما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر، لان ما يركب من غير الآدميات فإنما يركب ظهره، فكنى بالظهر عن الركوب. ويقال: نزل عن امرأته أي طلقها كأنه نزل عن مركوب. ومعنى أنت علي كظهر أمي: أي أنت علي محرمة

لا يحل لي ركوبك.

الثانية - حقيقة الظهار تشبيه ظهر بظهر، والموجب للحكم منه تشبيه ظهر محلل بظهر محرم، ولهذا أجمع الفقهاء على أن من قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي أنه مظاهر.

وأكثرهم على أنه إن قال لها: أنت علي كظهر ابنتي أو أختي أو غير ذلك من ذوات المحارم

أنه مظاهر. وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وغيرهما. واختلف فيه عن الشافعي رضي الله عنه

، فروي عنه نحو قول مالك، لأنه شبه امرأته بظهر محرم عليه مؤبد كالأم. وروى عنه أبو ثور: أن الظهار لا يكون إلا بالام وحدها. وهو مذهب قتادة والشعبي. والأول قول الحسن والنخعي والزهري والأوزاعي والثوري.

الثالثة - أصل الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي. وإنما ذكر الله الظهر كناية عن البطن وسترا. فإن قال: أنت علي كأمي ولم يذكر الظهر، أو قال: أنت علي مثل أمي، فإن أراد الظهار فله نيته، وإن أراد الطلاق كان مطلقا البتة عند مالك،

(١) نسخ الأصل على (يظهرون) وهي قراءة نافع التي يقرأ بها المؤلف فيما يأتي.  
(٢) راجع ج ١٤ ص ١١٨ ولم يذكر هناك شيئا بل أحال الكلام على هذه السورة.

وإن لم تكن له نية في طلاق ولاظهار كان مظاهرا. ولا ينصرف صريح الظهر بالنية إلى الطلاق، كما لا ينصرف صريح الطلاق وكنايته المعروفة له إلى الظهر، وكناية الظهر خاصة تنصرف بالنية إلى الطلاق البت.

الرابعة - ألفاظ الظهر ضربان: صريح وكناية، فالصريح أنت علي كظهر أمي، وأنت عندي وأنت مني وأنت معي كظهر أمي. وكذلك أنت علي كبطن أمي أو كراسها أو فرجها أو نحوه، وكذلك فرجك أو رأسك أو ظهرك أو بطنك أو رجلك علي كظهر أمي

فهو مظاهر، مثل قوله: يدك أو رجلك أو رأسك أو فرجك طالق تطلق عليه. وقال الشافعي في أحد قوليه: لا يكون ظهرا. وهذا ضعيف منه، لأنه قد وافقنا على أنه يصح إضافة الطلاق إليه خاصة حقيقة خلافا لأبي حنيفة فصح إضافة الظهر إليه. ومتى شبهها بأمه أو بإحدى جداته من قبل أبيه أو أمه فهو ظهرا بلا خلاف. وإن شبهها بغيرهن من ذوات المحارم التي لا تحل له بحال كالنبت والأخت والعممة والنخالة كان مظاهرا عند أكثر

الفقهاء، وعند الإمام الشافعي رضي الله عنه على الصحيح من المذهب على ما ذكرنا. والكناية أن يقول: أنت علي كأمي أو مثل أمي فإنه يعتبر فيه النية. فإن أراد الظهر كان ظهرا، وإن لم يرد الظهر لم يكن مظاهرا عند الشافعي وأبي حنيفة. وقد تقدم مذهب مالك رضي الله عنه في ذلك والدليل عليه أنه أطلق تشبيه امرأته بأمه فكان ظهرا. أصله إذا ذكر الظهر وهذا قوي فان معنى اللفظ فيه موجود - واللفظ بمعناه - ولم يلزم حكم الظهر للفظه وإنما ألزمه بمعناه وهو التحريم، قاله ابن العربي.

الخامسة - إذا شبه جملة أهله بعضو من أعضاء أمه كان مظاهرا، خلافا لأبي حنيفة في قوله: إنه إن شبهها بعضو يحل له النظر إليه لم يكن مظاهرا. وهذا لا يصح،

لان النظر إليه على طريق الاستمتاع لا يحل له، وفيه وقع التشبيه وإياه قصد المظاهر، وقد قال الإمام الشافعي في قول: إنه لا يكون ظهرا إلا في الظهر وحده. وهذا فاسد، لان كل عضو منها محرم، فكان التشبيه به ظهرا كالظهر، ولأن المظاهر إنما يقصد تشبيه المحلل بالمحرم فلزم على المعنى.

السادسة - إن شبه امرأته بأجنبية فإن ذكر الظهر كان ظهرا حملا على الأول، وإن لم يذكر الظهر فاختلف فيه علماؤنا، فمنهم من قال: يكون ظهرا. ومنهم من قال: يكون طلاقا. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يكون شيئا. قال ابن العربي: وهذا فاسد، لأنه شبه محلا من المرأة بمحرم فكان مقيدا بحكمه كالظهر، والأسماء بمعانيها عندنا، وعندهم بألفاظها وهذا نقض للأصل منهم.

قلت: الخلاف في الظهر بالأجنبية قوي عند مالك. وأصحابه منهم من لا يرى الظهر إلا بذوات المحارم خاصة ولا يرى الظهر بغيرهن. ومنهم من لا يجعله شيئا. ومنهم من يجعله في الأجنبية طلاقا. وهو عند مالك إذا قال: كظهر ابني أو غلامي أو كظهر زيد أو كظهر أجنبية ظهر لا يحل له وطؤها في حين يمينه. وقد روي عنه أيضا:

أن الظهر بغير ذوات المحارم ليس بشيء، كما قال الكوفي والشافعي. وقال الأوزاعي: لو قال لها أنت علي كظهر فلان رجل فهو يمين يكفرها. والله أعلم.

السابعة - إذا قال: أنت علي حرام كظهر أمي كان ظهرا ولم يكن طلاقا، لان قوله: أنت حرام علي يحتمل التحريم بالطلاق فهي مطلقة، ويحتمل التحريم بالظهار فلما

صرح به كان تفسيرا لاحد الاحتمالين يقضي به فيه.

الثامنة - الظهر لازم في كل زوجة مدخول بها أو غير مدخول بها على أي الأحوال كانت من زوج يجوز طلاقه. وكذلك عند مالك من يجوز له وطؤها من إمامه، إذا ظاهر منهن لزمه الظهر فيهن. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يلزم. قال القاضي أبو بكر ابن العربي: وهي مسألة عسيرة جدا علينا، لان مالكا يقول: إذا قال لامته أنت علي حرام لا يلزم. فكيف يبطل فيها صريح التحريم وتصح كنيته. ولكن تدخل الأمة في عموم قوله: (من نسائهم) لأنه أراد من محلاتهم. والمعنى فيه أنه لفظ يتعلق بالبضع دون رفع العقد فصح في الأمة، أصله الحلف بالله تعالى.

التاسعة - ويلزم الظهار قبل النكاح إذا نكح التي ظاهر منها عند مالك. ولا يلزم عند الشافعي وأبي حنيفة، لقوله تعالى: (من نسائهم) وهذه ليست من نسائه. وقد مضى أصل هذه المسألة في سورة (براءة) عند قوله تعالى: (ومنهم من عاهد الله (١)) الآية.

العاشرة - الذمي لا يلزم ظهاره. وبه قال أبو حنيفة. وقال الشافعي: يصح ظهار الذمي، ودليلنا قوله تعالى: (منكم) يعني من المسلمين. وهذا يقتضي خروج الذمي من الخطاب. فإن قيل: هذا استدلال بدليل الخطاب. قلنا: هو استدلال بالاشتقاق والمعنى، فإن أنكحة الكفار فاسدة مستحقة الفسخ فلا يتعلق بها حكم طلاق ولا ظهار،

وذلك كقوله تعالى: (وأشهدوا ذوي عدل (٢) منكم) وإذا خلت الأنكحة عن شروط الصحة

فهي فاسدة، ولا ظهار في النكاح الفاسد بحال.

الحادية عشرة - قوله تعالى: (منكم) يقتضي صحة ظهار العبد خلافا لمن منعه. وحكاة الثعلبي عن مالك، لأنه من جملة المسلمين وأحكام النكاح في حقه ثابتة وإن تعذر

عليه العتق والاطعام فإنه قادر على الصيام.

الثانية عشرة - وقال مالك رضي الله عنه: ليس على النساء تظاهر، وإنما قال الله تعالى: (والذين يظهرون منكم من نسائهم) ولم يقل اللائي يظهرن منكن من أزواجهن، إنما

الظهار على الرجال. قال ابن العربي: هكذا روي عن ابن القاسم وسالم ويحيى بن سعيد

وربيعة وأبي الزناد. وهو صحيح معنى، لان الحل والعقد [والتحليل والتحریم (٣)] في النكاح

بيد الرجال ليس بيد المرأة منه شيء وهذا إجماع. قال أبو عمر: ليس على النساء ظهار في قول جمهور العلماء. وقال الحسن بن زياد: هي مظهرة. وقال الثوري وأبو حنيفة ومحمد: ليس ظهار المرأة من الرجل بشيء قبل النكاح كان أو بعده. وقال الشافعي: لاظهار للمرأة من الرجل. وقال الأوزاعي إذا قالت المرأة لزوجها، أنت علي كظهر أمي (٤)

(١) راجع ج ٨ ص ٢١٠.

(٢) راجع ج ١٨ ص ١٥٧.

(٣) الزيادة من ابن العربي.

(٤) لفظ (أمي) ساقط من ح، ز، س، ه.



(۲۷۶)

فلانة فهي يمين تكفرها. وكذلك قال إسحاق، قال: لا تكون امرأة متظاهرة من رجل ولكن عليها يمين تكفرها. وقال الزهري: أرى أن تكفر كفارة الظهار، ولا يحول قولها هذا

بينها وبين زوجها أن يصيبها، رواه عنه معمر. وابن جريج عن عطاء قال: حرمت ما أحل

الله، عليها كفارة يمين. وهو قول أبي يوسف. وقال محمد بن الحسن: لا شيء عليها. الثالثة عشرة - من به لمم وانتظمت له في بعض الأوقات الكلم إذا ظاهر لزم ظهاره، لما روي في الحديث: أن خولة بنت ثعلبة وكان زوجها أوس بن الصامت وكان

به لمم فأصابه بعض لممه فظاهر من امرأته. الرابعة عشرة - من غضب وظاهر من امرأته أو طلق لم يسقط عنه غضبه حكمه. وفي بعض طرق هذا الحديث، قال يوسف بن عبد الله بن سلام: حدثتني خولة امرأة أوس بن الصامت، قالت: كان بيني وبينه شيء، فقال: أنت علي كظهر أمي ثم خرج إلى نادي قومه. فقولها: كان بيني وبينه شيء، دليل على منازعة أخرجته (١) فظاهر منها. والغضب لغو لا يرفع حكما ولا يغير شرعا وكذلك السكران. وهي: الخامسة عشرة - يلزمه حكم الظهار والطلاق في حال سكره إذا عقل قوله ونظم كلامه،

لقوله تعالى: (حتى تعلموا ما تقولون) علي ما تقدم في (النساء ٢) بيانه. والله أعلم. السادسة عشرة - ولا يقرب المظاهر امرأته ولا يباشرها ولا يتلذذ منها بشيء حتى يكفر، خلافا للشافعي في أحد قوليه، لان قوله: أنت علي كظهر أمي يقتضي تحريم كل استمتاع بلفظه ومعناه، فإن وطئها قبل أن يكفر، وهي:

السابعة عشرة - أستغفر الله تعالى وأمسك عنها حتى يكفر كفارة واحدة. وقال مجاهد وغيره: عليه كفارتان. روى سعيد عن قتادة، ومطرف عن رجاء بن حياة عن قبيصة ابن ذؤيب عن عمرو بن العاص في المظاهر: إذا وطئ قبل أن يكفر عليه كفارتان. ومعمر

عن قتادة قال: قال قبيصة بن ذؤيب: عليه كفارتان. وروى جماعة من الأئمة منهم ابن ماجه

(١) في ح، ز، س، ل: (أحوجته) بالواو بدل الراء.

(٢) راجع ج ٥ ص ٢٠٣



والنسائي عن ابن عباس: أن رجلا ظاهر من امرأته فغشيها قبل أن يكفر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: (ما حملك على ذلك) فقال: يا رسول الله! رأيت بياض

خلخالها في ضوء القمر فلم أملك نفسي أن وقعت عليها. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وأمره ألا يقربها حتى يكفر. وروى ابن ماجة والدارقطني عن سليمان بن يسار عن سلمة

ابن صخر أنه ظاهر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، ثم وقع بامرأته قبل أن يكفر، فأتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأمره أن يكفر تكفيرا واحدا. الثامنة عشرة - إذا ظاهر من أربع نسوة في كلمة واحدة، كقوله: أنتن علي كظهر أمي كان مظاهرا من كل واحدة منهن، ولم يجزله وطئ إحداهن وأجزأته كفارة واحدة. وقال

الشافعي: تلزمه أربع كفارات. وليس في الآية دليل على شيء من ذلك، لان لفظ الجمع إنما وقع في عامة المؤمنين والمعول على المعنى. وقد روى الدارقطني عن ابن عباس قال:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إذا كان تحت الرجل أربع نسوة فظاهر منهن

يجزيه كفارة واحدة، فإن ظاهر من واحدة بعد أخرى لزمه في كل واحدة منهن كفارة. وهذا إجماع.

التاسعة عشرة - فإن قال لأربع نسوة: إن تزوجتكن فأتتن علي كظهر أمي فتزوج إحداهن

لم يقربها حتى يكفر، ثم قد سقط عنه اليمين في سائرهن. وقد قيل: لا يطاق البواقي منهن

حتى يكفر. والأول هو المذهب.

العشرين: وإن قال لامرأته: أنت علي كظهر أمي وأنت طالق البتة (١)، لزمه الطلاق والظهار معا، ولم يكفر حتى ينكحها بعد زوج آخر ولا يطاقها إذا نكحها حتى يكفر،

فإن قال لها: أنت طالق البتة وأنت علي كظهر أمي لزمه الطلاق ولم يلزمه الظهار، لان المبتوتة

لا يلحقها طلاق.

-----

(١) يريد بالبتة منا الطلاق الثالث كما يفهم من العبارة بعد وكما في ابن العربي حيث قال: إذا طلقها ثلاثاً  
بعد  
الظهار ثم عادت إليه بنكاح جديد لم يظاً حتى يكفر.

الحادية والعشرون - قال بعض العلماء: لا يصحظهار غير المدخول بها. وقال المزني:  
لا يصح الظهار من المطلقة الرجعية، وهذا ليس بشيء، لان أحكام الزوجية في  
الموضوعين

ثابتة، وكما يلحقها الطلاق كذلك يلحقها الظهار قياسا ونظرا. والله أعلم.  
الثانية والعشرون - قوله تعالى: (ما هن أمهاتهم) أي ما نساؤهم بأمهاتهم. وقراءة  
العامّة (أمهاتهم) بخفض التاء على لغة أهل الحجاز، كقوله تعالى: (ما هذا بشرا). وقرأ  
أبو معمر والسلمي وغيرهما (أمهاتهم) بالرفع على لغة تميم. قال الفراء: أهل نجد وبنو  
تميم

يقولون (ما هذا بشر)، و (ما هن أمهاتهم) بالرفع. (ان أمهاتهم الا اللاتي ولدنهم)  
أي ما أمهاتهم إلا الوالدات. وفي المثل: ولدك من دمي عقيبك. وقد تقدم القول في  
اللاتي

في (الأحزاب (١)).

الثالثة والعشرون - قوله تعالى: (وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أي فظيحا  
من القول لا يعرف في الشرع. والزور الكذب (وان الله لعفو غفور) إذ جعل الكفارة  
عليهم مخلصه لهم من هذا القول المنكر.

قوله تعالى: والذين يظاهرون من نساءهم ثم يعودون لما قالوا  
فتحريم رقبة من قبل أن يتماسا ذالكم توعظون به والله بما  
تعملون خبير (٣) فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن  
يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله  
ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم (٤)

(١) ليس في الأحزاب كلام على اللاتي ويبدو أن سقطا وقع في نسخ الأصل التي بأيدينا.

فيه اثنتا عشرة مسألة:

الأولى - قوله تعالى: (والذين يظهرون من نسائهم) هذا ابتداء والخبر (فتحريم رقبة) وحذف عليهم لدلالة الكلام عليه، أي فعليهم تحريم رقبة. وقيل: أي فكفارتهم عتق رقبة.

والمجمع عليه عند العلماء في الظهار قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي. وهو قول المنكر

والزور الذي عنى الله بقوله: (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) فمن قال هذا القول

حرم عليه وطئ امرأته. فمن عاد لما قال لزمته كفارة الظهار، لقوله عز وجل: (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة) وهذا يدل على أن كفارة الظهار لا تلزم

بالقول خاصة حتى ينضم إليها العود، وهذا حرف مشكل اختلف الناس فيه على أقوال سبعة:

الأول - أنه العزم على الوطئ، وهو مشهور قول العراقيين أبي حنيفة وأصحابه. وروي عن

مالك: فإن عزم على وطئها كان عودا، وإن لم يعزم لم يكن عودا. الثاني - العزم على الإمساك بعد التظاهر منها، قاله مالك. الثالث - العزم عليهما. وهو قول مالك في موطنه،

قال مالك في قوله الله عز وجل: (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) قال:

سمعت أن تفسير ذلك أن يظاهر الرجل من امرأته ثم يجمع على إصابتها وإمساكها، فإن

أجمع على ذلك فقد وجبت عليه الكفارة، وإن طلقها ولم يجمع بعد تظاهره منها على إمساكها

وإصابتها فلا كفارة عليه. قال مالك: وإن تزوجها بعد ذلك لم يمسه حتى يكفر كفارة التظاهر. القول الرابع - أنه الوطئ نفسه فإن لم يطأ لم يكن عودا، قاله الحسن ومالك

أيضا. الخامس - وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: هو أن يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق، لأنه لما ظاهر قصد التحريم، فإن وصل به الطلاق فقد جرى على

خلاف ما ابتداء من إيقاع التحريم ولا كفارة عليه. وإن أمسك عن الطلاق فقد عاد إلى ما كان عليه فتجب عليه الكفارة. السادس - أن الظهار يوجب تحريما لا يرفعه إلا

الكفارة.

ومعنى العود عند القائلين بهذا: أنه لا يستبيح وطأها إلا بكفارة يقدمها، قاله أبو حنيفة

وأصحابه  
والليث بن سعد. السابع - هو تكرير الظهار بلفظه. وهذا قول أهل الظاهر النافين  
للقياس،  
قالوا: إذا كرر اللفظ بالظهار فهو العود، وإن لم يكرر فليس بعود. ويسند ذلك إلى  
بكير بن

الأشج وأبي العالية وأبي حنيفة أيضا، وهو قول الفراء. وقال أبو العالية: وظاهر الآية يشهد

له، لأنه قال: (ثم يعودون لما قالوا) أي إلى قول ما قالوا. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله عز وجل: (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) هو أن يقول لها أنت علي كظهر أمي. فإذا قال لها ذلك فليست تحل له حتى يكفر كفارة

الظهار. قال ابن العربي: فأما القول بأنه العود إلى لفظ الظهار فهو باطل قطعاً لا يصح عن بكير، وإنما يشبه أن يكون من جهالة داود وأشياعه. وقد رويت قصص المتظاهرين وليس في ذكر الكفارة عليهم ذكر لعود القول منهم، وأيضا فإن المعنى ينقضه، لأن الله تعالى

وصفه بأنه منكر من القول وزور، فكيف يقال له إذا أعدت القول المحرم والسبب المحظور

وجبت عليك الكفارة، وهذا لا يعقل، ألا ترى أن كل سبب يوجب الكفارة لا تشترط فيه الإعادة من قتل ووطئ في صوم أو غيره.

قلت: قول يشبه أن يكون من جهالة داود وأشياعه حمل منه عليه، وقد قال بقول داود من ذكرناه عنهم، وأما قول الشافعي: بأنه ترك الطلاق مع القدرة عليه فينقضه ثلاثة أمور أمهات: الأول - أنه قال: (ثم) وهذا بظاهره يقتضي التراخي. الثاني - أن قوله تعالى: (ثم يعودون) يقتضي وجود فعل من جهة ومرور الزمان ليس بفعل منه. الثالث - أن الطلاق الرجعي لا ينافي البقاء على الملك فلم يسقط حكم الظهار كالإيلاء. فإن قيل: فإذا

رآها كالأم لم يمسكها إذ لا يصح إمساك الأم بالنكاح. وهذه عمدة أهل ما وراء النهر. قلنا: إذا عزم على خلاف ما قال ورآها خلاف الام كفر وعاد إلى أهله. وتحقيق هذا القول: أن العزم قول نفسي، وهذا رجل قال قولا اقتضى التحليل وهو النكاح، وقال قولا

اقتضى التحريم وهو الظهار، ثم عاد لما قال وهو التحليل، ولا يصح أن يكون منه ابتداء عقد، لأن العقد باق فلم يبق إلا أنه قول عزم يخالف ما اعتقده وقاله في نفسه من الظهار الذي

أخبر عنه بقوله أنت علي كظهر أمي، وإذا كان ذلك كفر وعاد إلى أهله، لقوله: (من قبل

أن يتماسا). وهذا تفسير بالغ [في فنه (١)].

(١) الزيادة من أحكام القرآن لابن العربي.

(۲۸۱)

الثانية - قال بعض أهل التأويل: الآية فيها تقديم وتأخير، والمعنى (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون) إلى ما كانوا عليه من الجماع (فتحرير رقبة) لما قالوا، أي فعليهم تحرير رقبة من أجل ما قالوا، فالجار في قوله: (لما قالوا) متعلق بالمحذوف الذي

هو خبر الابتداء وهو عليهم، قال الأخفش. وقال الزجاج: المعنى ثم يعودون إلى إرادة الجماع من أجل ما قالوا. وقيل: المعنى الذين كانوا يظهرون من نسائهم في الجاهلية، ثم يعودون لما كانوا قالوه في الجاهلية في الاسلام فكفارة من عاد أن يحرر رقبة. الفراء:

اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطئ. وقال الأخفش: لما قالوا

وإلى ما قالوا واحد، واللام وإلى يتعاقبان، قال: (الحمد لله الذي (١) هدانا لهذا) وقال: (فاهدوهم إلى صراط (٢) الحميم) وقال: (بأن ربك أوحى (٣) لها) وقال: (وأوحى إلى نوح (٤)).

الثالثة - قوله تعالى: (فتحرير رقبة) أي فعلية إعتاق رقبة، يقال: حررته أي جعلته حرا. ثم هذه الرقبة يجب أن تكون كاملة سليمة من كل عيب، من كمالها إسلامها

عند مالك والشافعي، كالرقبة في كفارة القتل. وعند أبي حنيفة وأصحابه تجزي الكافرة ومن فيها شائبة (٥) رق كالمكاتبه وغيرها.

الرابعة - فإن أعتق نصفي عبدين فلا يجزيه عندنا ولا عند أبي حنيفة. وقال الشافعي يجزئ، لأن نصف العبدین في معنى العبد الواحد، ولأن الكفارة بالعتق طريقها المال فجاز أن يدخلها التبويض والتجزي كالاطعام، ودليلنا قوله تعالى: (فتحرير رقبة) وهذا الاسم عبارة عن شخص واحد، وبعض الرقبة ليس برقبة، وليس ذلك مما يدخله التلفيق، لأن العبادة المتعلقة بالرقبة لا يقوم النصف من رقتين مقامها، أصله إذا أشترك رجلان في أضحيتين، ولأنه لو أمر رجلين أن يحجا عنه حجة لم يجز أن يحج عنه واحد منهما نصفها

كذلك هذا، ولأنه لو أوصى بأن تشتري رقبة فتعتق عنه لم يجز أن يعتق عنه نصف عبدين،

كذلك في مسألتنا وبهذا يبطل دليلهم. والاطعام وغيره لا يتجزي في الكفارة عندنا.

(١) راجع ج ٧ ص ٢٠٨

(٢) راجع ج ١٥ ص ٨٣

(٣) راجع ج ٢٠ ص ١٤٩

(٤) راجع ج ٩ ص ٢٩



(٥) في ح، ز، س، ط، ل: (شعبة رق) والمعنى واحد.

(٢٨٢)

الخامسة - قوله تعالى: (من قبل أن يتماسا) أي يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوطئ قبل التكفير، فإن جامعها قبل التكفير أثم وعصى ولا يسقط عنه التكفير. وحكي عن مجاهد: أنه إذا وطئ قبل أن يشرع في التكفير لزمته كفارة أخرى. وعن غيره: أن الكفارة

الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شيء أصلا، لان الله تعالى أوجب الكفارة وأمر بها قبل المسيس، فإذا أخرها حتى مس فقد فات وقتها. والصحيح ثبوت الكفارة، لأنه بوطئه

ارتكب إثما فلم يكن ذلك مسقطا للكفارة، ويأتي بها قضاء كما لو أخر الصلاة عن وقتها.

وفي حديث أوس بن الصامت لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه وطئ امرأته أمره بالكفارة (١). وهذا نص وسواء كانت كفارة بالعتق أو الصوم أو الاطعام. وقال أبو حنيفة: إن

كانت كفارته بالاطعام جاز أن يطأ ثم يطعم، فأما غير الوطئ من القبلة والمباشرة والتلذذ فلا يحرم في قول أكثر العلماء. وقاله الحسن وسفيان، وهو الصحيح من مذهب الشافعي. وقيل: وكل

ذلك محرم وكل معاني المسيس، وهو قول مالك وأحد قولي الشافعي. وقد تقدم. السادسة - قوله تعالى: (ذلكم توعظون به) أي تؤمرون به (والله بما تعملون خبير) من التكفير وغيره.

السابعة - من لم يجد الرقبة ولا ثمنها، أو كان مالكا لها إلا أنه شديد الحاجة إليها لخدمته، أو كان مالكا لثمنها إلا أنه يحتاج إليه لنفقته، أو كان له مسكن ليس له غيره ولا يجد

شيئا سواه، فله أن يصوم عند الشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يصوم وعليه عتق ولو كان محتاجا إلى ذلك. وقال مالك: إذا كان له دار وخادم لزمه العتق فإن عجز عن الرقبة، وهي:

الثامنة - فعليه صوم شهرين متتابعين. فإن أفطر في أنثائهما بغير عذر استأنفهما، وإن أفطر لعذر من سفر أو مرض، فقيل: ييني، قاله ابن المسيب والحسن وعطاء بن أبي رباح

وعمر وبن دينار والشعبي. وهو أحد قولي الشافعي وهو الصحيح من مذهبه. وقال مالك:

(١) لم يتقدم العود في حديث أوس، وإنما هو في مظاهر آخر وهو القائل: رأيت خلخالها في ضوء القمر.

(۲۸۳)

إنه إذا مرض في صيام كفارة الظهر بنى إذا صح. ومذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أنه يتدى. وهو أحد قولي الشافعي.

التاسعة - إذا ابتداء الصيام ثم وجد الرقبة أتم الصيام وأجزأه عند مالك والشافعي، لأنه بذلك أمر حين دخل فيه. ويهدم الصوم ويعتق عند أبي حنيفة وأصحابه، قياسا على الصغيرة المعتدة بالشهور ترى الدم قبل انقضائها، فإنها تستأنف الحيض إجماعا من العلماء.

وإذا ابتداء سفرا في صيامه فأفطر (١)، ابتداء الصيام عند مالك والشافعي وأبي حنيفة، لقوله:

(متتابعين). ويبنى في قول الحسن البصري، لأنه عذر [وقياسا (٢) على رمضان، فإن تخللها

زمان لا يحل صومه في الكفارة كالعيدين وشهر رمضان انقطع].

العاشرة - إذا وطئ المتظاهر في خلال الشهرين نهارا، بطل التتابع في قول الشافعي، وليلا فلا يبطل، لأنه ليس محلا للصوم. وقال مالك وأبو حنيفة: يبطل بكل حال ووجب عليه ابتداء الكفارة، لقوله تعالى: (من قبل أن يتماسا) وهذا الشرط عائد إلى جملة الشهرين، وإلى أبعاضهما، فإذا وطئ قبل انقضائهما فليس هو الصيام المأمور به،

فلزمه استئنافه، كما لو قال: صل قبل أن تكلم زيدا. فكلم زيدا في الصلاة، أو قال: صل

قبل أن تبصر زيدا فأبصره في الصلاة لزمه استئنافها، لان هذه الصلاة ليست هي الصلاة المأمور بها كذلك هذا، والله أعلم.

الحادية عشرة - ومن تناول مرضه طولا لا يرجى برؤه كان بمنزلة العاجز من كبر، وجاز له العدول عن الصيام إلى الاطعام. ولو كان مرضه مما يرجى برؤه واشتدت حاجته

إلى وطئ امرأته كان الاختيار له أن ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام. ولو كفر بالاطعام

ولم ينتظر القدرة على الصيام أجزأه.

الثانية عشرة - ومن تظاهر وهو معسر ثم أيسر لم يجزه الصوم. ومن تظاهر وهو موسر ثم أعسر قبل أن يكفر صام. وإنما ينظر إلى حاله يوم يكفر. ولو جامعها في عدمه

(١) لفظة (فأفطر) ساقطة من ز، ل.

(٢) ما بين المربعين ساقط من ح، ز، س، ه، ل.

(۲۸۴)

وعسره ولم يصم حتى أيسر لزمه العتق. ولو ابتدأ بالصوم ثم أيسر فإن كان مضى من صومه صدر صالح نحو الجمعة وشبهها تمادى. وإن كان اليوم واليومين ونحوهما ترك الصوم وعاد

إلى العتق وليس ذلك بواجب عليه. ألا ترى أنه غير واجب على من طرأ الماء عليه وهو قد دخل بالتييمم في الصلاة أن يقطع ويتدئ الطهارة عند مالك.

الثالثة عشرة - ولو أعتق رقبتين عن كفارتي ظهار أو قتل أو فطر في رمضان وأشرك بينهما في كل واحدة منهما لم يجزه. وهو بمنزلة من أعتق رقبة واحدة عن كفارتين.

وكذلك لو صام عنهما أربعة أشهر حتى يصوم عن كل واحدة منهما شهرين. وقد قيل: إن ذلك يجزيه. ولو ظاهر من امرأتين ل فأعتق رقبة عن إحداهما بغير عينها لم يجز له وطئ واحدة منهما حتى يكفر كفارة أخرى. ولو عين الكفارة عن إحداهما جاز له أن يطأها قبل أن يكفر الكفارة عن الأخرى. ولو ظاهر من أربع نسوة فأعتق عنهن ثلاث رقاب، وصام شهرين، لم يجزه العتق ولا الصيام، لأنه إنما صام عن كل واحدة خمسة عشر

يوماً، فإن كفر عنهن بالاطعام جاز أن يطعم عنهن مائتي مسكين، وإن لم يقدر فرق بخلاف العتق والصيام، لان صيام الشهرين لا يفرق والاطعام يفرق. فصل وفيه ست مسائل:

الأولى - ذكر الله عز وجل الكفارة هنا مرتبة، فلا سبيل إلى الصيام إلا عند العجز عن الرقبة، وكذلك لا سبيل إلى الاطعام إلا عند عدم الاستطاعة على الصيام، فمن لم يطق

الصيام وجب عليه إطعام ستين مسكيناً لكل مسكين مدان يمد النبي صلى الله عليه وسلم.

وإن أطعم مداً بمد هشام، وهو مدان إلا ثلثاً، أو أطعم مداً ونصفاً بمد النبي صلى الله عليه

وسلم أجزاءه. قال أبو عمر بن عبد البر: وأفضل ذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم،

لان الله عز وجل لم يقل في كفارة الظهار (من أوسط ما تطعمون) (١)) فواجب قصد الشبع.

قال ابن العربي: وقال مالك في رواية ابن القاسم وابن عبد الحكم: مد بمد هشام وهو الشبع

ها هنا، لان الله تعالى أطلق الطعام ولم يذكر الوسط. وقال في رواية أشهب: مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم (٢): [قيل له: ألم تكن قلت مد هشام؟ قال: بلى، مدان بمد

النبي  
صلى الله عليه وسلم أحب إلي]. وكذلك قال عنه ابن القاسم أيضا.

-----  
(١) راجع ج ٦ ص ٢٦٥  
(٢) ما بين المربعين ساقط من أو الأصل المطبوع.

قلت: وهي رواية ابن وهب ومطرف عن مالك: أنه يعطي مدين لكل مسكين بمد النبي صلى الله عليه وسلم. وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه. ومذهب الشافعي وغيره مد

واحد لكل مسكين لا يلزمه أكثر من ذلك، لأنه يكفر بالاطعام ولم يلزمه صرف زيادة على المد، أصله كفارة الإفطار واليمين. ودليلنا قوله تعالى: (فإطعام ستين مسكينا) وإطلاق الإطعام يتناول الشبع، وذلك لا يحصل بالعادة بمد واحد إلا بزيادة عليه. وكذلك قال أشهب: قلت لمالك أيختلف الشبع عندنا وعندكم؟ قال نعم! الشبع عندنا مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم أكثر، لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لنا

بالبركة دونكم، فأنتم تأكلون أكثر مما نأكل نحن. وقال أبو الحسن القاسبي: إنما أخذ أهل

المدينة بمد هشام في كفارة الظهر تغليظا على المتظاهرين الذين شهد الله عليهم أنهم يقولون

منكرا من القول وزورا. قال ابن العربي: وقع الكلام ها هنا في مد هشام كما ترون، ووددت

أن يهشم الزمان ذكره، ويمحو من الكتب رسمه، فإن المدينة التي نزل الوحي بها واستقر الرسول

بها ووقع عندهم الظهر، وقيل لهم فيه: (فإطعام ستين مسكينا) فهموه وعرفوا المراد به وأنه الشبع، وقدره معروف عندهم متقرر لديهم، وقد ورد ذلك الشبع في الاخبار كثيرا،

واستمرت الحال على ذلك أيام الخلفاء الراشدين المهديين حتى نفخ الشيطان في أذن هشام،

فرأى أن مد النبي صلى الله عليه وسلم لا يشبعه، ولا مثله من حواشيه ونظرائه، فسول له أن

يتخذ مدا يكون فيه شبعه، فجعله رطلين وحمل الناس عليه، فإذا ابتل عاد نحو الثلاثة الأرتال، فغير السنة وأذهب محل البركة. قال النبي صلى الله عليه وسلم حين دعا ربه لأهل

المدينة بأن تبقى لهم البركة في مدهم وصاعهم، مثل ما بارك لإبراهيم بمكة، فكانت البركة تجري

بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مده، فسعى الشيطان في تغيير هذه السنة وإذهاب هذه

البركة، فلم يستجب له في ذلك إلا هشام، فكان من حق العلماء أن يلغوا (١) ذكره ويمحوا رسمه



إذا لم يغيروا أمره، وأما أن يحيلوا على ذكره في الاحكام، ويجعلوه تفسيراً لما ذكر الله  
ورسوله بعد أن كان مفسراً عند الصحابة الذين نزل عليهم فخطب جسيم، ولذلك  
كانت  
رواية أشهب في ذكر مدين بمد النبي صلى الله عليه وسلم في كفارة الظهر أحب إلينا  
من

-----  
(١) في ل: (يدعوا) بدل (يلغوا).

الرواية بأنها بمد هشام. ألا ترى كيف نبه مالك على هذا العلم بقوله لأشهب: الشبع عندنا بمد النبي صلى الله عليه وسلم، والشبع عندكم أكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لنا بالبركة. وبهذا أقول، فإن العبادة إذا أدت بالسنة، فإن كانت بالبدن كانت أسرع إلى القبول، وإن كانت بالمال كان قليلها أثقل في الميزان، وأبرك في يد الآخذ، وأطيب في شدقه، وأقل آفة في بطنه، وأكثر إقامة لصلبه (١). والله أعلم (٢).

الثانية - ولا يجزئ عند مالك والشافعي أن يطعم أقل من ستين مسكينا. وقال أبو حنيفة وأصحابه: إن أطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد أجزأه.

الثالثة - قال القاضي أبو بكر بن العربي: من غريب الامر أن أبا حنيفة قال إن الحجر على الحر باطل. وأحتج بقوله تعالى: (فتحرير رقبة) ولم يفرق بين الرشيد والسفيه، وهذا فقه ضعيف لا يناسب قدره، فإن هذه الآية عامة، وقد كان القضاء بالحجر في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشيا والنظر يقتضيه، ومن كان عليه حجر لصغر أو لولاية وبلغ سفيها قد نهى عن دفع المال إليه، فكيف ينفذ فعله فيه والخاص يقضي على العام.

الرابعة - وحكم الظهار عند بعض العلماء ناسخ لما كانوا عليه من كون الظهار طلاقا، وقد روي معنى ذلك عن ابن عباس وأبي قلابة وغيرهما.

الخامسة - قوله تعالى: (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أي ذلك الذي وصفنا من التغليظ في الكفارة (لتؤمنوا) أي لتصدقوا أن الله أمر به. وقد أستدل بعض العلماء على أن هذه الكفارة إيمان بالله سبحانه وتعالى، لما ذكرها وأوجبها قال: (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أي ذلك لتكونوا مطيعين لله تعالى واقفين عند حدوده لا تتعدوها، فسمى التكفير لأنه طاعة ومراعاة للحد إيمانا، فثبت أن كل ما أشبهه فهو إيمان. فإن قيل: معنى قوله: (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أي لئلا تعودوا للظهار الذي هو منكر من القول وزور.

(١) في ح، ز، س، ه: (لقلبه).

(٢) في ح، ز، س، ل، ه: (والله الموفق لا رب غيره).

(۲۸۷)

قيل له: قد يجوز أن يكون هذا مقصودا والأول مقصودا، فيكون المعنى ذلك لئلا تعودوا

للقول المنكر والزور، بل تدعونهما طاعة لله سبحانه وتعالى إذ كان قد حرهما، ولتجتنبوا

المظاهر منها إلى أن تكفروا، إذ كان الله منع من مسيئتها، وتكفروا إذ كان الله تعالى أمر بالكفارة وألزم إخراجها منكم، فتكونوا بهذا كله مؤمنين بالله ورسوله، لأنها حدود تحفظونها، وطاعات تؤدونها والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم إيمان. وبالله التوفيق.

السادسة - قوله تعالى: (وتلك حدود الله) أي بين معصيته وطاعته، فمعصيته الظهار، وطاعته الكفارة. (وللكافرين عذاب أليم) أي لمن لم يصدق بأحكام الله تعالى عذاب جهنم.

قوله تعالى: ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عاب مهين (٥) يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد (٦)

قوله تعالى: (ان الذين يحادون الله ورسوله) لما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها. والمحادة المعادة والمخالفة في الحدود، وهو مثل قوله تعالى:

(ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله (١)). وقيل: (يحادون الله) أي أولياء الله كما في الخبر:

(من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة). وقال الزجاج: المحادة أن تكون في حد يخالف

حد صاحبك. وأصلها الممانعة، ومنه الحديد، ومنه الحداد للبواب. (كبتوا) قال أبو عبيدة

والأخفش: أهلكوا. وقال قتادة: أخزوا كما أخزي الذين من قبلهم. وقال ابن زيد: عذبوا. وقال السدي: لعنوا. وقال الفراء: غيظوا يوم الحندق. وقيل: يوم بدر. والمراد المشركون. وقيل: المنافقون. (كما كبت الذين من قبلهم). وقيل: (كبتوا)

(١) راجع ج ١٨ ص ٦

أي سيكتبون، وهو بشارة من الله تعالى للمؤمنين بالنصر، وأخرج الكلام بلفظ الماضي تقريباً للمخبر عنه. وقيل: هي بلغة مذحج (١). (وقد أنزلنا آيات بينات) فيمن حاد الله ورسوله

من الذين من قبلهم فيما فعلنا بهم. (وللكافرين عذاب مهين).  
قوله تعالى: (يوم) نصب ب (عذاب مهين) أو بفعل مضمر تقديره واذكر تعظيماً لليوم. (يبعثهم الله جميعاً) أي الرجال والنساء يبعثهم من قبورهم في حالة واحدة (فينبئهم)  
أي يخبرهم (بما عملوا) في الدنيا (أحصاه الله) عليهم في صحائف أعمالهم (ونسوه) هم حتى  
ذكرهم به في صحائفهم ليكون أبلغ في الحجة عليهم. (والله على كل شيء شهيد) مطلع وناظر

لا يخفى عليه شيء.  
قوله تعالى: ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم (٧)  
قوله تعالى: (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض) فلا يخفى عليه سر ولا علانية. (ما يكون من نجوى) قراءه العامة بالياء، لأجل الحائل بينهما. وقرأ أبو جعفر بن القعقاع والأعرج وأبو حياة وعيسى (ما تكون) بالتاء لتأنيث الفعل. والنجوى: السرار، وهو مصدر والمصدر قد يوصف به، يقال: قوم نجوى أي ذوو نجوى،

ومنه قوله تعالى: (وإذ هم نجوى (٢)). وقوله تعالى: (ثلاثة) خفض بإضافة (نجوى) إليها. قال الفراء: (ثلاثة) نعت للنجوى فانخفضت وإن شئت أضفت (نجوى) إليها. ولو نصب على إضمار فعل جاز، وهي قراءة ابن أبي عبلة (ثلاثة) و (خمسة) بالنصب على الحال بإضمار يتناجون، لان نجوى يدل عليه، قاله الزمخشري. ويجوز رفع (ثلاثة)  
على البدل من موضع (نجوى). ثم قيل: كل سرار نجوى. وقيل: النجوى ما يكون من

(١) مذحج - كمسجد - أبو قبيلة باليمن.

(٢) راجع ج ١٠ ص ٢٧٢

خلوة ثلاثة يسرون شيئاً ويتناجون به. والسرار ما كان بين اثنين. (الا هو رابعهم) يعلم ويسمع نجواهم، يدل عليه افتتاح الآية بالعلم ثم ختمها بالعلم. وقيل: النجوى من النجوة

وهي ما ارتفع من الأرض، فالمتناجيان يتناجيان ويخلوان بسرهما كخلو المرتفع من الأرض

عما يتصل به، والمعنى: أن سمع الله محيط بكل كلام، وقد سمع الله مجادلة المرأة التي ظاهر

منها زوجها. (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) قرأ سلام ويعقوب وأبو العالية ونصر وعيسى

بالرفع على موضع (من نجوى) قبل دخول (من) لان تقديره ما يكون نجوى، و (ثلاثة) يجوز أن يكون مرفوعاً على محل (لا) مع (أدنى) كقولك: لا حول ولا قوة إلا بالله بفتح الحول ورفع القوة. ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء، كقولك لا حول ولا قوة

إلا بالله. وقد مضى في (البقرة (١)) بيان هذا مستوفى. وقرأ الزهري وعكرمة (أكبر) بالباء.

والعامة بالثاء وفتح الراء على اللفظ وموضعها جر. وقال الفراء في قوله: (ما يكون من نجوى

ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) قال: المعنى غير مصمود والعدد غير مقصود

لأنه تعالى إنما قصد وهو أعلم أنه مع كل عدد قل أو أكثر، يعلم ما يقولون سرا وجهرا ولا تخفى عليه خافية، فمن أجل ذلك اكتفى بذكر بعض العدد دون بعض. وقيل: معنى ذلك أن الله معهم بعلمه حيث كانوا من غير زوال ولا انتقال. ونزل ذلك في قوم من المنافقين

كانوا فعلوا شيئاً سرا فأعلم الله أنه لا يخفي عليه ذلك، قاله ابن عباس. وقال قتادة ومجاهد:

نزلت في اليهود. (ثم ينبئهم) يخبرهم (بما عملوا) من حسن وسئ (يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم).

قوله تعالى: ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٨)

(١) راجع ج ٣ ص ٢٦٦ فما بعد.

(٢٩٠)

فيه ثلاث مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) قيل: إن هذا في اليهود والمنافقين حسب ما قدمناه. وقيل: في المسلمين. قال ابن عباس: نزلت في اليهود والمنافقين

كانوا يتناجون فيما بينهم، وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فيقول المؤمنون: لعلمهم

بلغهم عن إخواننا وقرابتنا من المهاجرين والأنصار قتل أو مصيبة أو هزيمة، ويسؤهم ذلك

فكثرت شكواهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت. وقال

مقاتل: كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود مودعة، فإذا مر بهم رجل من المؤمنين

تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شراً، فيعرج عن طريقه، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم ينتهوا فنزلت. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان الرجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم

فيسأله الحاجة ويناجيه والأرض يومئذ حرب، فيتوهمون أنه يناجيه في حرب أو بلية أو أمر

مهم فيفزعون لذلك فنزلت.

الثانية - روى أبو سعيد الخدري قال: كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ما هذه النجوى ألم تنهوا عن النجوى) فقلنا: تبنا

إلى الله يا رسول الله، إنا كنا في ذكر المسيح - يعني الدجال - فرقا (١) منه. فقال: (ألا أخبركم

بما هو أخوف عندي منه) قلنا: بلى يا رسول الله، قال: (الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل) ذكره الماوردي. وقرأ حمزة وخلف ورويس عن يعقوب

(وينتجون)

في وزن يفتعلون وهي قراءة عبد الله وأصحابه. وقرأ الباقون (ويتناجون) في وزن يتفاعلون،

وأختره أبو عبيد وأبو حاتم، لقوله تعالى: (إذا تناجيتهم) و (تناجوا). النحاس: وحكى سيبويه أن تفاعلوا وافتعلوا يأتيان بمعنى واحد، نحو تخاصموا واختصموا، وتقاتلوا

واقتلوا

فعلى هذا (يتناجون) و (ينتجون) واحد. ومعنى (بالاثم والعدوان) أي الكذب والظلم.



(ومعصية الرسول) أي مخالفته. وقرأ الضحاك ومجاهد وحميد (ومعصيات الرسول)  
بالجمع.

-----  
(١) في ل: (خوفا منه).

الثالثة - قوله تعالى: (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) لا خلاف بين النقلة أن المراد بها اليهود، كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون: السام عليك. يريدون بذلك

السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (عليكم) في رواية،

وفي رواية أخرى (وعليكم). قال ابن العربي: وهي مشكلة. وكانوا يقولون: لو كان محمد نبيا لما أمهلنا الله بسبه والاستخفاف به، وجهلوا أن الباري تعالى حلیم لا يعاجل من

سبه، فكيف من سب نبيه. وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا أحد أصبر على الأذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافهم ويرزقهم) فأنزل الله تعالى هذا

كشفا لسرائرهم، وفضحا لبواطنهم، معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم. وقد ثبت عن قتادة عن أنس أن يهوديا أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه فقال: السام

عليكم. فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (أتدرون ما قال هذا) قالوا: الله ورسوله

أعلم. قال: (قال كذا ردوه علي) فردوه، قال: (قلت السام عليكم) قال: نعم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا عليكم ما قلت) فأنزل

الله تعالى: (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله). قلت: خرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح. وثبت عن عائشة أنها قالت:

جاء أناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم. فقلت:

السام عليكم وفعل الله بكم وفعل. فقال عليه السلام: (مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش

ولا التفحش) فقلت: يا رسول الله أأست ترى ما يقولون؟! فقال: (أأست ترى أرد عليهم ما يقولون أقول وعليكم) فنزلت هذه الآية (بما لم يحيك به الله) أي إن الله سلم عليك

وهم يقولون السام عليك، والسام الموت. خرجه البخاري ومسلم بمعناه. وفي الصحيحين

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا سلم عليكم

أهل الكتاب فقولوا وعليكم) كذا الرواية (وعليكم) بالواو تكلم عليها العلماء، لان الواو

العاطفة يقتضي التشريك فيلزم منه أن يدخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت، أو من

(٢٩٢)

سامه ديننا وهو الملال. يقال: سئم يسأم سامه وسآما. فقال بعضهم: الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر:

\* فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي \*

أي لما أجزنا انتحي فزاد الواو. وقال بعضهم: هي للاستئناف، كأنه قال: والسام عليكم.

وقال بعضهم: هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك، لأننا نجاب عليهم ولا يجابون علينا،

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. روى الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سلم ناس

من يهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقال: (وعليكم) فقالت عائشة وغضبت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: (بلى قد سمعت فرددت عليهم وإنما نجاب عليهم ولا يجابون علينا) خرجه مسلم. ورواية الواو أحسن معنى، وإثباتها

أصح رواية وأشهر.

وقد اختلف في رد السلام على أهل الذمة هل هو واجب كالرد على المسلمين، وإليه ذهب ابن عباس والشعبي وقتادة، للامر بذلك. وذهب مالك فيما روى عنه أشهب وابن وهب إلى أن ذلك ليس بواجب فإن رددت فقل عليك. وقد اختار ابن طائوس أن يقول في الرد عليهم: علاك السلام أي أرتفع عنك. واختار بعض أصحابنا: السلام بكسر

السين يعني الحجارة. وما قاله مالك أولى أتباعا للسنة، والله أعلم. وروى مسروق عن عائشة قالت: أتى النبي صلى الله عليه وسلم ناس من اليهود، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم،

قال: (وعليكم) قالت عائشة: قلت بل عليكم السام والذام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة لا تكوني فاحشة) فقالت: ما سمعت ما قالوا! فقال: (أو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا قلت وعليكم). وفي رواية قال: ففطنت بهم عائشة فسبتهن،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش)

وزاد فأنزل الله تبارك وتعالى: (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) إلى آخر الآية. الذام بتخفيف الميم هو العيب، وفي المثل (لا تعدم الحسناء ذاما) أي عيبا، ويهمز ولا يهمز،



يقال: ذأمه يذأمه، مثل ذأب يذأب، والمفعول مذكوم مهموزا، ومنه (مذؤوما مدحورا  
(١))

ويقال: ذامه يذومه مخففا كرامة يرومه.

قوله تعالى: (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) قالوا: لو كان محمد نبيا لعذبنا الله بما نقول فهلا يعذبنا الله. وقيل: قالوا إنه يرد علينا ويقول عليكم السام والسام الموت، فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومنتنا. وهذا موضع تعجب منهم، فإنهم كانوا أهل كتاب، وكانوا يعلمون أن الأنبياء قد يغضبون فلا يعاجل من يغضبهم بالعذاب. (حسبهم جهنم) أي كافيهم جهنم عقابا غدا (فبئس المصير) أي المرجع.

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩)

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم) نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال: (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم) أي تساررتهم. (فلا تتناجوا) هذه قراءة العامة. وقرأ يحيى بن وثاب وعاصم ورويس عن يعقوب (فلا تنتجوا) من الانتجاء (بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر) أي بالطاعة (والتقوى) بالعفاف عما نهى الله عنه. وقيل: الخطاب للمنافقين، أي يا أيها الذين آمنوا بزعمهم. وقيل: أي يا أيها

الذين آمنوا بموسى. (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) أي تجمعون في الآخرة.

قوله تعالى: انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين ء امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٠)

(١) راجع ج ١٠ ص ٢٣٥

فيه مسألتان:

الأولى - قوله تعالى: (انما النجوى من الشيطان) أي من تزيين الشياطين (ليحزن الذين آمنوا) إذ توهموا أن المسلمين أصيبوا في السرايا، أو إذا أجروا (١) اجتماعهم على مكايده

المسلمين، وربما كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم فيظن المسلمون أنهم ينتقصونهم

عند النبي صلى الله عليه وسلم (وليس بضارهم) أي التناجي (شيئا الا بإذن الله) أي بمشيئته

وقيل: بعلمه. وعن ابن عباس: بأمره. (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي يكفون أمرهم إليه، ويفوضون جميع شؤونهم إلى عونه، ويستعينون به من الشيطان ومن كل شر، فهو الذي سلط الشيطان بالوساوس ابتلاء للعبد وامتحانا ولو شاء لصرفه عنه.

الثانية - في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد). وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن

يحزنه) فبين في هذا الحديث غاية المنع وهي أن يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر،

ذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يناجيه حتى دعا رابعا، فقال

له وللأول: تأخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة. خرج الموطأ. وفيه أيضا التنبيه على التعليل

بقوله: (من أجل أن يحزنه) أي يقع في نفسه ما يحزن لأجله. وذلك بأن يقدر في نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنه لم يروه أهلا ليشاركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من ألقيا

الشيطان وأحاديث النفس. وحصل ذلك كله من بقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمن ذلك،

وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف

مثلا، لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع، فيكون بالمنع

أولى. وإنما خص الثلاثة بالذكر، لأنه أول عدد يتأتى ذلك المعنى فيه. وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال، وإليه ذهب ابن عمر ومالك والجمهور. وسواء أكان

التناجي  
في مندوب أو مباح أو واجب فإن الحزن يقع به. وقد ذهب بعض الناس إلى أن ذلك  
كان

-----  
(١) في ح، ز، هـ: (أو إذا رأوا اجماعهم).



في أول الاسلام، لان ذلك كان في حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المؤمنين، فلما فشا الاسلام سقط ذلك. وقال بعضهم: ذلك خاص بالسفر في المواضع التي لا يأمن الرجل فيها صاحبه، فأما في الحضر وبين العمارة فلا، فإنه يجد من يعينه، بخلاف السفر فإنه مظنة

الاغتيال وعدم المغيث (١). والله أعلم.

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير (١١)

فيه سبع مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس (٢)) لما

بين

أن اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الأدب في مجالسة

رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لا يضيّقوا عليه المجلس، وأمر المسلمين بالتعاطف

والتألف حتى يفسح بعضهم لبعض، حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه

وسلم والنظر إليه. قال قتادة ومجاهد: كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم،

فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض. وقاله الضحاك. وقال ابن عباس: المراد بذلك مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب. قال الحسن ويزيد بن أبي حبيب: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتل المشركين تشاح أصحابه على الصف الأول (٣) فلا يوسع بعضهم لبعض، رغبة

في القتال والشهادة فنزلت. فيكون كقوله: (مقاعد للقتال (٤)). وقال مقاتل: كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصف، وكان في المكان ضيق يوم الجمعة، وكان النبي صلى الله عليه

(١) في ح، ز، س، ل، هـ: (الغوث).

(٢) الأصول على قراءة نافع (في المجلس) بالافراد.

(٣) في ل: (الأول فالأول).

(٤) راجع ج ٤ ص ١٨٤

(٢٩٦)

وسلم يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء أناس من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس

ابن شماس وقد سبقوا في المجلس، فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم على أرجلهم

ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم، فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لمن

حوله من [غير (١)] أهل بدر: (قم يا فلان وأنت يا فلان) بعدد القائمين من أهل بدر، فشق

ذلك على من أقيم، وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم، فغمز المنافقون

وتكلموا بأن قالوا: ما أنصف هؤلاء وقد أحبوا القرب من نبيهم فسبقوا إلى المكان، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. (تفسحوا) أي توسعوا. وفسح فلان لأخيه في مجلسه

يفسح فسحا أي وسع له، ومنه قولهم: بلد فسيح ولك في كذا فسحة، وفسح يفسح مثل منع

يمنع، أي وسع في المجلس، وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم [كرامة (٢)] أي صار واسعا، ومنه

مكان فسيح.

الثانية - قرأ السلمي وزر بن حبيش وعاصم (في المجالس). وقرأ قتادة وداود

ابن أبي هند والحسن باختلاف عنه (إذا قيل لكم تفسحوا) الباقون (تفسحوا في المجلس)

فمن جمع فلان قوله: (تفسحوا في المجالس) ينبئ أن لكل واحد مجلسا. وكذلك إن أريد به الحرب. وكذلك يجوز أن يراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وجمع لان

لكل

جالس مجلسا. وكذلك يجوز إن أريد بالمجلس المفرد مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، ويجوز

أن يراد به الجمع على مذهب الجنس، كقولهم: كثر الدينار والدرهم.

قلت: الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر، سواء

كان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة، فإن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه

[قال صلى الله عليه وسلم: (من سبق إلى ما لم يسبق إليه فهو أحق (٣) به)] ولكن يوسع

لأخيه ما لم يتأذ فيخرجه الضيق عن موضعه. روى البخاري ومسلم عن ابن عمر عن

- 
- (١) الزيادة من ل، وأسباب النزول وبعض التفاسير وفي ز: (قم أنت يا فلان وأنت يا فلان).
- (٢) زيادة من ل.
- (٣) الزيادة من حاشية الجمل نقلا عن القرطبي.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه). وعنه  
عن  
النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن  
تفسحوا  
وتوسعوا. وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه. لفظ  
البخاري.

الثالثة - إذا قعد واحد من الناس في موضع من المسجد لا يجوز لغيره أن يقيمه  
حتى يقعد مكانه، لما روى مسلم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال: (لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف إلى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول  
افسحوا).

فرع - القاعد في المكان إذا قام حتى يقعد غيره موضعه نظر، فإن كان الموضع  
الذي قام إليه مثل الأول في سماع كلام الامام لم يكره له ذلك، وإن كان أبعد من  
الامام  
كره له ذلك، لان فيه تفويت حظه.

الرابعة - إذا أمر إنسان إنسانا أن يبكر إلى الجامع فيأخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره،  
فإذا جاء الأمر يقوم من الموضع، لما روي: أن ابن سيرين كان يرسل غلامه إلى مجلس  
له

في يوم الجمعة فيجلس له فيه، فإذا جاء قام له منه.

فرع - وعلى هذا من أرسل بساطا أو سجادة فتبسط له في موضع من المسجد (١).  
الخامسة - روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال: (إذا قام أحدكم - وفي حديث أبي عوانة من قام من مجلسه - ثم رجع إليه فهو  
أحق به) قال علماءنا: هذا يدل على صحة القول بوجوب اختصاص الجالس بموضعه  
إلى أن

يقوم منه، لأنه إذا كان أولى به بعد قيامه فقبله أولى به وأحرى. وقد قيل: إن ذلك على  
الندب، لأنه موضع غير متملك لا قبل الجلوس ولا بعده. وهذا فيه نظر، وهو أن  
يقال: سلمنا أنه غير متملك لكنه يختص به إلى أن يفرغ غرضه منه، فصار كأنه يملك  
منفعته، إذ قد منع غيره من يزاحمه عليه. والله أعلم.

(١) في ز، س، ه، ل بياض في هذه النسخ، بعد قوله: (من المسجد) نبه عليه الناسخ بالهامش بقوله:  
بياض بالأصل.

السادسة - قوله تعالى: (يفسح الله لكم) أي في قبوركم. وقيل: في قلوبكم. وقيل: يوسع عليكم في الدنيا والآخرة. (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما. وكسر الباقون، وهما لغتان مثل (يعكفون (١)) و (يعرشون (١))

والمعنى انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير، قال أكثر المفسرين. وقال مجاهد والضحاك:

إذ نودي للصلاة فقوموا إليها. وذلك أن رجلا تناقلوا عن الصلاة فنزلت. وقال الحسن ومجاهد أيضا: أي انهضوا إلى الحرب. وقال ابن زيد: هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، كان كل رجل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال

الله تعالى: (وإذا قيل أنشزوا) عن النبي صلى الله عليه وسلم (فانشزوا) فإن له حوائج فلا تمكثوا. وقال قتادة: المعنى أجيئوا إذا دعيتم إلى أمر بمعروف. وهذا هو الصحيح، لأنه يعم. والنشز الارتفاع، مأخوذ من نشز الأرض وهو ارتفاعها، يقال نشز ينشز وينشز إذا انتحى من موضعه، أي ارتفع منه. وامرأة ناشز منتحية عن زوجها. وأصل هذا من النشز، والنشز هو ما ارتفع من الأرض وتنحى، ذكره النحاس.

السابعة - قوله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على

من ليس بعالم. وقال ابن مسعود: مدح الله العلماء في هذه الآية. والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم (٢) على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم (درجات) أي درجات في دينهم إذا فعلوا

ما أمروا به. وقيل: كان أهل الغنى يكرهون أن يزاحمهم من يلبس الصوف فيستبقون إلى

مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب لهم. ورأى عليه الصلاة والسلام رجلا من الأغنياء

يقبض ثوبه نفورا من بعض الفقراء أراد أن يجلس إليه فقال: (يا فلان خشيت أن يتعدى غناك إليه أو فقره إليك) وبين في هذه الآية أن الرفعة عند الله تعالى بالعلم والإيمان لا بالسبق

إلى صدور المجالس. وقيل: أراد بالذين أوتوا العلم الذين قرأوا القرآن. وقال يحيى بن يحيى

عن مالك: (يرفع الله الذين آمنوا منكم) الصحابة (والذين أوتوا العلم درجات) يرفع الله بها العالم والطالب للحق.

-----  
(١) راجع ج ٧ ص ٢٧٢ وص ٢٧٣.  
(٢) والمعنى يرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين.

قلت: والعموم أوقع في المسألة وأولى بمعنى الآية، فيرفع المؤمن (١) بإيمانه أولاً ثم بعلمه

ثانياً. وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة، فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه، وسألهم عن تفسير (إذا جاء نصر الله والفتح (٢))

فسكتوا، فقال ابن عباس: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله إياه. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. وفي البخاري عن عبد الله بن عباس قال: قدم عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من نفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. الحديث

وقد مضى في آخر (الأعراف (٣)). وفي صحيح مسلم أن نافع بن عبد الحرث لقي عمر بعسفان

وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملته على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبنى. فقال: ومن ابن أبنى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى! قال: إنه قارئ لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال:

(إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين) وقد مضى أول الكتاب (٤). ومضى القول

في فضل العلم والعلماء في غير موضع من هذا الكتاب (٥) [والحمد لله (٦)]. وروي عن النبي صلى الله

عليه وسلم أنه قال: (بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمّر

سبعين سنة). وعنه صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر

على سائر الكواكب). وعنه عليه الصلاة والسلام: (يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء

ثم الشهداء) فأعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن ابن عباس: خير سليمان [عليه السلام] بين العلم والمال والملك

فاختار

العلم فأعطي المال والملك معه.



- 
- (١) في ح، ز، س، ل، هـ: (فيرفع المرء).  
(٢) راجع ج ٢٠ ص ٢٢٩.  
(٣) راجع ج ٧ ص ٣٥٧.  
(٤) راجع ج ١ ص ٦.  
(٥) راجع ج ١٤ ص ٣٤٣.  
(٦) من س وط.

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (١٢)

فيه ثلاث مسائل:

الأولى - قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) (ناجيتم) ساررتهم. قال ابن عباس: نزلت بسبب أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى شقوا عليه، فأراد الله عز وجل أن يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم، فلما

قال ذلك كف كثير من الناس. ثم وسع الله عليهم بالآية التي بعدها. وقال الحسن: نزلت

بسبب أن قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي صلى الله عليه وسلم ويناجونه، فظن بهم

قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى، فشق عليهم ذلك فأمرهم الله تعالى بالصدقة

عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه. وقال زيد بن أسلم: نزلت بسبب أن المنافقين واليهود

كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون: إنه أذن يسمع كل ما قيل له، وكان لا يمنع أحدا مناجاته. فكان ذلك يشق على المسلمين، لان الشيطان كان يلقي في

أنفسهم

أنهم ناجوه بأن جموعا اجتمعت لقتاله. قال: فأنزل الله تبارك وتعالى: (يا أيها الذين آمنوا

إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) الآية، فلم ينتهوا فأنزل الله هذه الآية، فانتهى أهل الباطل عن النجوى، لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، وشق

ذلك على أهل الايمان وامتنعوا من النجوى، لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف

الله عنهم بما بعد الآية.

الثانية - قال ابن العربي: وفي هذا الخبر عن زيد ما يدل على أن الاحكام لا تترتب بحسب المصالح، فإن الله تعالى قال: (ذلك خير لكم وأطهر) ثم نسخه مع كونه خيرا وأطهر.

وهذا رد على المعتزلة عظيم في التزام المصالح، لكن راوي الحديث عن زيد ابنه عبد الرحمن

وقد ضعفه العلماء. والامر في قوله تعالى: (ذلك خير لكم وأطهر) نص متواتر في الرد على المعتزلة. والله أعلم.

الثالثة - روى الترمذي عن علي بن علقمة الأنماري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) [سألته (١)]

قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (ما ترى ديناراً) قلت لا يطيقونه. قال: (فنصف دينار)

قلت: لا يطيقونه. قال: (فكم) قلت: شعيرة. قال: (إنك لزهيد) قال فنزلت: (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) الآية. قال: فبي (٢) خفف الله عن هذه الأمة. قال

أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، ومعنى قوله: شعيرة يعني

وزن شعيرة من ذهب. قال ابن العربي: وهذا يدل على مسألتين حسنتين أصوليتين: الأولى - نسخ العبادة قبل فعلها. والثانية - النظر في المقدرات بالقياس، خلافاً لأبي حنيفة.

قلت: الظاهر أن النسخ إنما وقع بعد فعل الصدقة. وقد روي عن مجاهد: أن أول من تصدق في ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وناجى النبي صلى الله عليه وسلم. روي أنه

تصدق بخاتم. وذكر القشيري وغيره عن علي بن ابن طالب أنه قال: (في كتاب الله آية ما عمل

بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، وهي: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين

يدي نجواكم صدقة) كان لي دينار فبعته، فكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى

نفد، فنسخت بالآية الأخرى (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات). وكذلك قال ابن عباس: نسخها الله بالآية التي بعدها. وقال ابن عمر: لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه

الراية يوم خيبر، وآية النجوى. (ذلك خير لكم) أي من إمساكها (وأطهر) لقلوبكم من المعاصي (فإن لم تجدوا) يعني الفقراء (فإن الله غفور رحيم).

-----  
(١) زيادة من ح، ز، س، ل، ه.  
(٢) كلمة: (فبي) ساقطة من ل.

قوله تعالى: أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون (١٣) فيه مسألتان:

الأولى - قوله تعالى: (أأشفقتم) استفهام معناه التقرير. قال ابن عباس: (أأشفقتم) أي أبخلتم بالصدقة، وقيل: خفتهم، والاشفاق الخوف من المكروه. أي خفتهم وبخلتم بالصدقة وشق عليكم (أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات). قال مقاتل بن حيان:

إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ. وقال الكلبي: ما كان ذلك إلا ليلة واحدة. وقال ابن عباس: ما بقي إلا ساعة من النهار حتى نسخ. وكذا قال قتادة. والله أعلم. الثالثة - قوله تعالى: (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) أي نسخ الله ذلك الحكم. وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فنسخت فرضية الزكاة

هذه الصدقة. وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل، وما روي عن علي رضي الله عنه ضعيف، لأن الله تعالى قال: (فإذ لم تفعلوا) وهذا يدل على أن أحدا لم يتصدق بشيء. والله أعلم. (أطيعوا الله) في فرائضه (ورسوله) في سننه (والله خبير بما تعملون). قوله تعالى: ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون (١٤) أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون (١٥) اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين (١٦)

قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) قال قتادة: هم المنافقون تولوا اليهود (ما هم منكم ولا منهم) يقول: ليس المنافقون من اليهود ولا من المسلمين بل

هم مذذبون بين ذلك، وكانوا يحملون أخبار المسلمين إليهم. قال السدي ومقاتل: نزلت

في عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل المنافقين، كان أحدهما يجالس النبي صلى الله عليه وسلم

ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما النبي صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجراته إذ قال: (يدخل

عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان) فدخل عبد الله بن نبتل - وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللحية - فقال عليه الصلاة والسلام: (علام تشتمني أنت وأصحابك)

فحلف بالله ما فعل ذلك. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (فعلت) فانطلق فجاء بأصحابه

فحلفوا بالله ما سبه، فنزلت هذه الآية. وقال معناه ابن عباس. روى عكرمة عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة قد كاد الظل يتقلص عنه إذ قال: (يجيئكم

الساعة رجل أزرق ينظر إليكم نظر شيطان) فنحن على ذلك إذ أقبل رجل أزرق، فدعا به

النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (علام تشتمني أنت وأصحابك) قال: دعني أجيئك بهم.

فمر فجاء بهم فحلفوا جميعا أنه ما كان من ذلك شيء، فأنزل الله عز وجل: (يوم يبعثهم الله جميعا)

إلى قوله: (هم الخاسرون) واليهود مذكورون في القرآن ب (وغضب الله عليهم). (أعد الله لهم) أي لهؤلاء المنافقين (عذابا شديدا) في جهنم وهو الدرك الأسفل. (أنهم ساء ما كانوا يعملون) أي بئس الأعمال أعمالهم (اتخذوا إيمانهم جنة) يستجنون بها من

القتل. وقرأ الحسن وأبو العالية (إيمانهم) بكسر الهمزة هنا وفي (المنافقون (١)). أي إقرارهم

اتخذوه جنة، فأمنت ألسنتهم من خوف القتل، وكفرت قلوبهم (فلهم عذاب مهين) في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار. والصد المنع (عن سبيل الله) أي عن الإسلام. وقيل: في قتلهم بالكفر لما أظهروه من النفاق. وقيل: أي بإلقاء الأراجيف وتثبيط المسلمين عن الجهاد وتخويفهم.

-----  
(١) راجع ج ١٨ ص ١٢٣.

(٣٠٤)

قوله تعالى: لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١٧) يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئٍ ألا انهم هم الكاذبون (١٨) استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون (١٩) قوله تعالى: (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) أي من عذابه شيئاً. وقال مقاتل: قال المنافقون إن محمدا يزعم أنه ينصر يوم القيامة، لقد شقينا إذا! فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأولادنا وأموالنا إن كانت قيامة. فنزلت (١): (يوم يبعثهم الله جميعاً)

أي لهم عذاب مهين يوم يبعثهم (فيحلفون له كما يحلفون لكم) اليوم. وهذا أمر عجيب

وهو مغالطتهم باليمين غدا، وقد صارت المعارف ضرورية. وقال ابن عباس: هو قولهم (والله ربنا ما كنا مشركين (٢)). (ويحسبون أنهم على شئٍ) بإنكارهم وحلفهم. قال ابن زيد:

ظنوا أنهم ينفعهم في الآخرة. وقيل: (ويحسبون) في الدنيا (أنهم على شئٍ) لأنهم في الآخرة

يعلمون الحق باضطرار. والأول أظهر. وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ينادي مناد يوم القيامة أين خصماء الله فتقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة أعينهم مائل

شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمساً ولا قمراً ولا صنماً ولا وثناً،

ولا اتخذنا من دونك إلهاً). قال ابن عباس: صدقوا والله! أتاهم الشرك من حيث لا يعلمون،

ثم تلا (ويحسبون أنهم على شئٍ ألا إنهم هم الكاذبون) هم والله القدرية. ثلاثاً. قوله تعالى: (استحوذ عليهم الشيطان) أي غلب واستعلى، أي بوسوسته في الدنيا. وقيل: قوي عليهم. وقال المفضل: أحاط بهم. ويحتمل رابعاً أي جمعهم وضمهم. يقال:

أحوذ الشئُ أي جمعه وضم بعضه إلى بعض، وإذا جمعهم فقد غلبهم وقوي عليهم وأحاط بهم.

(١) في ح، ز، س، ه، ل: (فنزلت الآية قوله تعالى).

(٢) راجع ج ٦ ص ٤٠١



(२०९)

(فأنساهم ذكر الله) أي أوامره في العمل بطاعته. وقيل: زواجه في النهي عن معصيته. والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة، ويكون بمعنى الترك، والوجهان محتملان هنا. (أولئك حزب الشيطان) طائفته ورهطه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) في بيعهم، لأنهم باعوا الجنة بجهنم، وباعوا الهدى بالضلالة.

قوله تعالى: ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين (٢٠)

كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز (٢١)

قوله تعالى: (ان الذين يحادون الله ورسوله) تقدم أول السورة. (أولئك في الأذلين) أي من جملة الأذلاء لا أذل منهم (كتب الله لا غلبن) أي قضى الله ذلك. وقيل: كتب في اللوح المحفوظ، عن قتادة. الفراء: كتب بمعنى قال. (أنا) تأكيد (ورسلي) من بعث منهم بالحرب فإنه غالب (١) بالحرب، ومن بعث منهم بالحجة فإنه غالب (١)

بالحجة. قال مقاتل قال المؤمنون: لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا

أن يظهرنا الله على. فارس والروم، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أتظنون الروم وفارس

مثل القرى التي غلبتم عليها؟! والله إنهم لأكثر عددا، وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك، فنزلت: (لأغلبن أنا ورسلي). نظيره: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون (٢)).

قوله تعالى: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون (٢٢)

(١) في ح، ز، س، ل، ه: (فان الرسول غالب).

(٢) راجع ج ١٥ ص ١٣٩

فيه مسألتان:

الأولى - قوله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) أي يحبون ويوالون (من حاد الله ورسوله) تقدم (١) (ولو كانوا آباءهم) قال السدي: نزلت في [عبد الله بن (٢)] عبد الله بن أبي، جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشرب النبي

صلى الله عليه وسلم ماء، فقال له: بالله يا رسول الله ما أبقيت من شرابك فضلة أسقيها أبي، لعل الله يطهر بها قلبه؟ فأفضل له فأتاه بها، فقال له عبد الله: ما هذا؟ فقال: هي فضلة من شراب النبي صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها.

فقال له أبوه: فهلا جئتني ببول أمك فإنه أطهر منها. فغضب وجاء إلى النبي صلى الله عليه

وسلم، وقال: يا رسول الله! أما أذنت لي في قتل أبي؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (بل ترفق به وتحسن إليه). وقال ابن جريج: حدثت أن أبا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه أبو بكر ابنه صكة فسقط منها على وجهه، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم

فذكر ذلك له، فقال: (أو فعلته، لا تعد إليه) فقال: والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته. وقال ابن مسعود: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وقيل: يوم بدر. وكان الجراح يتصدى لأبي عبيدة وأبو عبيدة

يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله حين قتل أباه: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية. قال الواقدي: كذلك يقول أهل الشام. ولقد سألت رجالا من بني الحرث بن فهر فقالوا: توفي أبوه من قبل الإسلام. (أو أبناءهم) يعني أبا بكر دعى ابنه عبد الله إلى البراز يوم بدر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (متعنا بنفسك

يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة السمع والبصر). (أو إخوانهم) يعني مصعب بن عمير

(١) راجع ج ٨ ص ١٩٤

(٢) زيادة لازمة، فقد كان عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وخيارهم وكان

أبو عبد الله رأس المنافقين وفيه نزلت الآية.

قتل أخاه عبيد بن عمير يوم بدر. (أو عشيرتهم) يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص ابن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعليها وحمزة قتلا عتبة وشيبة والوليد يوم بدر. وقيل: إن الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، لما كتب إلى أهل مكة بمسير النبي صلى الله عليه وسلم

عام الفتح، على ما يأتي بيانه أول سورة (المتحنة) إن شاء الله تعالى. بين أن الإيمان يفسد بموالاته الكفار وإن كانوا أقارب.

الثانية - استدل مالك رحمه الله من هذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم. قال أشهب عن مالك: لا تجالس القدرية وعادهم في الله، لقوله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله).

قلت: وفي معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان. وعن الثوري أنه قال: كانوا يرون أنها نزلت في من كان يصحب السلطان. وعن عبد العزيز بن أبي داود أنه لقي المنصور

في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: (اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فإنني وجدت فيما أوحيت (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر - إلى قوله - أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) أي خلق في قلوبهم التصديق،

يعني من لم يوال من حاد الله. وقيل: كتب أثبت، قاله الربيع بن أنس. وقيل: جعل، كقوله تعالى: (فاكتبنا مع الشاهدين (١)) أي اجعلنا. وقوله: (فسأكتبها للذين يتقون (٢))

وقيل: (كتب) أي جمع، ومنه الكتيبة، أي لم يكونوا ممن يقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض.

وقراءة العامة بفتح الكاف من (كتب) ونصب النون من (الإيمان) بمعنى كتب الله وهو الأجود،

لقوله تعالى: (وأيدهم بروح منه) وقرأ أبو العالية وزر بن حبيش والمفضل عن عاصم (كتب) على ما لم يسم فاعله (الإيمان) برفع النون. وقرأ زر بن حبيش (وعشيراتهم) بألف وكسر التاء على الجمع، ورواها الأعمش عن أبي بكر عن عاصم. وقيل: كتب في قلوبهم) أي على قلوبهم، كما في قوله (في جذوع (٣) النخل) وخص القلوب بالذكر لأنها

موضع الإيمان. (وأيدهم) قواهم ونصرهم بروح منه، قال الحسن: وبنصر منه. وقال

(١) راجع ج ٤ ص ٩٧

(٢) راجع ج ٧ ص ٢٩٦

(٣) راجع ج ١١ ص ٢٢٤



(२.४)

الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه. وقال ابن جريج: بنور وإيمان وبرهان وهدى. وقيل:  
برحمة من الله. وقال بعضهم: أيدهم بجبريل عليه السلام. (ويدخلهم جنات تجري من  
تحتها الأنهار خالدون فيها رضي الله عنهم) أي قبل أعمالهم (ورضوا عنه) فرحوا بما  
أعطاهم

(أولئك حزب هم المفلحون) قال سعيد بن أبي سعيد الجرجاني عن  
بعض مشايخه، قال داود عليه السلام: إلهي! من حزبك وحول عرشك؟ فأوحى الله  
إليه:

(يا داود الغاضة أبصارهم، النقية قلوبهم، السليمة أكفهم، أولئك حزبي وحول عرشي).  
ختمت والحمد لله سورة (المجادلة).

١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٨٥

١٥ أغسطس سنة ١٩٦٥

محققه

أحمد عبد العليم البردوني

تم بعون الله تعالى الجزء السابع عشر من تفسير القرطبي.  
يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثامن عشر، وأوله:  
" سورة الحشر "